



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ميسان / كلية التربية

قسم اللغة العربية

الاتساق والانسجام في أحاديث جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)

رسالة تقدّمت بها الطالبة

هدى جاسب يونس

إلى مجلس كلية التربية – جامعة ميسان

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ اللغة

بإشراف

أ.م. د محمد مهدي حسين

٢٠٢٥م

١٤٤٦هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ
الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١)﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

(النازعات: ٤٠-٤١)

الإهداء

إلى مَنْ قَالَ فِي حَقِّهِمْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ):

"مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ

عنها غَرِقَ" (١).

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٢٠.

شكر وعرفان

الحمد لله، الذي لا تُحصى نعمه ولا تتفد، بفضلته تعالى، أنهيتُ هذه الرسالة وبتوقيقه، ولولاه ما استطعتُ ذلك.

وبعد حمد الله ... أذكر ببالغ الشكر والاحترام أهل البيت (عليهم السلام)، الذين كانوا ولا يزالون مصدر إلهام لنا في السعي وراء العلم والمعرفة، وقدوة في الأخلاق والإيمان.

وأقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور (محمد مهدي حسين)، على إرشاداته القيّمة وتوجيهاته المستمرة التي كانت بمثابة الدليل في مسيرتي البحثية.

ومن الواجب أن أقدم بخالص شكري وامتناني إلى أستاذي الفاضل الدكتور (علي موسى الكعبي) الذي كان خير عون في اختيار مدونة الدراسة، فجزاه الله خير الجزاء.

وكذلك أقدم بالشكر والامتنان إلى جميع أساتذتي في قسم اللغة العربية الذين أمدوني بعلمهم الغزير وأخلاقهم الطيبة، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل ومقرر قسم اللغة العربية الدكتور (باسم محمد عيادة)، على دعمه المعنوي واهتمامه المستمر بطلبة الدراسات العليا.

كما أشكر عائلتي الكريمة على دعمهم وتشجيعهم المتواصل طوال فترة دراستي.

وفي الختام، أتوجه بالشكر لكل من مدّ لي يد العون في توفير المصادر أو أسدى لي نصيحة وإرشاداً، وأخص بالذكر صديقتي (شهد قاسم). والله وليّ التوفيق.

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ - ت	المقدمة
١٥ - ١	التمهيد
٩ - ٢	أولاً: التعريف بالشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي وكتابه وسائل الشيعة
١٠ - ٩	ثانياً: أبواب جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة
١٥ - ١٠	ثالثاً: مفهوم (الاتساق والانسجام)
٦٣ - ١٦	الفصل الأول: الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس
١٧	توطئة
٥١ - ١٨	المبحث الأول: التكرار المعجمي
٣١ - ١٩	أولاً: التكرار الكلي
٢٥ - ١٩	أ- تكرار المفردة نفسها
٣١ - ٢٥	ب- تكرار العبارة أو الجملة
٣٥ - ٣١	ثانياً: التكرار الجزئي
٤٨ - ٣٥	ثالثاً: التكرار الدلالي
٤٤ - ٣٥	أ- الاستبدال
٤٨ - ٤٤	ب- الترادف
٥١ - ٤٨	رابعاً: التكرار ب (الكلمة الشاملة والعامة)
٦٣ - ٥٢	المبحث الثاني: المصاحبة المعجمية
٥٧ - ٥٣	أولاً: التضاد
٦١ - ٥٧	ثانياً: علاقة الجزء بالكل، والجزء بالجزء
٦٣ - ٦١	ثالثاً: التلازم الذكري
١٢٧ - ٦٤	الفصل الثاني: الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس
٦٥	توطئة
٩٩ - ٦٦	المبحث الأول: الإحالة

٧٠ - ٩٩	وسائل الاتساق الإحالية
٧١ - ٨٤	أولاً: الإحالة بالضمائر
٨٤ - ٨٩	ثانياً: الإحالة بأسماء الإشارة
٨٩ - ٩٣	ثالثاً: الإحالة بالأسماء الموصولة
٩٣ - ٩٩	رابعاً: الإحالة بالمقارنة
١٠٠ - ١١٦	المبحث الثاني: الربط
١٠١ - ١٠٧	أولاً: الربط الإضافي
١٠٧ - ١١٠	ثانياً: الربط الاستدراكي
١١٠ - ١١٣	ثالثاً: الربط الزمني
١١٣ - ١١٦	رابعاً: الربط السببي
١١٧ - ١٢٧	المبحث الثالث: الحذف
١١٨ - ١٢١	أولاً: الحذف الاسمي
١٢١ - ١٢٣	ثانياً: الحذف الفعلي
١٢٣ - ١٢٧	ثالثاً: الحذف الجملي
١٢٨ - ١٦٧	الفصل الثالث: الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس
١٢٩	توطئة
١٣٠ - ١٥٦	المبحث الأول: العلاقات الدلالية
١٣١ - ١٣٥	أولاً: علاقة الإجمال والتفصيل
١٣٥ - ١٣٩	ثانياً: علاقة الشرط والجواب
١٣٩ - ١٤٣	ثالثاً: علاقة السبب والنتيجة
١٤٣ - ١٤٦	رابعاً: علاقة السؤال والجواب
١٤٦ - ١٥١	خامساً: علاقة المقابلة
١٥١ - ١٥٤	سادساً: علاقة الحوار
١٥٥ - ١٥٦	سابعاً: علاقة التمثيل أو التشبيه
١٥٧ - ١٦٧	المبحث الثاني: البنى النصية الكبرى

١٧١ - ١٦٩	الخاتمة
١٨٩ - ١٧٣	ثبت المصادر والمراجع
I - ii	الملخص الإنجليزي

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، مُنْزِلَ الكتابِ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَأَتَمَّ الصلاة وأكرم السلام على المبعوث رحمةً للعالمين نبيِّنا الأكرم أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد ...

بعد أن كانت اللسانيات اللغوية التقليدية تعتمد بشكلٍ أساسي على الجملة وحدة أساسية في التحليل، مُهملةً دراسة النصوص بوصفها وحدات متكاملة، ظهرت اللسانية النصية في منتصف القرن العشرين رداً على ضيق اهتمام اللسانيات التقليدية التي كانت تركز على الجملة فقط فتغفل النص كوحدة تحليلية.

بعد ذلك تطور هذا الفرع المعرفي عبر مراحل عدة إلى أن أصبح فرعاً متكاملاً بمنهجيته وأهدافه الخاصة، مركزاً على النص بوصفها بنية كلية، لا على الجملة بنية فرعية، فبدأ هذا الفرع في الانتشار في ثمانينات القرن العشرين للإشارة إلى دراسة النصوص كوحدات لغوية متكاملة لتحليلها ووصفها؛ وذلك لأن الجملة لا يمكن فهمها في النص بمعزل عن الجمل الأخرى التي تسهم في فهمه، إذ تتآزر الجمل وتتربط لإنتاج محتوى يكشف عن مقصود المتكلم، وقد تحقق ذلك على يد العالم (فان دايك)، المؤسس الحقيقي لنحو النص، والذي قدّم إسهامات كبيرة في دراسة بنية النص، ثم جاء من بعده عالمان بارزان، هما (روبرت دي بوجراند وولفجانج ديسلر)، اللذان وضعاً إطاراً نظرياً شاملاً للسانيات النصية، بما في ذلك سبعة معايير نصية، وهي: (الاتساق، والانسجام، والقصدية، والمقبولية، والموقفية، والإعلامية، والتناص)، وقد حازت هذه المعايير اهتمام أغلب الباحثين، واختصت دراستي بالمعيارين اللذين يختصان بالنص نفسه، وهما الاتساق والانسجام.

وأما سبب اختياري للموضوع فهو رغبتني في أن تكون دراستي منصبة على دراسة نحو النص وتطبيقه على أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، ولقد وقع الاختيار على كتاب وسائل الشيعة؛ ما لوسائل الشيعة من أهمية كبرى في المدونة الحديثية الإسلامية على وجه العموم والمدونة الشيعية على وجه الخصوص، لسببين؛ يتعلق الأول منها بمكانة المؤلف (الحر العاملي)، ويتعلق الثاني بمنهجية المؤلف القائمة على جمع أمهات مصادر الحديث عند الشيعة، ومراجعة أسانيدھا، ومدلولاتها، وغير ذلك من جهد عمل عليه المؤلف لتحقيق (الصحة) في هذه الأحاديث سنداً وممتناً. وقد وقع الاختيار على مرويّات جهاد النفس؛ لما انمازت به من قيم معرفية ومعانٍ فصيحة وعميقة، فضلاً عن جزالتها اللغوية، فهي نصوصٌ متماسكة نصياً ومنسجمة دلاليّاً، وقد تشرفت الباحثة بالتعامل معها، إضافةً إلى كونها وسيلةً لتهديب النفس والبلوغ بها نحو تحقيق التقوى والإيمان.

ولكثرّة الأحاديث الواردة في أبواب جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة فقد اعتمدتُ على منهج الانتقاء، أي اختيار عينات من نصوص الأحاديث لأجل تحليلها تحليلاً نصياً. وجاءت خطة البحث على ثلاثة فصول، سبقها مقدّمة وتمهيد، ولحقها خاتمة وقائمة بالمصادر.

جاء الفصل الأول بعنوان: (الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس)، وقُسّم على مبحثين: خُصص الأول منه لدراسة التكرار المعجمي، والمبحث الثاني لدراسة المصاحبة المعجمية.

أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان: (الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس)، وكان هذا الفصل أكبر من الفصل الأول والثالث؛ لكثرة أدوات الاتساق النحوي وسعة استعمالها في جميع النصوص بشكلٍ عام، فضلاً عن التفصيلات الكثيرة لها، وذلك ضمن ثلاثة مباحث: الأول لدراسة الإحالة، والمبحث الثاني لدراسة أدوات الربط، والمبحث الثالث لدراسة الحذف.

وأما الفصل الثالث فدرست فيه (الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس)، وتألف من مبحثين هما: الأول بعنوان (العلاقات الدلالية)، والمبحث الثاني في (البنى النصية الكبرى). وتضمنت الخاتمة أهم النتائج المتحصلة من البحث.

وأما الطبيعة المنهجية التي اتبعتها فكانت وصفية تحليلية معتمدةً على أهم معيارين من معايير النصية التي أقرها (روبرت دي بوجراند)، وهما (الاتساق والانسجام).

وقد اعتمدت الدراسة على مصادر نصية أبرزها: النص والخطاب والإجراء لـ (روبرت دي بوجراند)، ترجمة: د. تمام حسان، وتحليل الخطاب لـ (جورج يول وجوليان براون)، ترجمة: محمد لطفي، وعلم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، د. محمد خطابي، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل، ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج. فضلاً عن اعتماد الدراسة على الرسائل والأطاريح، والبحوث العلمية (المجلات) المنشورة التي تخص الموضوع ذاته.

أما عن الصعوبات التي واجهتني في كتابة الرسالة، فقد تمثلت بإشكالية المصطلحات والمفاهيم الخاصة بعلم النص؛ إذ تتسم بالتشعب والتعدد والتباين بين علماء النص.

وختاماً أتوجه بالشكر الجزيل والعرفان إلى أستاذي الفاضل المشرف الأستاذ المساعد الدكتور (محمد مهدي حسين)، الذي غمرني بفضله وعنايته بقبوله الإشراف على رسالتي، وقد كان لملاحظاته وإرشاداته وتوجيهاته السديدة _ على الرغم من كثرة مسؤولياته والتزاماته _ أثرٌ كبير في إخراج هذا البحث بهذه الصورة؛ فجزاه الله تعالى عني خير الجزاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

النميد

أولاً- التعريف بالشيخ محمد بن الحسن الحرّ العامليّ وكتابه
وسائل الشيعة

ثانياً- أبواب جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة

ثالثاً- مفهوم (الاتساق والانسجام)

أولاً- التعريف بالشيخ محمد بن الحسن الحرّ العامليّ

اسمه ونسبه:

هو ((محمد بن الحسن بن علي بن محمد ابن الحسن، المعروف بالحرّ العاملي، أحد المحدثين الثلاثة المتأخرين الجامعين لأحاديث الأئمة المعصومين^(*)))^(١)، وينتهي نسبه الشريف إلى شهيد الطف الحرّ بن يزيد الرياحي الذي أُنْتُشِد مع الإمام السبط الشهيد (عليه السلام) يوم واقعة الطف^(٢)، ولد الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العامليّ في قرية مشغرة^(*)، وهي إحدى قرى جبل عامل^(*)، وذلك في ليلة الجمعة ثامن شهر رجب سنة (١٠٣٣هـ)^(٣). نشأ الحرّ العاملي وترعرع في أحضان العلم والمعرفة، فأُسِرَ آل الحر من الأسر العريقة التي نبغ فيها العديد من الفقهاء والعلماء، فقد كان والده ((عالمًا فاضلاً ماهراً صالحاً فقيهاً ثقة، حافظاً عارفاً بفتون العربية والفقه والأدب مرجوعاً إليه في الفقه خصوصاً المواريث))^(٤).

(*) المحدثون الثلاثة المتأخرون: وهو مصطلح يطلق على مجموعة من كبار محدّثي الإمامية، وذلك بناء على كتبهم، هم: محمد بن الحسن فيض الكاشاني المعروف بملا محسن (ت ١٠٩١هـ)، وكتابه (الوافي)، محمد بن الحسن الحر العاملي المعروف بالشيخ الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، وكتابه (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي المعروف بالعلامة المجلسي (ت ١١١١هـ)، وكتابه (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار): ينظر: الفوائد المدنية، محمد أمين الأسترابادي: ٨.

(١) وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي: ٧٣/١.

(٢) ينظر: وسائل الشيعة: ٧٣/١، وأمل الآمل، محمد بن الحسن الحر العاملي: ٨/١.

(*) مشغرة: "قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع": هامش كتاب وسائل الشيعة: ٧٤/١.

(*) "جبل عامل وفي الأصل يقال: جبال عاملة، ثم لكثرة الاستعمال قيل: جبل عامل: نسبة إلى عاملة بن سبأ": المصدر نفسه: ٧٤/١.

(٣) ينظر: وسائل الشيعة: ٧٤/١، وأمل الآمل: ٥٢/١، وأعيان الشيعة، محسن الأمين: ١٦٧/٩.

(٤) أمل الآمل: ٦٥/١.

تلقّى الشيخ الحرّ في وطنه (جبل عامل) مبادئ العلوم على يد أساتذة بارعين في التدريس، كان لهم أثر طيّب في تكوينه ونشأته حتى أصبح عالماً مجتهداً.

تتلمذ على والده، وعمه الشيخ محمد بن علي الحرّ، وجده لأُمّه الشيخ عبد السلام بن محمد الحرّ، وخال أبيه الشيخ علي بن محمود العاملي، وغيرهم^(١).

أما بالنسبة إلى مكانته العلمية والاجتماعية، فقد كان الشيخ الحرّ يتمتع بشهرة واسعة ومكانة مرموقة في الأوساط العلمية والاجتماعية. حظي الشيخ الحرّ باحترام وتقدير كبيرين من مختلف الطبقات في كل مكان، إذ كان الناس ينظرون إليه بعين الإجلال والإكبار، وشخصيته محط تقدير وإعجاب الجميع. وكل من ترجم له أشاد به بعبارات رقيقة تعكس عظّمته وسمو مكانته. وقد تولى منصب التدريس في الحضرة الشريفة، في القبة الكبيرة الشرقية، خلفاً للسيد حسين بن محمد بن أبي الحسن الموسوي العاملي، وهو المنصب الذي كان يختص بأكبر المدرسين في مشهد الإمام الرضا عليه السلام، والمقدم على علماء خراسان^(٢).

اتجاه الشيخ الحر العاملي الفقهي:

يُعد الشيخ الحر العاملي عالماً فاضلاً، وهو من الإخباريين كما صرح بذلك المحدث البحراني^(٣)، لكنه كان معتدلاً في طريقته، ويعظم المجتهدين الأصوليين كما نص على ذلك السيد الخوانساري، إذ قال: ((نعم إن من جملة مسلّمات المتأخرين عن الرجلين جميعاً كونهما في غاية سلامة النفس وجلالة القدر، ومثانة الرأي، ورزانة الطبع، والبراءة من التصلب في الطريقة، والتعصب على غير الحق والحقيقة والملازمة في الفقه لجادة المشهور

(١) ينظر: أمل الآمل: ١ / ١٣ - ١٤.

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٤٦.

(٣) ينظر: لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، يوسف بن أحمد البحراني: ٧٣.

من العلماء، والملازمة للصدق والتقوى في مقام المعاملة مع كل من هؤلاء وهؤلاء، والتسمية لجماعة المجتهدين في غاية التعظيم ونهاية التكريم والموافقة لسبكهم السليم^(١).

مؤلفاته^(٢):

للشيخ الحرّ العامليّ الكثير من المؤلفات، يمكن الرجوع إليها في كتاب أمل الآمل، نذكر منها:

١- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، وهو كتاب يضم بين دفتيه الأحاديث الواردة عن النبي والزهاء والأئمة المعصومين (عليهم السلام).

٢- أمل الآمل، وهو من قواميس التراجم وأوسع الكتب انتشاراً عند الشيعة^(٣).

٣- الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، وهو كتاب يتألف من اثني عشر باباً، ذكر فيه أكثر من ستمائة حديث وأربع وستين آية من القرآن الكريم، فضلاً عن أدلة كثيرة.

٤- بداية الهداية، وهو كتاب يشتمل على الواجبات والمحرمات المذكورة في أول الفقه إلى نهايته بصورة موجزة.

٥- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة المعروف بـ (وسائل الشيعة)، وهو ثالث الجوامع الحديثية المتأخرة، وهو من أهم كتب الحديث والفقه عند الشيعة الإمامية، ويتميز بجمع الأحاديث المتعلقة بالأحكام الشرعية وترتيبها وتفصيلها.

٦- الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، وهو أول كتاب ألفه الشيخ الحرّ العامليّ.

(١) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الخوانساري: ٩٨.

(٢) ينظر: أمل الآمل: ٢٧/١-٣٠، ولؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث: ٧٣-٧٤-٧٥.

(٣) ينظر: أمل الآمل: ٥٣/١.

- ٧- الصحيفة الثانية، وهو كتاب يشتمل على أدعية الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام).
- ٨- الفصول المهمة في أصول الأئمة (عليهم السلام)، وهو كتاب يشتمل على القواعد الكلية المنصوصة في أصول الدين والفقه وفروع الفقه وفي الطب، ونوادر الكليات.
- ٩- الفوائد الطوسية، وهو كتاب يضم مئة فائدة في علوم وفنون مختلفة.
- ١٠- كشف التعمية في حكم التسمية، أي تسمية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.
- ١١- من لا يحضره الإمام، وهو فهرست تفصيلي لكتاب (وسائل الشيعة).
- ١٢- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليهم السلام)، وهو كتاب منتخب من كتاب (وسائل الشيعة)، بحذف الأسانيد والمكررات.

وفاته:

تُوفِّيَ الشيخ الحرّ العامليّ بالمشهد المقدس الرضوي بطوس خراسان، وكانت وفاته في الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (١١٠٤هـ) عن عمر يناهز إحدى وسبعين عامًا، وقد دُفِنَ في إيوان حجرة من حجرات الصحن الشريف الملاصق لمدرسة ميرزا جعفر، وتاريخ وفاته منقوش على صخرة موضوعة على قبره الشريف^(١).

- التعريف بالكتاب (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) منهجيته،
وسبب تأليفه:

يُعَدُّ كتاب (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) من أهم كتب الحديث والفقه عند الشيعة الإمامية، إذ جمع فيه الحر العاملي أحاديث وروايات عن النبي محمد

(١) ينظر: أعيان الشيعة: ١٦٧/٩، وأمل الآمل: ٥٢/١، وثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، محمد بن الحسن الحر العاملي: ٢١/١.

(عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام)، فهو كتاب ((يشتمل على أحاديث المسائل الشرعية، ونصوص الأحكام الفرعية المروية في الكتب المعتمدة الصحيحة التي نصّ على صحتها علماؤنا نصوصاً صريحة))^(١)، أي لم ينقل المؤلف في هذا الكتاب الأحاديث إلا من الكتب المشهورة المعتمدة، التي لا تعمل الشيعة إلا بها^(٢)، ولم يعتمد الحر العاملي في تأليف كتابه (وسائل الشيعة) على الكتب الحديثية الأربعة، بل اعتمد على جميع الكتب الشيعية الحديثية المتاحة في عصره، والتي كانت تشتمل الكتب الأربعة وغيرها الكثير من المصادر الحديثية المعتمدة، بقوله: ((ولم أقتصر فيه على كتب الحديث الأربعة^(٣)، وإن كانت أشهر ممّا سواها بين العلماء، لوجود كتب كثيرة معتمدة، من مؤلفات الثقات الأجلاء ... فعليك بهذا الكتاب (الكافي) في (تهذيب) (من لا يحضره الفقيه) بـ(محاسن) (الاستبصار) الشافي من (علل الشرائع) أهل (التوحيد) بدواء (الاحتجاج) ...))^(٤).

وقد أعتمد الحر العاملي جملة من الأساليب في ترتيب أحاديثه، وكان في مقدمتها الترتيب الفقهي، إذ استهلّ المؤلف كتابه (وسائل الشيعة) بأحاديث في مقدمة العبادات، ورتّب أحاديث الأحكام حسب ترتيب الكتب الفقهية من الطهارة إلى الديات^(٥)؛ لتسهيل عثور الفقهاء والباحثين على الأحاديث المتعلقة بموضوع معين. وكان للترتيب الموضوعي أهمية كبيرة لدى الحر العاملي، إذ رتّب العاملي الأبواب والأحاديث المتعلقة بأي جانب من الجوانب الفقهية أو الأخلاقية وغيرها بناءً على موضوعاتها المشتركة، مما يجعل الكتاب

(١) وسائل الشيعة (مقدمة المؤلف): ٤/١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه (مقدمة المؤلف): ٧/١.

(٣) الكتب الأربعة: وهي مصادر الحديث التي يستند عليها علماء المذهب الأمامي المتمثلة بـ (الكافي للشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تهذيب الأحكام والاستبصار لشيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠ هـ).

(٤) وسائل الشيعة (مقدمة المؤلف): ٧/١.

(٥) ينظر: وسائل الشيعة: ٨٨/١، وأمل الآمل: ٢٧/١، والذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني: ٣٥٢/٤.

أداة بحثية قيّمة ومرجعاً شاملاً، لذا عُدَّ هذا الكتاب ((أجمع كتاب لأحاديث الاحكام وأحسن ترتيباً لها حتى من الوافي والبحار))^(١)، إذ ((رزق هذا الكتاب ما لم يرزق غيره فكان عليه معول مجتهدٍ الشيعة من عصر مؤلفه إلى اليوم، وما ذاك إلا لحسن ترتيبه وتبويبه))^(٢)، وكان للترتيب حسب المصادر أمرٌ حسن لدى العاملِي، إذ كان يذكر بعد كل حديث المصادر أو الكتب التي وردت فيها، مما يسهل على الباحثين التحقق من صحة الأحاديث والرجوع إلى مصادرها الأصلية، وأيضاً من الأساليب المعتمدة عند العاملِي في ترتيب أحاديثه هي ذكر الأسانيد، إذ يذكر الحر العاملِي الأسانيد (سلاسل الرواة) لكل حديث، وهذا الذكر يساعد على تتبع صحة الحديث والتحقق من موثوقية رواته.

وعليه فإن كتاب (وسائل الشيعة) من الكتب التي تضم بين دفتيها آلاف الأحاديث النبوية وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) مرتبة ومبوبة على أبواب الفقه المختلفة، ومن بين هذه بين هذه الأبواب، تبرز أبواب جهاد النفس كمنهج تربوي وأخلاقي يسعى إلى تزكية النفس وتطهيرها من الرذائل وتحليلتها بالفضائل.

سبب التأليف:

من يطلع على مقدمة المؤلف (رحمه الله) يمكن أن يقف على الأسباب التي دعتُه إلى تأليف هذا السفر الحديثي المهم، ويمكن إجمال هذه الأسباب بما يأتي:

١- أهمية علم الحديث، فهو يرى ((أنَّ علم الحديث أشرف العلوم وأوثقها، عند التحقيق، بل منه يستفيد أكثرها بل كلها صاحبُ النظر الدقيق ...))^(٣)، فكان أهمية

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣٥٣/٤.

(٢) وسائل الشيعة: ٨٩/١.

(٣) المصدر نفسه (مقدمة المؤلف): ٤/١.

الموضوع (علم الحديث) دافعاً من الدوافع المهمة لتأليفه، ولا سيما أن (المتكلم) من ((المعصومين عن الخطأ والخلل، والمنزهين عن الخلل والزلل))^(١).

٢- الدافع الذاتي المتعلق بهمة المؤلف لوضع كتاب جامع يعتمد عليه (العالم و العامل)، يقول: ((وكنْتُ كثيراً ما أطالب فكري وقلمي، وأستهض عزماتي وهممي، إلى تأليف كتاب كافل ببلوغ الأمل، كافٍ في العلم والعمل ...))^(٢). فالشمولية التي كان يتوخاها الباحث لجعل هذا الكتاب مرجعاً لجميع الناس على مختلف مشاربهم ودرجاتهم العلمية.

٣- تحصيل الثواب، وهذا في الحقيقة من المسائل المهمة التي يعلمنا إياها المؤلف (رحمه الله) في ضرورة أن تكون الكتابة والتأليف في الموضوعات التي يُرتجى لها أن تنفعنا في تحصيل الثواب عند ربِّ العباد، يقول: ((وأكون شريكاً في ثواب كل من اقتبس من أنواره، واهتدى بأعلامه ومناره، واستضاء بشموسه وأقماره، وأيِّ كنزٍ أعظم من ذلك الثواب المستمر سبباً وموجباً إن شاء الله إلى يوم الحساب))^(٣). فهو يجعل المؤلف كالصدقة الجارية، والعلم الذي ينتفع به صاحبه بعد وفاته.

٤- الشمولية في الموضوعات، يرى المؤلف (رحمه الله) أن المؤلفات التي كانت موجودة ((لا تخلو من التطويل، وبُعد التأويل، وصعوبة التحصيل، وتشتت الأخبار ...))^(٤). فالمؤلفات التي كانت معروفة مثلت دافعاً لدى المؤلف حتى يضع هذا الكتاب ويفضله على أبوابه، وهنا يعطينا الشيخ (رحمه الله) درساً في ضرورة أن يكون الموضوع

(١) وسائل الشيعة (مقدمة المؤلف): ٤/١.

(٢) المصدر نفسه: ٤/١.

(٣) المصدر نفسه: ٥/١.

(٤) المصدر نفسه: ٥/١.

المختار للبحث والكتابة مما يسدّ عوزاً في الكتابات، بمعنى أن يكون الموضوع المتخيّر للكتابة يضيف شيئاً جديداً أو يمثل إضافةً.

التعريف بجهد النفس:

الجهد في اللغة: مصدر جاهد، قال ابن منظور: ((الجهد محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل))^(١). وقال ابن فارس: ((جهد، الجيم والهاء والdal أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه. يقال جهدت نفسي وأجهدت والجهد الطاقة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾)^(٢))).^(٣)

النفس في اللغة: وردت كلمة (النفس) في معاجم اللغة بمعانٍ عدة، منها: الروح يقال: ((خرجت نفس فلان أي روحه))^(٤)، والدم يقال: ((سالت نفسه))^(٥)، والعين يقال: ((أصابني فلانا نفس. ونفسته بنفس، إذا أصبته بعين))^(٦).

وقد جاء في الشرع تعريف مجاهدة النفس ليدلّ على ((محاربة النفس الأمارّة بالسوء بتحميلها ما يشقّ عليها بما هو مطلوب في الشرع))^(٧).

ثانياً: أبواب جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة

يُعدّ جهاد النفس الباب الثاني من كتاب الجهاد بعد أبواب جهاد العدو، وهو أحد الكتب التي ضمّها كتاب (وسائل الشيعة)، وقد جاء ترتيب أبواب جهاد النفس في صورة أبوابٍ

(١) لسان العرب، ابن منظور، فصل الجيم: ٣/ ١٣٤.

(٢) التوبة: ٧٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: ١/ ٤٨٦.

(٤) لسان العرب، فصل النون: ٦/ ٢٣٣.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، فصل النون: ٣/ ٩٨٤.

(٦) المصدر نفسه: ٣/ ٩٨٤.

(٧) التعريفات، للرجزاني: ٢٠٣.

عدة، بلغت ما يُقارب مئة باب، واشتملت على ما يقارب الألف حديث مروية عن النبي (ﷺ) والأئمة المعصومين (عليهم السلام).

وعلى الرغم من اهتمام الحر العاملي بالروايات المتعلقة بالأحكام الفقهية الشيعية الواردة في الكتب الأربعة وغيرها، فإنه لم يُغفل الجانب الأخلاقي، لذا تعدُّ أبواب جهاد النفس من أفضل الكتب الأخلاقية التي تضمنت روايات عدة ترتبط بالتربية والأخلاق والآداب، من قبيل: (باب التوكّل على الله والتفويض إليه، وجوب تقوى الله، وجوب الورع، وجوب العفة، استحباب التواضع، وجوب ذكر الله عند الغضب)^(١) وغيرها.

وترتبط دلالة معاني أحاديث جهاد النفس بعنوان الباب المنعقد لها ارتباطاً وثيقاً، ولاشك أنّ مجاهدة النفس وتهذيبها من ذمائم الأخلاق والصفات الرذيلة، والتحلي بمكارم الأخلاق وملازمة فعل الطاعات هو أعظم الجهاد، واستحق كتاب جهاد النفس لمؤلفه الشيخ الحر العاملي أن يُطلق عليه بالجهاد الأكبر، على ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ) بَعَثَ سَرِيَّةً فَلَمَّا رَجَعُوا قَالَ: مَرَجَبًا بِقَوْمٍ قَضَوْا الْجِهَادَ الْأَصْغَرَ وَبَقِيَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟ قَالَ: جِهَادُ النَّفْسِ)^(٢).

ثالثاً: مفهوم (الاتساق والانسجام)

قبل الحديث عن مفهومي الاتساق والانسجام في الدراسات اللسانية النصية، لا بد من بيان مفهوم النص وتعريفه عند علماء النص، بوصفه موضوع التحليل ومجاله التطبيقي، فقد تعددت تعريفات النص وتنوعت بين الباحثين، ممّا يجعل إيجاد تعريف جامع مانع أمراً غير ممكن من الناحية اللغوية، ويؤكد هذا الاختلاف بين علماء اللغة المنتمين إلى مدارس لغوية

(١) ينظر: وسائل الشيعية: ١٥ / ٢١٢، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٧٢، ٣٦٤.

(٢) وسائل الشيعية: ١٥ / ١٦١.

مختلفة حول حدود المصطلحات التي تركز عليها بحوثهم^(١)، لذلك قال د. أحمد عفيفي بشأن تعريف النص: ((تعددت تعريفاته وتنوعت، بل وتداخلت إلى حد الغموض أحياناً أو التعقيد أحياناً أخرى، فبعض تعريفات النص تعتمد على مكوناته الجمالية وتتابعها، وبعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط، وبعض ثالث يعتمد على التواصل النصي والسياق، وبعض رابع يعتمد على الإنتاجية الأدبية أو فعل الكتابة وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصاً، فيكون لدينا حصيلة كبرى من التعريفات التي تقرّنا من ملامحه))^(٢). سنعرض بعض التعريفات المتعلقة بالنص عند العلماء المهتمين بالدراسات النصية، ولاسيما علم نحو النص.

فالنص عند (بارت) ((نسيج الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسقة، إذ تفرض شكلاً ثابتاً ووحيداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً))^(٣).

وذهب (برينكر) في تعريفه للنص بأنه ((تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل))^(٤)، وعرفه أيضاً على أنه ((مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القسوية، تتربط بعضها مع بعض على أساس محوري موضوعي أو جملة أساس، من خلال علاقات منطقية دلالية))^(٥).

(١) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري: ١٠٧.

(٢) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: د. أحمد عفيفي: ٢١.

(٣) دراسات في النص والتناصية، د. محمد خير البقاعي: ٢٦.

(٤) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٢٧.

(٥) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٠٩ - ١١٠.

وترى جوليا كريستيفا أنّ النصّ: ((جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلّي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه))^(١).

وعرف فان دايك النصّ بأنه: ((بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية عميقة دلالية))^(٢). يهدف فان دايك من خلال تعريفه للنصّ إلى إبراز وجود علاقات معنوية تسهم في تماسك النصّ، بالإضافة إلى العلاقات الشكلية الظاهرة، أي أن هناك تماسكاً دلاليّاً يكمل التماسك النحوي.

أما (هاليداي ورقية حسن) فقد أشارا إلى أن كلمة "نص" تُستعمل في اللسانيات للإشارة إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة، مهما كان طولها، بشرط أن تكون وحدة متكاملة، ووحدة لغوية في الاستعمال^(٣).

ويذهب الدكتور صبحي إبراهيم الفقي إلى أن التعريف الشامل للنصّ هو تعريف (روبرت دي بوجراند) بأنه ((حدث تواصلّي يلزم لكونه نصّاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير))^(٤)، وهذه المعايير، هي: السبك (الاتساق)، الحبكة (الانسجام)، القصد، القبول، رعاية الموقف،

(١) علم النصّ، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي: ٢١.

(٢) مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ، زتسيسلاف واورزنيّاك، ترجمة: سعيد حسن بحيري: ٥٦.

(٣) ينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٢٢.

(٤) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي: ٣٣/١.

التناس، الإعلامية^(١). واختصت دراستي بمعياري (الاتساق والانسجام)؛ لأنهما من أهم المعايير التي تحقق ترابط النص وتماسكه.

أولاً- الاتساق

يعدُّ الاتساق من المعايير الأساسية المتصلة بالنص نفسه اتصالاً وثيقاً، إذ جعله (دي بوجراند) أول المعايير النصية السبعة وفيه تتحقق نصية النص، ويرى فيه (دي بوجراند) أنه ((يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط))^(٢)، فهو يشير إلى الجانب الشكلي للنص الذي تظهر عليه وسائل تهتم بالترابط اللفظي بين أجزاء النص على مستوى البنية السطحية، ويرى (محمد خطابي) كسابقه أنَّ الاتساق ((ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته، ومن أجل وصف اتساق الخطاب/ النص يسلك المحلل - الواصف طريقة خطية، متدرجاً من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالباً) حتى نهايته، راصداً الضمائر والإشارات المحيلة، إحالة قبلية أو بعدية، مهتماً أيضاً بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، والاستدراك وهلم جرا. كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/ الخطاب يشكل كلاً متآخذاً))^(٣). يوافقهما سعد مصلوح في هذا فيقول: أنه ((يختص بالوسائل التي تحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان: ١٠٣ - ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٣.

(٣) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي: ٥.

بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها، بما هي كم متصل على صفحة الورق^(١).

بينما يرى الباحثان (هاليداي ورقية حسن) أنّ مفهوم الاتساق مفهوم دلاليّ، إذ يحيل على العلاقات المعنوية القائمة داخل النص اللغوي والتي تحدده نصّاً^(٢)، فهدف الباحثين لم يقتصر على التماسك الشكلي للنص فحسب، بل امتد ليشمل إبراز الآلية التي تحدد ما يميز النص عن غيره^(٣). ويذهب محمد خطابي إلى أن ((الاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضاً في مستوياتٍ أخرى كالنحو والمعجم))^(٤).

ويمكن أن نعرف الاتساق على أنه ((مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النصّ متماسكة ببعضها البعض))^(٥).

ثانياً - الانسجام

يعدّ الانسجام المعيار الثاني من المعايير النصية التي حددها (دي بوجراند) من بعد الاتساق^(٦)، وهو ما ((يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي))^(٧)، والمعرفة هي الدلالة المقصودة التي تنقلها التعبيرات الواردة في النص والتي تحقق للنص استمرارية معناه المقصود^(٨)، هذا يعني أنّ الانسجام له ارتباط بالمعنى، فهو

(١) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، سعد عبد العزيز مصلوح: ٢٢٧.

(٢) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٥.

(٥) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، محمد الشاوش: ١ / ١٢٤.

(٦) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٨.

(٧) المصدر نفسه: ١٠٣.

(٨) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية (روبرت دي بوجراند و ولفجانج درسلر)، د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: ١٢٠، والدلالة والنحو، صلاح الدين صالح: ٢٧٣.

معيّارٌ مختصٌّ برصدِ الوسائل التي تحقق للنص الاستمرارية الدلالية التي تعمل على إيجاد الترابط المفهومي في عالم النص^(١)، وللمتلقي الدور الأساس في اكتشاف انسجام النص من عدمه واستخراج المعنى المقصود الذي يحمله والمعلومات المرتبطة به، وذلك بالاعتماد على معرفته وخبرته بعالم النصّ، وهو ما يساعده على فهمه وإدراك مضمونه، وتجنب الغموض الذي قد يكتنفه^(٢).

وبذلك، فإنّ الانسجام كما يعرفه (فان دايك) هو ((خاصية دلالية للخطاب، تقوم على تأويل كل جملة، الواحدة بعد الأخرى))^(٣).

وما تذهب إليه الباحثة هو أن معيار الاتساق يعنى بالجوانب الشكلية للنصّ التي نصّ عليها العلماء، ولكنه لا ينفك أيضاً عن الجانب الدلالي، إذ من المستحيل أن يتشكّل نصّ ما لفظياً بطريقة صحيحة من دون أن يكون ذا دلالة، وهنا تجدر الإشارة إلى ما ثبته علماؤنا الأوائل على أهمية مصطلح (الإفادة) في تعريفهم للكلام، فهم يربطون بين الجانبين (الشكلي والدلالي)، لمعرفة الوافرة على أن هذين الجانبين لا ينفك أحدهما عن الآخر.

ولكننا نجعل (الاتساق) للجانب الشكلي فقط لأغراض الدراسة والبحث لا بقصد فصله عن الجانب الدلالي، وهذا هو ما ينطبق على مفهوم الانسجام أيضاً.

(١) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٩٠.

(٢) ينظر: الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوية، سالم بن محمد المنظري: ٥٤، واتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص (بحث)، سعيد حسن بحيري: ١٧٥.

(٣) سيميائية النص الأدبي، أنور المرتجي: ٨٨.

الفصل الأول

الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

المبحث الأول: التكرار المعجمي

المبحث الثاني: المصاحبة المعجمية

توطئة:

يُعدّ الاتساق المعجمي وسيلة من وسائل الاتساق النصي ومصدراً أساسياً للربط اللفظي، ونعني به ((العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النصية، وهي علاقة معجمية خالصة لا تقتصر إلى عنصر نحوي يظهرها))^(١)؛ لأن المعجم هو عماده^(٢)، فيتحقق الربط المعجمي عبر اختيار المفردات المحيلة من عنصر لغوي إلى آخر مما يضمن للنص أن يستمر معناه ويعطي له صفة النصية، فتتضافر العناصر المعجمية على نحوٍ منتظم لتحديد فكرة النص الأساسية وتكوينها عن طريق تفسير عناصرها المعجمية الأخرى المتصلة بها، ليسهم في فهم النص عند سماعه من قبل المتلقي أو قراءته^(٣).

ويتحقق هذا النوع من الاتساق عبر وسيلتين، هما^(٤):

- التكرار

- والمصاحبة المعجمية (التضام)

ولذا سنتناول هذين النوعين من الاتساق المعجمي في هذا الفصل من خلال بحثين هما: (التكرار المعجمي _ المصاحبة المعجمية (التضام)).

(١) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج: ١٠٦.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ١٣٨/١.

(٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل: ١٠٥.

(٤) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٤، ولسانيات النص مداخل نظرية مع دراسة إجرائية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، سعد سرحت: ١٢٤.

المبحث الأول

التكرار المعجمي

يُعدّ التكرار وسيلة من وسائل الاتساق المعجمي ومن أهم مظاهر اتساق النص ومختلف عن جميع الأدوات الشكلية النحوية^(١)، ويعنى به ((إعادة الكلمة أو الكلمات مرة أخرى داخل النص نفسه))^(٢)، فهو ذو علاقة نصية لسانية تلبي حاجة المتكلم النفسية والذهنية^(٣)، والتكرار حسب ميشال شارول ((من الروابط التي تصل بين العلاقات اللسانية، فقاعدة التكرار الخطابية تتطلب الاستمرارية في الكلام، بحيث يتواصل الحديث عن الشيء نفسه بالمحافظة على الوصف الأول أو بتغيير ذلك الوصف))^(٤)، ويشير النصيون إلى أنّ التكرار النصي يقوم على إعادة ذكر عنصر معجمي أو مرادف له أو شبه مرادف أو التعبير عنه بعنصر مطلق أو اسم عام^(٥)، وإنّ العنصر المكرر يبقى على نفس المرجع مما يسهم في ثبات النص واستمراره عن طريق الاستمرار بالإشارة إلى المرجع ذاته في عالم النص^(٦)، ونشير إلى أنّ ظاهرة تكرار الألفاظ المفردة في الكلام الشفهي أكثر من الكلام المكتوب، فالتكرار على هذا الأساس يعدّ سمة بارزة للغة المنطوقة^(٧)، لذلك يستعمله المتكلم المتكلم من أجل تقرير حقيقة معينة وتأكيدا أو للتعبير عن الدهشة أو لتدعيم ثبات النص واتساقه، وغيرها من الأغراض^(٨).

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٤.

(٢) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٠٦.

(٣) ينظر: مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، نعمان بوقرة، ٣٩.

(٤) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة: ١٠٠.

(٥) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٤.

(٦) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٥.

(٧) ينظر: اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة بحث في النظرية، محمد العبد: ١٤١.

(٨) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٠٧.

وقد اعتمد البحث على ثلاثة أنماط لهذه الوسيلة المعجمية التكرارية، وهي^(١):

أولاً- التكرار الكلي

ثانياً- التكرار الجزئي

ثالثاً- التكرار الدلالي

رابعاً- التكرار ب (الكلمة الشاملة والعامة)

أولاً: (التكرار الكلي) التكرار المباشر: ويقصد به تكرار المفردة نفسها في النص، أي تكرارها بلفظها ومعناها من دون تغيير^(٢)، ويعدُّ مثل هذا النوع من التكرار من أعلى الدرجات؛ لكثرة استعماله وتأكيده على بعض القضايا المهمة^(٣)، إذ ((يسمح لنا بتحديد الجمل الأساسية والثانوية في النص وتحديد الكلمات المحورية التي يميل الكتاب غالباً إلى تكرارها))^(٤). ويكون أما بتكرار المفردة نفسها أو بتكرار العبارة أو الجملة.

أ- تكرار المفردة نفسها

ومن تكرار المفردة الذي ورد في أحاديث جهاد النفس نورد منه مما جاء في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال: (أَيُّمَا أَهْلٍ بَيْتٍ أُعْطُوا حَظُّهُمْ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٦، والرسائل والوصايا في نهج البلاغة (دراسة في ضوء علم لغة النص) (اطروحة دكتوراه)، ورود سعدون عبد: ٤٠.

(٢) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد: ٨٠، ونحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنيد: ١٣٩.

(٣) ينظر: لغة القانون في ضوء علم لغة النص دراسة في التماسك النصي، سعيد أحمد بيومي: ١٦٧.

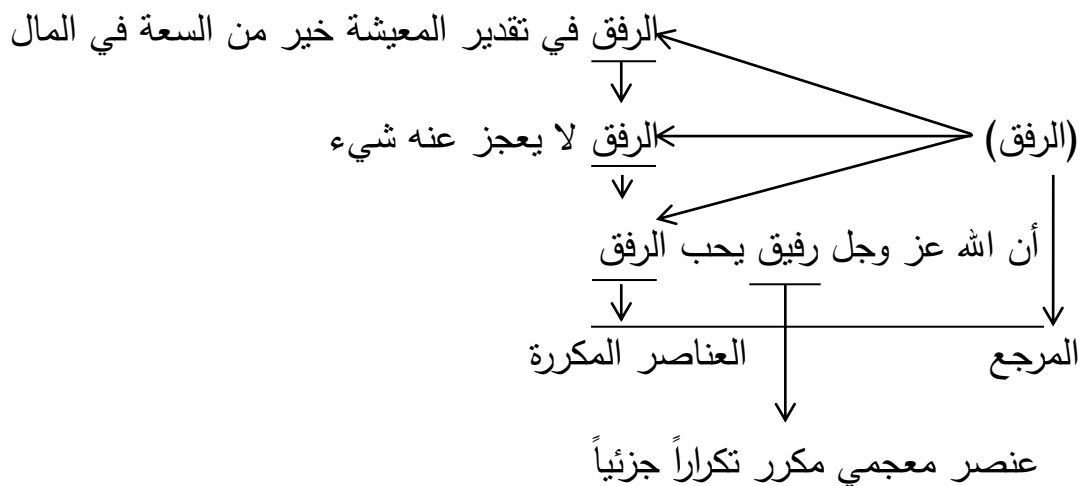
(٤) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٠٧.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

فِي الرِّزْقِ، وَالرَّفْقُ فِي تَقْدِيرِ الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنَ السَّعَةِ فِي الْمَالِ، وَالرَّفْقُ لَا يَعْجُزُ عَنْهُ شَيْءٌ وَالتَّبَذِيرُ لَا يَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ^(١).

أول ما نلاحظ في هذا الحديث أنه يدور بأكمله حول موضوع واحد وهو (الرفق) وأهميته في حياة المسلم، فنرى أن كلمة (الرفق) ومشتقاتها تتكرر بشكل واضح، مما يربط بين جميع أجزاء الحديث ويوحد المعنى، إذ ورد تكرار لفظة (الرفق) أربع مرات، ومرة واحدة جاء تكرارها جزئياً (رفيق)، فعمل ورودها هذه اللفظة في النص عبر تكرارها المتواصل على تحديد قضية النص الأساسية، وهي (استحباب الرفق في جميع الأمور).

فالعنصر المعجمي المكرر الذي نلاحظه (الرفق) قد جاء تكراره تكراراً كلياً باللفظ والمعنى والمرجع نفسه، وهذا يعني أن النص مستمر بتتابع فكرته على سطح النص، وإن هذه الاستمرارية المتكررة للفكرة والموضوع نفسه قد أعطى النص ثباتية وقوة واضحة بقوة هذا الاستمرار^(٢)، لذا نرى أن أثر التكرار قد بان واضحاً في تحقيق الاتساق النصي، ويمكننا أن نوضح هذا التكرار بالمخطط الآتي:



(١) وسائل الشيعة: ٢٧٠/١٥.

(٢) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٠٦.

يتبين من هذا المخطط أنّ تكرار لفظة (الرفق)، قد امتدت على مستوى سطح النص إذ جاء حضورها مكثفاً ومستمرّاً محققة بذلك وظيفتها الاتساقية، وأنّ تكرار هذا العنصر دون غيره من العناصر؛ لوروده في النص بنسبة عالية جعلته متميزاً عن نظائره مما ساعدنا على فك شفرة النص وإدراك دلالاته وهذا شرط لتحقيق الاتساق النصي^(١)، ويلحظ أيضاً أنّ لفظة (الرفق) قد تكررت في نهاية النص لتضيف خبراً جديداً للمكرر السابق في (أن الله رفيق يحب الرفق)، محققة بذلك وظيفتها التداولية من خلال لفت أسماع المتلقين لأهمية هذا العنصر ودوره في حياة الإنسان^(٢)، ومن ثم أنّ هذا التكرار قد أدى دوراً ترابطياً في بنية النص عبر استمرارية وامتداد ذلك العنصر المعجمي المكرر من بداية النص حتى آخره مما أسهم في اتساق النص وترابطه^(٣). نرى أن الاتساق النصي يظهر في هذا الحديث من خلال عدة جوانب، أهمها:

١- الوحدة الموضوعية، إن تكرار لفظة (الرفق) يؤكد على الفكرة الرئيسية ويبرز أهميتها.

٢- التدرج المنطقي، فالحديث ينتقل من العام إلى الخاص، ومن الفكرة الرئيسية إلى التفاصيل الداعمة لها، يبدأ بتأثير الرفق على الرزق بشكل عام (أهل البيت أعطوا حظهم من الرفق)، ثم ينتقل إلى أهمية الرفق في تدبير شؤون الحياة. بعد ذلك، يوضح أن الرفق هو الحل لكل شيء، بينما التبذير يؤدي إلى عكس ذلك. وفي النهاية، يختتم الحديث بالربط بين الله عز وجل والرفق، مما يعزز قيمة الرفق ويحث على التمسك به.

(١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢١/٢-٢٢.

(٢) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧٩.

(٣) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢٢/٢.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

٣- الختام المؤثر، إذ يختتم الحديث بذكر أن الله عز وجل (رفيق يحب الرفق)، مما يضيف بعداً دينياً وأخلاقياً للموضوع، ويوحى بأن الرفق صفة محبوبة عند الله، مما يزيد من تأثيرها في النفس.

كل هذه الجوانب جعلت النص متماسكاً، سهل الفهم، ومؤثراً في نفس السامع، ويدعو إلى التمسك بالرفق في جميع جوانب الحياة.

وكذلك ما ورد عن الإمام جعفر بن محمد عن آبائه (عليهم السلام) في وصية النبي (ﷺ) لـعلي (عليه السلام) قال: (يَا عَلِيُّ إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ، يَا عَلِيُّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الدُّنْيَا اخْدُمِي مَنْ خَدَمَنِي، وَأَتَعَبِي مَنْ خَدَمَكَ، يَا عَلِيُّ، إِنَّ الدُّنْيَا لَوْ عَدَلَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لَمَا سَقَى الْكَافِرَ مِنْهَا شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ، يَا عَلِيُّ، مَا أَحَدٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا وَهُوَ يَتَمَنَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ لَمْ يُعْطَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا قُوتاً)^(١).

ففي هذا النص الحديثي نجد موضعين للتكرار، إذ ورد تكرار أسلوب النداء مع اسم المخاطب نفسه (يا علي)، وتكرار اللفظة المفردة (الدنيا).

ولكون وصية النبي (ﷺ) قد تضمنت خطاباً إخبارياً محوره بيان حقيقة الدنيا، ولكون هذه الأخبار موجهة إلى طرف المخاطب المتمثل بشخص الإمام (عليه السلام)، جاء النص متضمناً تكراراً ندائياً للمنادى المخاطب (علي)، وجاء مكرراً أربع مرات ومع بداية كل فقرة من فقرات النص ومثل تكراره في النص (محور الخطاب).

وعلى الرغم من الإمام (عليه السلام) كان عارفاً بأحوال الدنيا لما خصّه الله تعالى به من منزلة عظيمة تمثلت بالعصمة والمعرفة، إلا أن هذا التكرار كانت له غايات، منها:

(١) وسائل الشيعة: ١٧/١٦-١٨.

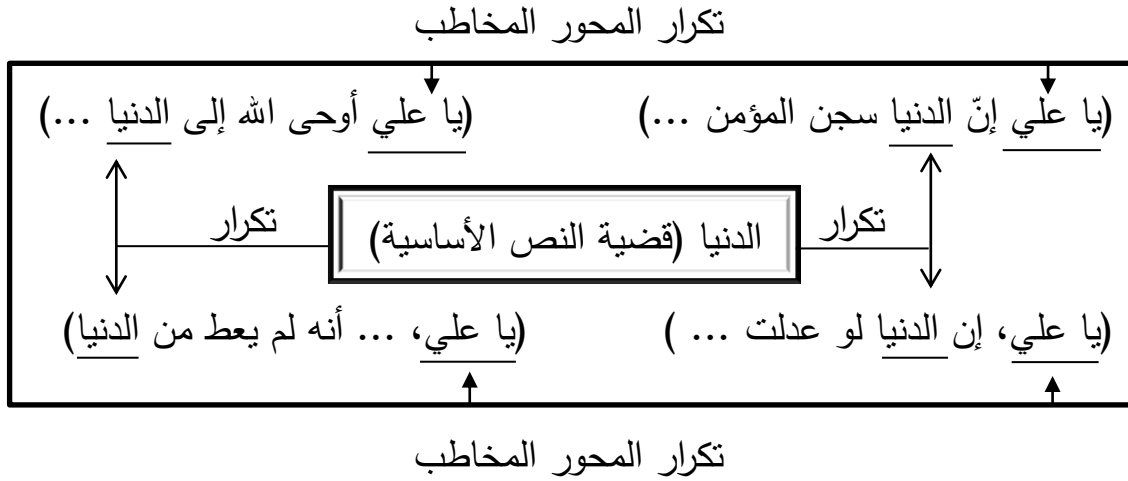
الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

١- إذا كان الإمام (عليه السلام) وهو بهذه المنزلة المعروفة وكان الرسول (ﷺ) يوصيه، ويكشف له أحوال الدنيا فما بال من هم دون الإمام في العلم والمعرفة؟! فهذا التوجيه الخطابي القائم على تكرار أسلوب النداء في النص يجعل المتلقي لهذا الحديث هو المقصود على مر الأزمان، فالتكرار هنا منح النص تماسكاً من جهة، واستقراراً من جهة أخرى، وهذا الأمر قائم على طبيعة العنصر المكرر في النص.

٢- إن تكرار أسلوب النداء والمنادى (يا علي) غرضاً قصده النبي (ﷺ)، وخصوصاً عند بداية الحديث يبدأ بالنداء المباشر للإمام علي (عليه السلام): (يا علي)، هذه الصيغة تُظهر أهمية الموضوع المطروح، وتعكس العلاقة الخاصة بين النبي (ﷺ) والإمام (عليه السلام)، فجاء تكرار اسمه لمكانته الخاصة والكبيرة عند المتكلم، ولقرب الإمام (عليه السلام) من نفس المتكلم أراد النبي (ﷺ) أن يضيف إلى جو الوصية مناخاً نفسياً، وكذلك جاء تكراره لإلزام الآخرين بها.

أما تكرار لفظة (الدنيا)، فقد وردت في النص أربع مرات، وجاءت في موضعين مرتبطة بحرف التوكيد (إن)، وعمل حضورها المكثف في داخله على إيضاح فكرته الأساسية وتأكيداها عند المخاطب أولاً والمتلقي غير المباشر ثانياً، وهو: (استحباب ترك ما زاد عن قدر الضرورة من الدنيا)، فيلاحظ أن تكرار لفظة (الدنيا)، قد مثّلت المحور الذي دار عليه حدث النص وعليه قامت جملة، فالتكرار بتلك المفردة، قد شدّ النص وربط محاوره بالقضية الأساسية ((حيث أسهم التكرار بربط الوحدات النصية الكبرى بالوحدات النصية الصغرى؛ مما يخلق أساساً مشتركاً بينها، ويحكم العلاقات بين أجزاء النص))^(١)، ويمكن التمثيل لعملية التكرار هذه بالمخطط الآتي:

(١) أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف (بحث)، نوال بنت إبراهيم الحلوة: ٢٤.



يظهر لنا أنّ تكرار المنادى المخاطب (يا علي)، ولفظة (الدنيا)، قد اكسبا النص استمرارية دلالية واضحة تصب في موضوع واحد وهو التأكيد على استحباب ترك كل ما يزيد عن الضرورة في الحياة الدنيا من خلال الإشارة إلى المرجع ذاته في عالم النص^(١). وعليه نجد أنّ هذا الامتداد التكراري قد أسهم باتساق النص وربط عناصره مع بعضها البعض من خلال تنشيط المتكلم ذهن المتلقي بتكرار العناصر المعجمية على مستوى سطح النص في بدايته ووسطه ونهايته^(٢)، ((وهذا ممّا قلل تشتت المتلقي وجعل عنده حالة من الاستقرار النفسي))^(٣).

وأيضاً ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: (أَلْقِ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ، عَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ فَنِعْمَ الْخُلُقُ الصَّبْرُ، وَاخْمِلْهَا عَلَى مَا أَصَابَكَ مِنْ أَهْوَالِ الدُّنْيَا وَهُمُومِهَا)^(٤).

نلاحظ من النص السابق تكرار لفظة (الصبر) ثلاث مرات في النص، إذ تكررت هذه اللفظة ببنياتها ومعناها، وشكل حضورها في النص أهمية كبيرة؛ لكونها المكون الأساسي

(١) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية (روبرت دي بوجراند و ولفجانج درسلر): ٨٥.

(٢) ينظر: التماسك النصي في لامية العرب (بحث)، د. مطلق محمد مبارك المرشاد: ٣١.

(٣) نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: ١٤١.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٦٣/١٥.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

وموضوعه الذي دار عليه حدث النص، وبدون تكرار هذه المفردة (الصبر) لا يمكن فهم النص، لذلك يُعدّ التكرار ((خير وسيلة للتذكير بما سبق وإنه حين يعدل عنه إنما يكون ذلك توخياً لمبدأ الاختصار))^(١)، لذلك جاء تكرارها في النص من أجل الدعم الدلالي وأنّ تكرار هذه المفردة دون غيرها من المفردات يؤكد على أهميتها في بناء المعنى ومحوريته^(٢)، أي إنّ التكرار الذي نلمحه في هذا النص قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى العام للنص ويُعدّ هذا شرطاً أن يرتبط التكرار بالمعنى العام للنص^(٣). لذا أكدت هذه اللفظة من خلال تكرارها المتواصل على ضرورة الصبر في جميع أمور الحياة، وكل سياق وردت فيه لفظة (الصبر) نرى إنها تحتفظ بالمدلول نفسه، مما أسهمت في استقرار النص بشكلٍ راسخ واستمراريتها الواضحة في أرجاء النص^(٤)، وذلك ((من خلال التركيز والإصرار على إعادة الفكرة ذاتها، في الفقرة نفسها أو فقرة أخرى من العمل، فتشكّل بناءً على هذا ما يعرف بالوحدة العضوية))^(٥).

ولهذا النوع من تكرار الكلمة نفسها أمثلة أخرى يمكن للبحث الإحالة إليها^(٦).

ب- تكرار العبارة أو الجملة

أما تكرار العبارة أو الجملة فنرى أنّ تكرار العناصر المعجمية للفظ الواحد التي سبق تحليلها في النصوص السابقة ليست الضامن الوحيد لاتساق النص وتربطه، وإنما المنظم له

(١) مقالات في اللغة والأدب، تمام حسّان: ١٩٥/١.

(٢) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٠٨.

(٣) ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة: ٢٣١.

(٤) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية (روبرت دي بوجراند و ولفجانج درسler): ٨٥.

(٥) المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة، يسري نوفل: ١٠١.

(٦) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج ١٥ / ١٦٢ - ١٧٢ - ١٩٦ - ٢١٩ - ٢٢٠ -

٢٢٧ - ٢٥٨ - ٢٦٣ - ٢٩٣ - ٢٩٨ - ٣٧٦، وج ١٦ / ١٢ - ٩٧.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

هو التركيب^(١)، لذا يسهم التكرار التركيبي للعبارة أو الجملة باتساق النص ويجعل منه أكثر ارتباطاً وتلاحماً.

ومما تكررت فيه العبارة في أحاديث جهاد النفس عن الإمام الرضا، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ فِي الْجَنَّةِ لَا مَحَالَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَسُوءَ الْخُلُقِ فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ فِي النَّارِ لَا مَحَالَةَ)^(٢).

نلاحظ في النص السابق ورود تكرار تامّ لعبارتين قد تجسدا في النص (حسن الخلق) و(سوء الخلق)، ونرى أنّ العبارتين المكررتين قد جاء تكرارهما في سياق التفصيل، وأنّ غرض تكرارهما تعليلاً وبياناً للسبب والنتيجة، فالرسول (ﷺ) قد أمر الناس وألزمهم بحسن الخلق؛ لأن الملتزم بحسن الخلق في الجنة لا محالة، وتحذير الناس من سوء الخلق؛ لأن سوء الخلق في النار لا محالة، فيلاحظ كيف أنّ العبارتين المكررتين قد ارتبطا بالسبب والنتيجة، فضلاً عن ذلك، نرى أن المسافة بين كل من العبارة المكررة والأخرى قريبة بينهما، وذلك من أجل تقرير المعلومة وتوكيدها في نفس المتلقي^(٣)، فقضية النص الأساسية كما نرى هي (التأكيد على أهمية السلوك الحسن كسبيل لدخول الجنة، والتحذير من سوء الخلق وبيان عواقبه الوخيمة في الآخرة)، فكان الغرض من هذا التكرار هو التأكيد ولا يكون ((التكرار تأكيداً إلا إذا توفر أصل التوكيد وهو جعل الشيء ثابتاً في ذهن المخاطب))^(٤)، ولتوضيح عملية التكرار التي وردت في النص نرسم المخطط الآتي:

(١) ينظر: دينامية النص تنظير وانجاز، محمد مفتاح: ١٦٤.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٩/١٦.

(٣) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية (روبرت دي بوجراند و لفجانج درسلر): ٨٢.

(٤) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ٧٥٧/٢.

عليكم بحسن الخلق

فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة

وإياكم وسوء الخلق

فإن سوء الخلق في النار لا محالة

فلنلاحظ أنَّ في التكرار الوارد في النصَّ أمران:

١- تكرار العبارتين مرتين فقط، ومثلُّ هذا التكرار لا يخلق في العادة اتساقاً نصياً في النصوص الكبرى، وإنما حصل الاتساق هنا لكون الحديث المروي قصيراً.

٢- أنَّ الذي ساعد على اتساق النص ودعم دلالاته أكثر هو التكرار القائم على التضاد في (حسن الخلق) X (سوء الخلق)، وهذه الثنائية القائمة على التضاد تشكّل محور الحديث، وتبرز التباين بين السلوك الحميد والسلوك السيء، فذكر العبارة الأولى يستدعي ذكر العبارة الأخرى. ومن ثم فإنَّ تكرار الجمل في سياق التفصيل منتجٌ ترابطاً على مستوى سطح النص، إذ سلَّط الضوء على المفهوم الذي أراد النبي (ﷺ) إيصاله للمتلقي، وهو الالتزام بحسن الخلق، والتحذير من سوء الخلق.

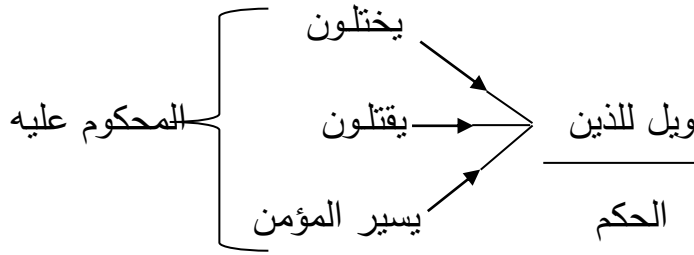
ومن أمثلة ذلك ما رُود في حديث الرسول (ﷺ)، إذ قال: (وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَخْتَلُونَ الدُّنْيَا بِالْأَدْنَى، وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ، وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَسِيرُ الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ بِالتَّقِيَّةِ، أَبِي يَغْتَرُّونَ؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرُّونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لَا تُحِنَّ لَهُمْ فِتْنَةٌ تَتْرُكُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانٌ)^(١).

نرى في النص السابق تكرار جملة (ويل للذين) ثلاث مرات في النص، وقد جاء تكرار (ويل للذين) في بداية كل جملة، وإن تكرار لفظ أو عدّة ألفاظ في بداية كل جملة من جمل

(١) وسائل الشيعة: ٣٥٦/١٥.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

النص يهدف إلى التأكيد^(١)، فكان للتكرار للسابق أثر في ترابط أجزاء النص، إذ عمل على لفت انتباه الملتقي، فاستهلال الخطاب بهذا الوعيد أو التهديد المشحون بالرعب والخوف وتكراره؛ للتأكيد والتنبيه والتهويل لأولئك الذين يطلبون الدنيا بعمل الآخرة^(٢)، فأطلق عليهم صفة الختل والختل بمعنى الخداع، وقد ختل ختلاً^(٣)، وكذلك للذين يقتلون من أمر بالقسط من الناس، والذي يسير المؤمن فيهم بالنقية، فهذا النوع من التكرار الذي ارتكز على الدعاء والوعيد، قد جعل الملتقي في حالة نشطة لمعرفة ما يترتب على الذين ذكرناهم في النص السابق، فتكرار جملة (ويل للذين)، قد أسهمت في ترابط جمل النص وأضافت بعداً جديداً له؛ لأن ((التكرار عامة يسمح للمتكلم أن يقول شيئاً مرة أخرى بالتتابع مع إضافة بعدٍ جديد له))^(٤)، وعلى النحو الآتي:



والملاحظ على هذه الجملة المكررة أمور عدة منها:

- ١- إنها جملة اسمية، وهي دالة على الثبات والاستقرار، مما يمنح النص توكيداً آخر غير التكرار.

(١) ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد: ١١٩.

(٢) ينظر: شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، (ت ١٠٨١هـ)، تحقيق السيد علي عاشور: ٣٠٤/٩.

(٣) ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مادة (ختل)، ٢٣٨/٤.

(٤) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٠٦.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

٢- إنها بدأت بنكرة، وهذا من مواضع جواز البدء بها، كالدعاء وغير ذلك. فضلاً عن أن النكرة دالة هنا على التهويل والتعظيم.

٣- إن هذه الجملة تعطي الحكم أولاً ثم تذكر المحكوم عليه، وقد جرت العادة أن يتم ذكر الحالة (المحكوم عليه) ثم ما يستحقه من الحكم، إلا أن السياق هنا دال على عظم هذه الحالات الثلاث فكان تقديم الحكم أولاً باعثاً على عظمة هذه الأمور.

وبذا يتضح أهمية تكرار هذه الجملة في اتساق النص وتأدية معانيه وجعله متماسكاً ومتربطاً بين الحكم والحالات الثلاث المذكورة.

ومن هذا التكرار أيضاً تكرار شبه الجملة ما ورد عن الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّهَا وَيَأْكُمُ وَمَذَامَ الْأَفْعَالِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُهَا، وَعَلَيْكُمْ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَعَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنَّهُ يَبْلُغُ بِصَاحِبِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَعَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْجَوَارِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ أَمَرَ بِذَلِكَ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَالِكِ، فَإِنَّهُ مَطْهَرَةٌ وَسُنَّةٌ حَسَنَةٌ وَعَلَيْكُمْ بِفَرَاغِصِ اللَّهِ فَأَدُّوْهَا، وَعَلَيْكُمْ بِمَحَارِمِ اللَّهِ فَاجْتَنِبُوهَا)^(١).

فنلاحظ أن هذا الحديث يتميز بأسلوب إرشادي مباشر، يعتمد على أوامر ونصائح موجزة ومؤكدة، مما يجعله سهل الفهم والحفظ، وذا تأثير عميق على المستمع، لذلك يبدأ الحديث بتكرار كلمة أو شبه الجملة (عليكم)، أي: (الزموا، عليكم الالتزام)، مما يخلق بناءً تركيبياً متوازياً، أسهم في استمرارية النص وتدعيم قضيته الرئيسية التي أراد الإمام (عليه السلام) إيصالها للمتلقي، إذ أول ما نلاحظ في هذا النص تكرار لفظة (عليكم) التي وردت في النص سبع مرات، مما جعلها مسيطرة هذه اللفظة على سطح النص من بدايته إلى نهايته، فلما كان المتكلم الإمام (عليه السلام) يتحدث حول قضية مهمة وأساسية، وهي (وجوب أن يتخلق

(١) وسائل الشيعة: ٢٠٠/١٥.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

الإنسان بمكارم الاخلاق وذكر جملة منها، مع ضرورة الابتعاد عن مذام الأفعال؛) أورد اسم فعل الأمر المنقول عن الجار والمجرور الذي جاء بمعنى التمسك والإلزام بالأمر^(١)، وهو (عليكم)، وإنَّ استعمال المتكلم اسم فعل الأمر بدلاً من استعمال فعل الأمر نفسه يدلُّ على أمرين^(٢):

١- إنَّ اسم الفعل الدال على الطلب (عليكم) يُعدُّ أقوى وأبلغ في أداء المعنى من دلالة فعل الأمر (الزم).

٢- يتميز بقدرته على الإيجاز والاختصار، والسرعة مع توكيد المعنى والمبالغة فيه.

وعلى الرغم من مجيء لفظة (عليكم) وتكرارها في سياقات دلالية وتركيبية متنوعة من (عليكم بمكارم الأخلاق، وتلاوة القرآن، وحسن الخلق، وحسن الجوار، ...) إلا أنَّ تلك السياقات تُعدُّ قضايا متعلقة ومتراصة فيما بينها ومنسجمة مع فكرة النص الأساسية التي بُني لأجلها، فكل تلك المراجع المتنوعة بعد اللفظ المكرر (عليكم) تدلُّ على فكرة محورية واحدة وهي وجوب التخلق بمكارم الأخلاق والالتزام بها، والحذر من مذام الأفعال والابتعاد عنها، وهذا التكرار يعزز من أهمية كل نصيحة واردة في النص، ويضفي عليها صفة الإلزام والوجوب. ومع ذلك أورد مع كُل قضية نتيجة تُبرر سبب الالتزام بتلك القضايا، فجاء بحرف التوكيد (إنَّ) مكرراً خمس مرات في النص ليؤكد نتيجة كُل قضية، مما ساعد هذا الحرف ((على إشاعة الهدوء والثبات في النص الذي توحى به الجملة))^(٣)، لكونها واقعة في جواب جملة الأمر (فإنَّ) المقترنة بالفاء الدالة على تعليل ذلك الأمر. وكذلك أورد تكرار لفظ الجلالة (الله) خمس مرات في النص، فجاء به مرتين في (سياق الإلزام) ومرة في (سياق التحذير) ومرتين في (سياق الأمر)، وأغلب مجيئه مع بعض النتائج التي تؤكد على الالتزام

(١) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن: ١٤٧/٤.

(٢) ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي: ٤٢٣/٤.

(٣) الرسائل والوصايا في نهج البلاغة دراسة في ضوء علم لغة النص (اطروحة دكتوراه): ٤١.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

بالأمر وبعضها مقترناً بحرف التوكيد (إن)؛ ليعبر عن بواعث نفسية وليؤكد أن الله عز وجل هو الذي من أجله يجب الالتزام بمكارم الأخلاق ونحوها من (الالتزام بتلاوة القرآن وحسن الخلق وغير ذلك ...)، وبذلك أن تكرار لفظ الجلالة (الله) قد مثّل وسيلة إقناعية للتأثير في نفوس المتلقين على الالتزام بتلك القضايا، وهذا يؤكد ويدلّل على ((أن التكرار يمنح منتج النص وسيلة تقوي تعالق القضايا فيه، وتؤكد مقصده، وذلك يضيف على النص التأثير والإقناع من جانب، ويطرز سطحه من جانب آخر))^(١)، فالتكرار في ضوء ما تقدم قد أسهم في اتساق النص، وعمل على الاستمرارية الدلالية والقوة الإقناعية.

ثانياً: التكرار الجزئي: ونعني به ((تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفئات مختلفة))^(٢)، ويتم هذا النوع من التكرار باستعمال الجذر اللغوي للمفردة نفسها^(٣)، أي باستعمال ((المكونات الأساسية للكلمة (الجذر الصرفي)، مع نقلها إلى فئة أخرى، مثل: (ينفصل، انفصال)، (يحكم، حكم، حكام، حكومة)، ويطلق عليه التكرار المعجمي المركّب حيث يشترك عنصران معجميان في مورفيم معجمي واحد))^(٤).

ومن التكرار الجزئي الوارد في أحاديث جهاد النفس ما جاء عن مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنِ الإمام الباقر (عليه السلام)، إِذْ قَالَ: (يَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، ذُنُوبُ الْمُؤْمِنِ إِذَا تَابَ مِنْهَا مَغْفُورَةٌ لَهُ فَلْيَعْمَلِ الْمُؤْمِنُ لِمَا يَسْتَأْنِفُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، قُلْتُ: فَإِنْ عَادَ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ وَعَادَ فِي التَّوْبَةِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَرَأَيْتَ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَنْدَمُ عَلَى ذَنْبِهِ وَيَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وَيَتُوبُ ثُمَّ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَتَهُ؟ قُلْتُ: فَإِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا يُذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ وَيَسْتَغْفِرُ، فَقَالَ: كُلَّمَا عَادَ الْمُؤْمِنُ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ عَادَ

(١) أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف (بحث): ٣٥.

(٢) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٠٩.

(٣) ينظر: الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوية: ١٢٤.

(٤) علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٦.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، فَإِنَّكَ أَنْ تَقْنَطَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ^(١).

يحفل هذ النص بالألفاظ المكررة جزئياً التي جاءت على شكل سلاسل ممتدة فيه، فهذا النص قد تولد منه صيغ مختلفة لثلاث مفردات تعود كل مفردة منها إلى جذر لغوي واحد وهي: (ذَنْبَ) و(تَوْبَ) و(غَفَرَ)، إذ تولدت تلك الألفاظ وتكررت تكراراً جزئياً وامتدت على مستوى سطح النص من الوحدة النصية الكبرى (ذُنُوبُ الْمُؤْمِنِ إِذَا تَابَ مِنْهَا مَغْفُورَةٌ)، فالتكرار الجزئي للألفاظ الواردة في النص السابق قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتلك الوحدة النصية الكبرى، ومثلت بؤرة النص الأساسية.

فاللغة الأولى (ذُنُوبَ) ومشتقاتها: (ذُنُوبَ _ الذُّنُوبَ _ ذَنْبِهِ _ يُذْنِبُ)، إذ ترجع جميعها للجذر اللغوي (ذَنْبَ)، واللغة الثانية (تَابَ) ومشتقاتها: (تَابَ _ التَّوْبَةَ _ يَتُوبُ _ تَوْبَتِهِ)، إذ ترجع جميعها للجذر اللغوي (تَوْبَ)، والتي تدل على الرجوع: أي الرجوع من الذنب والتوبة إلى الله^(٢)، واللغة الثالثة (مَغْفُورَةٌ) ومشتقاتها: (مَغْفُورَةٌ _ الْمَغْفِرَةَ _ الْإِسْتِغْفَارَ _ يَسْتَغْفِرُ _ غُفُورٌ)، إذ ترجع جميعها للجذر اللغوي (غَفَرَ)^(٣).

نرى أنّ إعادة الألفاظ عبر التنقيب الصرفي لها جاء من خلال الجملة الأولى التي انطلق منها الخطاب، فالمفهوم السابق المنشط قد ساعد منشئ النص أو الذات المكونة للنص من إعادة استعماله بتقليبه صرفياً تبعاً لما يقتضيه المقام^(٤)، فالتكرار يستعمله منشئ النص ليوجّه نظره على قضية مهمة وأساسية في النص وليكشف عن اهتمامه بها، وهو

(١) وسائل الشيعة: ٧٩/١٦ _ ٨٠.

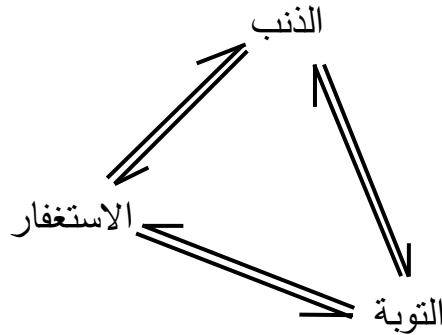
(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (توب): ٣٥٧/١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، مادة (غفر): ٣٨٥/٤.

(٤) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية (روبرت دي بوجراند و ولفجانج درسler): ٨٥.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيّمة^(١)، قد عمل على جذب أنباه المتلقي على قضية النص الأساسية وهي (ذُنُوبُ الْمُؤْمِنِ إِذَا تَابَ مِنْهَا مَغْفُورَةٌ) فتولدت من هذه الجملة ألفاظ تعود كل واحدة منها إلى جذر لغوي واحد، مما أسهمت في اتساق النص وربط جملة بعضها مع بعض وأضفت تنوعاً جديداً في كل جملة من جملة، وإنّ كل لفظ من تلك الألفاظ المكررة جزئياً قد حافظ على المعنى مع تلك الصيغ التي تشترك معه، وإنّ مثل هذا النوع من التكرار الذي يعمل على تكرار المعنى الأساسي للمفردة نفسها عبر تقليب جذرها الصرفي، قد أسهم في تحقيق الترابط النصي داخل النص^(٢)، ومما زاد في تماسك النص أيضاً هو أن هذه الألفاظ المكررة هي من حقل لغوي واحد، فهي ليست ألفاظاً من حقول دلالية متباعدة ومختلفة بل يستدعي ذكر أحدها ذكر الألفاظ الأخرى أيضاً، ويمكن توضيح هذا من خلال المخطط الآتي:



فهي متلازمة فيما بينها، وهذا خلق تماسكاً نصياً أكبر في الحديث المذكور.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) إنه قال: (كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْباً أَنْ يَتَعَرَّفَ مِنْ غُيُوبِ النَّاسِ مَا يَغْمَى عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ، أَوْ يَعِيبَ عَلَى النَّاسِ أَمْرًا هُوَ فِيهِ لَا يَسْتَطِيعُ التَّحَوُّلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، أَوْ يُؤْذِيَ جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَغْنِيهِ)^(٣).

(١) ينظر: قضايا الشعر المعاصر: ٢٤٢.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٧.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٨٩/١٥.

لقد شهد هذا النص تكراراً جزئياً ملحوظاً قد جاء بأشكالٍ متنوعة، إذ تكمن معرفة التكرار الجزئي عبر ورود اللفظة في النص باشتقاقات وصيغ مختلفة، لذلك يكثر مجيئه في الفعل والمصدر والمفرد والجمع^(١)، فالتكرار الجزئي الوارد في النص السابق قد كشف عن قضية النص الأساسية لينطلق منها وهو (استحباب أن ينشغل الإنسان بعيب نفسه بعيداً عن عيوب الناس وإظهار مساوئهم)، فنجد قد تكرر الجذر (عَيْب) على صور متنوعة جاءت على النحو الآتي: (عَيْباً _ عُيُوب _ يَعِيب)، وكلها تعود للجذر اللغويّ (عَيْب)^(٢)، فأسهم هذا التكرار باستمرارية معنى النص واتساقه، ويذهب ديسلر إلى أنّ هذا النوع من التكرار الجزئي يمكن منشئ النص من خلق صور لغوية جديدة؛ لأن كل عنصر من العناصر المكررة يعمل على تسهيل فهم الآخر^(٣).

وكذلك ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قَالَ: (مَنْ عَذَرَ ظَالِمًا بِظُلْمِهِ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ، فَإِنْ دَعَا لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ، وَلَمْ يَأْجُرْهُ اللَّهُ عَلَى ظُلَامَتِهِ).^(٤)

يلحظ من هذا النص تكراراً جزئياً للجذر (ظَلَمَ)، إذ ورد على أنماط متنوعة، هي: (ظَالِمًا _ بَظْلُمِهِ _ يَظْلِمُهُ _ ظُلَامَتِهِ)، فالتكرار كما نرى قد جاء على شكل متتالية خطية في النص لينتقل به من فئة إلى أخرى، أي من فئة المصدر إلى الاسم إلى الفعل بحسب ما يقتضيه سياق المقام، إذ أن هدف هذا التكرار هو تسليط الضوء على قضية النص الرئيسية وهي (تحريم الرضا بالظلم وتحريم معونة الظالم بظلمه)، فالجذر اللغويّ (ظَلَمَ) واشتقاقاته الممتدة على مستوى سطح النص قد عمل على ترابط أجزاء النص، وأزال الرتابة التي تؤدي

(١) ينظر: تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، محمود عكاشة: ٣٢٤.

(٢) ينظر: العين، مادة (عيب): ٢٦٣/٢.

(٣) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٠٦.

(٤) وسائل الشيعة: ٥٦/١٦.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

باللفظة أن تكون على وتيرة واحدة ومنظمة والتي يؤدي إليها مجرد التكرار التام^(١)، لذلك أضاف هذا التكرار للنص تنوعاً وتجديداً.

وعليه نرى أنّ إعادة هذه الألفاظ بأشكال متنوعة وأحالتها إلى قضية النص الرئيسية قد حقق الاتساق النصي، وكذلك حين تمّ توزيع تلك الألفاظ المشتقة وامتدادها على سطح النص يكون الاتساق المعجمي شاملاً هذا الامتداد^(٢).

ولهذا النوع من التكرار الجزئي أمثلة أخرى يمكن للبحث الإحالة إليها^(٣).

ثالثاً: التكرار الدلالي: وهو العلاقة بين الألفاظ التي تمثل ((محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في نفس الحقل المعجمي))^(٤)، ويقسم على:

أ- الاستبدال:

يُعدّ الاستبدال وسيلة من وسائل الاتساق، وركيزة أساسية داخل الخطاب النصي، إذ إنّ عملية تعويض عنصر لغوي بعنصر آخر داخل النص^(٥).

ويعني الاستبدال عند (ولاندهارفيج) ((هو إحلال تعبير لغوي محل تعبير لغوي آخر معين، ويسمى التعبير الأول من التعبيرين، المنقول، المستبدل منه، والآخر الذي حلّ محله، المستبدل به))^(٦).

(١) ينظر: النص والخطاب والاجراء: ٣٠٦.

(٢) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٠١.

(٣) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج ١٥ / ١٦٤ - ٢٠١ - ٢١٧ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٣٦، وج ١٦ / ١٣ - ٤٧ - ٤٩ - ٨٢.

(٤) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ٩٨.

(٥) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩.

(٦) مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص: ٦١.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

ويتميز الاستبدال بكونه في معظم الحالات ذات علاقة قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر، وآخر متقدم^(١)، لذلك يشكل الاستبدال وسيلة لتماسك النص واتساقه، يقوم على مبدأ اختيار الألفاظ واستبدالها، فهو مصطلح نعني به ((مجموعة الألفاظ التي يمكن للمتكلم أن يأتي بأحد منها في كل نقطة من نقاط سلسلة الكلام ومجموعة تلك الألفاظ القائمة في الرصيد المعجمي للمتكلم والتي لها طواعية الاستبدال فيما بينها))^(٢).

ويحقق الاستبدال وظيفة الاستمرارية داخل النص عند وجود العنصر المستبدل في الجمل اللاحقة عليه، مما يمكن القارئ من سد الثغرات التي تعترض النص ويسهم من تأويل العنصر الاستبدالي^(٣). ونشير إلى أن هناك علاقة تقابل وتشابه بين الاستبدال والإحالة، فالأول يتم على المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات داخل النص، والآخر يتم على المستوى الدلالي بحكم إنها تحيل إلى أشياء خارج النص، فضلاً عن العلاقة بين عنصري الاستبدال (المستبدل به والمستبدل منه) علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد بينما الإحالة تكون علاقة تقابل بين (المُحيل والمحال إليه)^(٤).

ويقسمُ الاستبدال على ثلاثة أقسام^(٥): استبدال اسمي، واستبدال فعلي، واستبدال جملي.

جمالي.

١ - الاستبدال الاسمي

-
- (١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩.
 - (٢) الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي: ١٣٨ _ ١٣٩.
 - (٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٠.
 - (٤) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩ _ ٢٠، ومدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي: ٩١.
 - (٥) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٠، ونحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٣ _ ١٢٤.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

ونعني به استبدال عنصر لغوي محل عنصر آخر، أي عملية استبدال اسم باسم، ويمكن أن يكون الاسم المستبدل به جزءاً من الاسم المستبدل منه^(١)، ويمكن أن نعبر عنه بهذه الكلمات التي تأتي محل الاسم المستبدل: (واحد، نفس، ذات، آخر، آخرون، مثل، كلا)^(٢).

ومن أمثلة الاستبدال الاسمي في أحاديث جهاد النفس ما ورد عن مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: (كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ (عليه السلام) فَذَكَرْنَا الْأَعْمَالَ، فَقُلْتُ أَنَا: مَا أضعَفَ عَمَلِي، فَقَالَ: مَا اسْتَغْفِرَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: إِنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ مَعَ التَّقْوَى خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ بِلَا تَقْوَى، قُلْتُ: كَيْفَ يَكُونُ كَثِيرٌ بِلَا تَقْوَى؟ قَالَ (عليه السلام): نَعَمْ مِثْلُ الرَّجُلِ يُطْعِمُ طَعَامَهُ وَيَرْفُقُ جِيرَانَهُ وَيُوَطِّئُ رَحْلَهُ فَإِذَا ارْتَفَعَ لَهُ الْبَابُ مِنَ الْحَرَامِ دَخَلَ فِيهِ فَهَذَا الْعَمَلُ بِلَا تَقْوَى، وَيَكُونُ الْآخَرُ لَيْسَ عِنْدَهُ فَإِذَا ارْتَفَعَ لَهُ الْبَابُ مِنَ الْحَرَامِ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ)^(٣).

فقد استبدل العنصر اللغوي المتمثل باللفظ (الآخر) بالعنصر اللغوي السابق عليه (الرجل)، وقد تم الاستدلال على اللفظ المستبدل من النص نفسه، فترى أن وجود العنصر المستبدل به (الآخر) في الجملة اللاحقة للمستبدل منه (الرجل)، قد أسهم في تحقيق الاستمرارية، فـ(الرجل) مستمر في (الآخر)، إذ إنَّ ليس بالضرورة أن تكون كلمة (الآخر) هي الرجل نفسه وإنما رجلٌ آخر، فالرجل الأول الذي قد دخل في عمله الحرام فأصبح عمله بلا تقوى، والرجل الآخر لم يدخل في عمله الحرام، وهذا ما يدعوه الباحثان (هاليداي ورقية حسن) ((الاستمرار في محيط التقابل))^(٤)، فالرجل الأول يقابل الرجل الآخر.

(١) ينظر: الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوية: ١١٦.

(٢) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٣، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٤، والرصف وعلم لغة النص (بحث)، زينب عادل كعيد العاني: ١٢٣.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٤١/١٥.

(٤) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٠.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

لذا فإن العنصر الاستبدال (الآخر) الذي حلّ محل العنصر (الرجل) الموجود في النص السابق، قد عمل على ترابط أجزاء النص، وأسهم في اتساق النص من خلال علاقة المستبدل بالمستبدل علاقة نصية قبلية^(١)، فضلاً عن ذلك، فإن لفظ المستبدل يحمل جزءاً من دلالة لفظ المستبدل منه، وبذلك يكون للكلمة البديلة الوظيفة التركيبية نفسها^(٢). لذا نرى أنّ المتكلم قد استعمل الاستبدال لتجنب التكرار اللفظي، وليحقق الاقتصاد اللغوي في النص نفسه، وبذلك فإن الاستبدال قد حافظ على استمرارية المعنى في ذهن المتلقي من دون أن يُعاد ذكره مرة أخرى^(٣).

ومنه أيضاً ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ (عليه السلام) فَقُلْتُ: الْمَلَائِكَةُ أَفْضَلُ أَمْ بَنُو آدَمَ؟ فَقَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام): إِنَّ اللَّهَ رَكَّبَ فِي الْمَلَائِكَةِ عَقْلاً بِلا شَهْوَةٍ، وَرَكَّبَ فِي الْبَهَائِمِ شَهْوَةً بِلا عَقْلٍ، وَرَكَّبَ فِي بَنِي آدَمَ كِلْتَيْهِمَا، فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتُهُ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ غَلَبَ شَهْوَتُهُ عَقْلُهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْبَهَائِمِ)^(٤).

فقد تمثل الاستبدال في هذا النص بإحلال عنصر محل عنصرين سابقين عليه، فقد تمّ استعمال العنصر اللغوي (كلتيهما)، بدلاً من العنصرين السابقين وهما (العقل) و (الشهوة)، وتمّ الاستدلال على اللفظ البديل من خلال العودة إلى الكلام السابق.

وبهذا فقد أسهم الاستبدال الاسمي بالحفاظ على معنى اللفظ المستبدل منه، فحقق بذلك اختصاراً للكلام تفادياً للتكرار، ولا يمكن فهم اللفظ المستبدل إلا بالرجوع إلى النص السابق نظراً للعلاقة الوثيقة التي تربط اللفظ المستبدل واللفظ المستبدل، ((إذ يقوم العنصر

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٠.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٤.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٠٩/١٥.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

المستبدل به بالدور الذي يؤديه العنصر المستبدل منه، وهذه الاستمرارية في الأدوار في سياق البناء اللغوي للنص تمنحه قوة السبك^(١)، وبعد ترابط الألفاظ المستبدلة واستمرار العلاقة الدلالية بينهما يظهر أنّ الاستبدال هنا استبدال العنصر الاسمي بالعنصر الاسمي المطلق أو العام الذي يتضمنه ويحتويه^(٢).

٢ - الاستبدال الفعلي

وفيه يحل فعل محل فعل آخر سابق عليه في النص، ويتم ذلك باستعمال الفعل (فعل) أو إحدى اشتقاقاته^(٣).

ومن أمثلة الاستبدال الفعلي في أحاديث جهاد النفس ما ورد عن حديث الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (احْمِلْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَمْ يَحْمِلْكَ غَيْرُكَ)^(٤).

فالعنصر المستبدل به (تفعل) قام مقام الفعل (تحمل)، وجاء الفعل هنا ليشكل بديلاً عن لفظ سابق عليه، وذلك ليكون المتلقي محافظاً على وضع التهيؤ الذهني لمحتوى الجملة الفعلية: (احمل نفسك)، ليكون مستبدلاً من الفعل (احمل)^(٥)، وخطاب الإمام (عليه السلام) قد جاءً بليغاً، ويحمل معاني دلالية عظيمة توحى بالتبليغ والأمر، أي: عليك أيها الإنسان المؤمن أن تبادر بتغيير ذاتك بأن تحمل نفسك من خلال مجاهدة نفسك وتهذيبها والزامها بفعل الطاعات وترك العصيان، وإن تكون أنت المسؤول عليها، وإن لم تحمل نفسك لم يحملها

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجاً (بحث)، د. نادية رمضان النجار: ٣١٨.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١٤٣/١.

(٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٣١٧، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجاً (بحث): ٢٠.

(٤) وسائل الشيعة: ١٦١/١٥.

(٥) ينظر: مدخل الى علم لغة النص تطبيقات لنظرية (روبرت دي بوجراند و لوفجانج درسler): ٩٥.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

غيرك، ف اللفظ المستبدل قد عمل على اتساق النص وتربطه مما أضاف له ترابطاً دلالياً يحمل جزءاً من دلالة الفعل، وكذلك حافظ على استمرارية محتوى الفعل^(١)؛ لأن ((إشارة بعنصر لغوي إلى عنصر لغوي آخر يتفق معه في الدلالة))^(٢).

وأيضاً ما ورد عَنْ حَفْصٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْإِمَامَ الصَّادِقَ (عليه السلام) يَقُولُ: (مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْباً إِلَّا أَجَلَهُ اللَّهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ، فَإِنْ هُوَ تَابَ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَفْعَلْ كُتِبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ، ...) ^(٣).

فقد استبدل الفعل (تاب) بالفعل (يفعل)، والعلاقة بين العنصر المستبدل والمستبدل علاقة نصية قبلية، وتم الاستدلال على ذلك من خلال العودة إلى الوراء للبحث عن العنصر المستبدل؛ لأن ((المعلومات التي تمكّن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص))^(٤)، وإن استبدال الفعل (تاب) بالفعل (يفعل) المقرون بالأداة النافية (لم)، قد حافظ على استمرارية محتوى العبارة الفعلية وذلك في (...) تاب لم يكتب عليه شيء^(٥)، فالعنصر (تاب) المثبت مستمراً في (يفعل) المنفي، وهذا ما سماه الباحثان هاليداي ورقية حسن الاستمرار في محيط التقابل^(٦)، فالعنصر (تاب) يقابل العنصر (لم) يتب)، وكلاهما يحيلان إحالة داخلية قبلية إلى المؤمن المذنب، فإن هو تاب لم يكتب عليه شيء، وإن هو لم يتب كتب عليه سيئة.

وبالتالي فإن الاستبدال الوارد في النص السابق قد أسهم في اتساق النص؛ لأن العنصر المستبدل قد جاء سابقاً على العنصر المستبدل، فضلاً عن الاستمرارية الدلالية في

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٤.

(٢) نحو النص بين الأصالة والحداثة، أحمد محمد عبد الراضي: ١٣٠.

(٣) وسائل الشيعة: ٦٦/١٦.

(٤) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٠-٢١.

(٥) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٤.

(٦) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٠.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

محتوى الفعل وفهم ما يعنيه الفعل (يفعل)، وقد تحقق ذلك الفهم من خلال العودة إلى النص لفهم ما يتعلق به قليلاً^(١).

٣- الاستبدال الجملي

ونعني به استبدالاً لجملة أو لمجموعة من الجمل^(٢)، وشرطه أن يشترك العنصر المستبدل به بالدلالة نفسها التي تحملها جملة المستبدل منها^(٣)، ((وهو في هذه الحال تقع أولاً جملة الاستبدال، ثم تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة مثل الكلمات (هذا - ذلك) ((^(٤).

ومن أمثلة الاستبدال الجملي في أحاديث جهاد النفس ما ورد عن رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أنه قَالَ: (لَا تَزَالُ أُمِّي بِخَيْرٍ مَا تَحَابُّوا وَتَهَادَوْا وَأَدَّوْا الْأَمَانَةَ وَاجْتَنَبُوا الْحَرَامَ، وَقَرُّوا الضَّيْفَ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ، فَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ابْتُلُوا بِالْقَحْطِ وَالسَّيِّئِ)^(٥).

فقد استبدل الفعل (يفعلوا) المتلو بـ(ذلك) من كل عناصر الجملة وتكوّن معه شكلاً بديلاً معبراً عن حادث أو موقف^(٦)، هو (يفعلوا ذلك)، فقد جاء هذا العنصر ليحل محل القول السابق (ما تحابوا وتهادوا وأدوا الأمانة واجتنبوا الحرام وقرؤوا الضيف واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة)، فقد أغنى اسم الإشارة المتلو بـ(ذلك) في (يفعلوا ذلك)، عن تكرار متواليات جمالية من الافعال المتمثلة بالأوامر، مما أسهم في إبقاء محتوى التراكيب المستبدلة في حالة

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٠.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٥.

(٣) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٤.

(٤) علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٥.

(٥) وسائل الشيعة: ٢٥٤/١٥.

(٦) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية (روبرت دي بوجراند و لوفجانج درسler): ٩٥.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

نشطة^(١)، وإنّ مثل هذا النوع من الاستبدال الجملي قد أسهم في تحقيق عملية اتساق النص وربط أجزائه دون الحاجة إلى تكرار الألفاظ مرة أخرى.

ومثله أيضاً ما ورد في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال: (إِنَّ النَّهَارَ إِذَا جَاءَ قَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ اْعْمَلْ فِي يَوْمِكَ هَذَا خَيْرًا أَشْهَدُ لَكَ بِهِ عِنْدَ رَبِّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنِّي لَمْ آتِكَ فِيمَا مَضَى، وَلَا آتِيكَ فِيمَا بَقِيَ، فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ)^(٢).

لقد تضمّن الحديث السابق استبدالاً قولياً متمثلاً في اسم الإشارة (ذلك)، فجاءت هذه الأداة النصية استبدالاً من قول كامل سابق عليه في النص، لذا فإن اسم الإشارة يُمتلّ عنصراً مستبدلاً يدل على العنصر المستبدل منه، وهو: (يا ابن آدم اعمل في يومك هذا خيراً أشهد لك به عند ربك يوم القيامة، فإنني لم آتِكَ فيما مضى، ولا آتيكَ فيما بقي).

إذن فالقول السابق المطول يمثل قولاً مستبدلاً، واسم الإشارة (ذلك) في عبارة (فإذا جاء الليل قال مثل ذلك) هو عنصرٌ مستبدل به حل محل القول السابق وأحال إليه إحالة قبلية بين عنصر سابق في النص وآخر لاحق عليه^(٣)، فاستبدال قول كامل بلفظة (ذلك) قد أفاد الاختزال وأوجد الاختصار، وأغنى عن إعادته دون الحاجة إلى توسيع الجملة^(٤)، ومن خلال ما سبق يتضح أنّ هذه الأداة قد أسهمت في اتساق النص وعملت على تحقيق وحدته وترابط أجزائه دلاليّاً.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ورد عن ابن أبي نجران، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قُلْتُ لَهُ: قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَيَقُولُونَ: نَرْجُو، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْمَوْتُ،

(١) ينظر: مدخل الى علم لغة النص تطبيقات لنظرية (روبرت دي بوجراند و ولفجانج درسالر): ٩٨.

(٢) وسائل الشيعة: ٩٣ / ١٦.

(٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٠.

(٤) ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء آخر، عمر محمد أبو خرمة: ١٧٤.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

فَقَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يَتَرَجَّحُونَ^(١) فِي الْأَمَانِيِّ، كَذَبُوا، لَيْسُوا بِرَاجِحِينَ، مَنْ رَجَا شَيْئاً طَلَبَهُ، وَمَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ^(٢).

استبدل في النص السابق العنصر (كذلك) ليحل محل جملة أو قول برمته^(٣)، فجاءت لفظة (كذلك) عوضاً عن قول كامل ورد في النص: (يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجو)، فهذا الاستبدال يمثل قولاً كاملاً متتابعاً ومتربطاً بالأداة الرابطة (الواو)؛ لأن القوم هم من يعملون المعاصي وهم من يقولون نرجو، وقد لُحِصَ هذا القول باللفظ البديل أو المستبدل له (كذلك)، وجاء ذلك تجنباً للتكرار وتحقيق الاقتصاد للتعبير نفسه^(٤). فالاستبدال في النص السابق قد شكّل ارتباطاً بين مكونين من مكونات النص، إذ سمح للعنصر المستبدل بتنشيط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الجملة المستبدلة^(٥)، كما أسهم في تحقيق استمرارية المعنى في ظلّ وجود العنصر المستبدل به في الجملة اللاحقة، على الرغم من الاختلاف اللفظي بينهما^(٦).

فنلاحظ أن الاستبدال قائم على استعمال ألفاظ لغوية تجعل المتلقي ينتقل ذهنياً من خلالها إلى مجموعة ألفاظٍ سابقة عليها، وهذا الأمر يخلق تماسكاً نصياً يعتمد على:

١- إمكانات المتكلم في الاستبدال الصحيح، فضلاً عن كون هذا الأمر يسهل عليه ويجنبه التكرار ويختصر عليه الكلام.

(١) رجح الميزان: يرجح رجحاناً، أي مال، وترجحت الأرجوحة بالغلام، أي مالت. تاج اللغة وصحاح العربية: ٤٢٧.

(٢) وسائل الشيعة: ٢١٦/١٥.

(٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٠، وإشكالات النص المداخلة أنموذجاً دراسة لسانية نصية، جمعان بن عبد الكريم: ٣٥٤.

(٤) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٤.

(٥) ينظر: مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب النبوي في رقائق صحيح البخاري نموذجاً (بحث)، عاصم شحادة علي: ٣٦٢.

(٦) ينظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٠.

٢- إمكانات المتلقي في معرفة هذه الألفاظ وقدرتها على الاستبدال، وكل هذا يجعل النص متماسكاً ومتربطاً شكلاً ودلالةً.

فالاستبدال يعمل على الربط (ذهنياً) في الغالب من خلال هذه الألفاظ، ويجنب المتكلم تكرار الأفكار، واختزال النص وتكثيفه.

ب- الترادف:

وهو: ((دلالة عدّة كلمات مختلفة ومنفردة على المسمى الواحد أو المعنى الواحد دلالة واحدة))^(١)، فهو وسيلة من وسائل التكرار المعجمي، إذ يسهم في استمرارية المعنى داخل النص^(٢)، والترادف يطلق ((على العلاقة بين الكلمات المختلفة في ألفاظها المتفقة في معانيها))^(٣).

ويقسم الترادف على نوعين، هما^(٤): الترادف المطلق أو التام وشبه الترادف.

١- **الترادف التام:** ويقع هذا النوع من الترادف في حالة التطابق التام أو المطلق بين كلمتين أو أكثر يكون بينهما اتفاقاً تاماً بالمعنى^(٥)، وأن شرط وجوب المطابقة بين الكلمتين بالمعنى يجعل منه ظاهرة نادرة الوقوع في أي لغة^(٦)، لذلك يرى أولمان أنه ((لن البديهي تقريباً أن يكون الترادف التام نادر الوجود إلى حدٍ كبير فهو من الترف الذي يصعب على

(١) الترادف في اللغة، حاكم مالك الزبيدي: ٣٢.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٤٩.

(٣) المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي: ٣٩٧.

(٤) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٤، والكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل:

١٣٢_١٣٣، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٧.

(٥) ينظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية: ١٣٢، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٨.

(٦) ينظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية: ١٣٢، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٨.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

اللغة أن تجود به))^(١)؛ لأن سياق الكلمة الواحدة تتضمن معنى واحداً^(٢)، ويمكن التمثيل له بالمزاوجة بين الكلمات الأجنبية ومرادفاتها باللغة العربية نحو: (هاتف - تلفون)، (راديو - مذياع) ...^(٣).

وترى الباحثة أن هذا النوع من الترادف قد يكون موجوداً في الكلام العادي، أي تخاطبات الناس فيما بينهم؛ لأن التواصل هنا يكون قائماً على إيصال المعنى العام من دون قصد الألفاظ بمعانيها الدقيقة، بخلاف ما موجود في مدونة البحث التي يكون فيها منشئ النص (معصوماً)، تتمتع فيه الألفاظ بقصدية تامة، لذا ما يتوافر من ترادف في هذه النصوص هو النوع الثاني (شبه الترادف).

٢ - شبه الترادف: ويقع في حالة التشابه الدلالي الواضح بين كلمتين أو أكثر مع وجود نسبة اختلاف بينهما متباينة، إذ تستعمل الكلمة في سياق معين ولا يصح استعمال الأخرى في السياق نفسه نحو: (بيت - منزل)^(٤).

ومن أمثلة الترادف في أحاديث جهاد النفس ما ورد عن الإمام الصادق جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ (عليه السلام) إنه قال: (مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَاعِظٌ مِنْ قَلْبِهِ وَزَاجِرٌ مِنْ نَفْسِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ قَرِينٌ مُرْشِدٌ اسْتَمَكَنَ عَدُوَّهُ مِنْ غُنْقِهِ)^(٥).

فقد وقع الترادف في لفظة (واعظ، زاجر) بين جملتين متباعدتين، فجاء الربط بينهما طويلاً نسبياً، فلفظة (واعظ) ترادف لفظة (زاجر)، وكلتا اللفظتين تعبران عن قضية واحدة

(١) المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية: ٤٠٧_٤٠٨.

(٢) ينظر: الكلمة في اللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد: ٢٢٩.

(٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٨.

(٤) ينظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية: ١٣٣، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٧_١٠٨.

(٥) وسائل الشيعة: ١٦٢/١٥.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

وهي النصح والإرشاد وزجر النفس عن المعاصي والذنوب، إذ جاء في كتاب الإمام الراغب أن ((الوعظ زجر مقترن بتخويف))^(١).

نلاحظ أنّ هذا التنوع اللفظي بين اللفظتين (واعظ، زاجر) يوحي بالاستمرارية الدلالية التي تدل على الربط الجيد داخل النص^(٢)، فهما من الترادف التام بل من شبه الترادف؛ لأن اللفظتين وإن كان بينهما تشابه دلالي إلاّ إنهما يستعملان في سياقاتٍ مختلفة، فالوعظ - كما يبدو - قائم على النصح والإرشاد وتوجيه المتلقي نحو عبادة الله تعالى، وهو أقرب إلى اللين لذا قال: (واعظ من قلبه)، أما الزجر فهو منع بقوةٍ لغرض إبعاد المتلقي عن محارم الله تعالى لذا قال: (زاجر من نفسه).

فالوعظ ← اللين ← مع القلب

الزجر ← القوة ← مع النفس

قد أسهم هذا التنوع الملحوظ في عالم النص أن يجذب انتباه المتلقي إلى أهمية هذا الشيء المكرر بالترادف، وهذا يعدّ نوع من أنواع الالتفات^(٣)، وأيضاً أسهم الترادف بإظهار وحدة الموضوع الأساسية في النص والتي يمكن معرفتها عن طريق الكلمات الأساسية التي يروم إليها الحديث مع استعمال اللفظ المرادف لها، إذ ترتبط هذه المعاني وتتعلق في بينهما لتكوّن في النهاية المعنى أو الفكرة الأساسية له^(٤)، فكان موضوع النص الأساسي، هو (وجوب جهاد النفس عن طريق الموعظة والزجر).

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٨٧٦.

(٢) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٠٩.

(٣) ينظر: الدلالة والنحو: ٢٤٤.

(٤) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١٠، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٥٠.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

ومثله أيضاً ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (مَا مِنْ عَيْنٍ إِلَّا وَهِيَ بِأَكْيََّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنًا بَكَتْ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، وَمَا اغْرُورِقَتْ عَيْنٌ بِمَائِهَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ سَائِرَ جَسَدِهِ عَلَى النَّارِ)^(١).

ورد في هذا النص لفظتان مترادفتان، وهي: (الخوف، والخشية)، وقد وقعتا بين جملتين وجاء مدى الربط بينهما طويلاً نسبياً، وعلى الرغم من اختلاف الصيغة والبنية بين اللفظتين المترادفتين إلا أنَّ المعنى الدلالي بينهما شبه متقارب، وأنَّ هذا التنوع الدلالي بين الألفاظ المترادفة التي جاءت في نص الحديث قد أسهم في امتداد المعنى داخل النص^(٢)، وبذلك فإن الترادف أحد أنواع التكرار، ويرجع استعماله بدلاً من التكرار التام للكلمة؛ ليدفع السأم والملل وإشاعة روح التجدد عند المتلقي، وليضيف داخل النص تنوعاً معجمياً ودلالياً، وكذلك يوجه نظر المتكلم للتركيز على قضية النص الأساسية^(٣)، فالعلاقة بين الخشية والخوف هي علاقة (خصوص وعموم)، فكل خشية هي خوف، ولكن الخشية تكون عادة أقوى من مجرد خوف فضلاً عن إنها تكون قائمة على المعرفة، يقول ابن القيم في (مدارج السالكين): ((والخشية أخص من خوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤)، فهي خوف مقرون بمعرفة))^(٥)، ولذا نلاحظ في النص أن خوف مقرون بالبكاء، أمّا في الحديث عن الخشية فقال (عليه السلام): (اغرورقت عين بمائها من خشية الله)، وبذا يتضح أنَّ الألفاظ المترادفة قد أسهمت في تماسك المعاني وبناء

(١) وسائل الشيعة: ٢٢٧/١٥.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٤٩.

(٣) ينظر: علم الدلالة بين النظر والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين: ١١٤، علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٧، والتماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة (اطروحة دكتوراه)، عيسى جواد الوداعي: ٧٠.

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) مدارج السالكين في منازل السائرين: أبو عبد الله محمد ابن قيم الجوزية: ٢ / ١٨٠.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

الموضوع، إذ بينت القضية الأساسية التي يهدف إليها، وهي (استحباب أن يذرف الإنسان الدموع من خشية الله عز وجل).

رابعاً: التكرار بـ (الكلمة الشاملة والعامّة): يعدّ التكرار بالكلمة الشاملة وسيلة من وسائل الربط بين الكلمات في النص^(١)، ونعني به دلالة معاني عدّة أسماء تنضوي تحت مسمى واحد، ومن ثم يكون أساساً مشتركاً وشاملاً لها، فالأسماء مثل: الناس، والشخص، والرجل، والمرأة، كلها تنضوي تحت الاسم الشامل لها (الإنسان)^(٢)، لذا فالاشتغال كلمةً تتضمن كلمةً أخرى أو عدّة كلمات، فتكون الكلمة الأولى كلمة رئيسية والثانية المنضوية تحتها كلمة ثانوية^(٣).

ومن أمثلة التكرار بالكلمة الشاملة ما جاء عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ آبَائِهِ فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ (ﷺ) لِعَلِيِّ (عليه السلام) (يَا عَلِيُّ أَرْبَعُ خِصَالٍ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ، وَبُعْدُ الْأَمَلِ، وَحُبُّ الْبَقَاءِ)^(٤).

فكلمة (الشقاء) الواردة في النص يمكن عدّها اسماً شاملاً يشير إلى فئة من الكلمات المنضوية تحته، فالشقاء هنا يشمل (جمود العين وقساوة القلب وبعد الأمل وحُبّ البقاء) منضوية تحت الاسم الشامل لها (الشقاء)، ويلحظ أنّ هذا النوع من التكرار بالكلمة الشاملة قد أعدّ ضرباً من ضروب الترادف، إلّا أنّه يختلف عنه في أنّ الكلمة الشاملة تضمن من طرف واحد والترادف تضمن من طرفين^(٥)، فالكلمة الشاملة على هذا الأساس لم تصل إلى حد التطابق مع الترادف، وإنما أسهمت في تحقيق التقارب الدلالي باستمرار معناه بين أجزاء

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٨.

(٢) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ٨٣.

(٣) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمد علي الخولي: ١٣٢.

(٤) وسائل الشيعة: ٤٥/١٦.

(٥) ينظر: علم الدلالة: ٩٨ _ ٩٩، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٨.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

النص^(١)، فكل من (جمود العين وقساوة القلب وبعد الأمل وحبّ البقاء) هي جزء من الشقاء، لذا تُعدُّ تلك الصفات أو الخصال بمثابة الإعادة بصورة غير مباشرة للكلمة الرئيسية.

ومن الممكن أن يندرج تحتها اسم الموصول العام، الذي يدلُّ على عموم المعنى، مثل (مَنْ) الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (مَنْ أَقَامَ فَرَائِضَ اللَّهِ وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْوَلَايَةَ لِأَهْلِ بَيْتِي وَتَبَرَّأَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ فَلْيَدْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ)^(٢).

نجد أن الاسم الموصول (مَنْ) قد جمع كل من (أقام فرائض الله، واجتنب محارم الله، وأحسن الولاية لأهل البيت، وتبرأ من أعداء الله)، فقد أسهم اللفظ (مَنْ) باستمراره معناه وربط أجزاء النص بعضها مع بعض.

ويلحظ مما سبق أنَّ التكرار بالكلمة الشاملة قد حقق الاتساق النصي، من خلال أنتشار معنى الكلمة الشاملة بين أجزاء النص، لتكون شبكة متقاطعة دلاليًا في أرجاء النص^(٣).

أمَّا الكلمة العامة فهي تشبه إلى حدٍ ما الكلمة الشاملة إلَّا إنها تتسع بكثرة الشمول والعموم أكثر من الاسم الشامل^(٤).

(١) ينظر: اثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف (بحث): ٥٥.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٨٥/١٥.

(٣) ينظر: اثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف (بحث): ٥٥.

(٤) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ٨٣.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

ومن الكلمات التي وردت في أحاديث جهاد النفس والتي تدل على العموم والشمول هي: (شيء - سؤال - أمر) فهي أسماء دالة على الحقيقة^(١)، ولها دلالات غير محددة، فكل واحدة منها لها دلالة تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه^(٢)، ومن ذلك ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (الْعِزُّ رِذَاءُ اللَّهِ، وَالْكِبَرُ إِزَارُهُ، فَمَنْ تَنَاولَ شَيْئاً مِنْهُ أَكَبَّهُ اللَّهُ فِي جَهَنَّمَ)^(٣).

نرى أن التكرار بالكلمة العامة قد تحقق في النص السابق، إذ وردت كلمة (شيء) وهي كلمة تحيل إحالة عامة^(٤)، إلى عنصرين سابقين وهما: (العز، والكبر)، فالكلمة العامة (شيء) قد أسهمت في تحقيق عملية الربط بين الكلمات في النص.

ويبدو أن الضمير المفرد الوارد في (منه) قد يعود على المثنى (الرداء) أو (الإزار)، ولعل توحيد الضمير هنا لغرض بيان أن العنصرين (العز - الكبر) أمران خاصان بالله تعالى، وهذا الأمر قد ورد في نص القرآن ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾^(٥).

وأيضاً ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَنْ خِيَارِ الْعِبَادِ؟ فَقَالَ: الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا، وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا، وَإِذَا أُعْطُوا شَكَرُوا، وَإِذَا ابْتُلُوا صَبَرُوا، وَإِذَا غَضِبُوا غَفَرُوا)^(٦).

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٨.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجاً (بحث): ٣٣٩.

(٣) وسائل الشيعة: ٣٧٤/١٥.

(٤) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٥، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٨.

(٥) التوبة: ٦٢.

(٦) وسائل الشيعة: ٦٧ / ١٦.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

فكلمة (سئل) لفظة عامّة جاءت في النص السابق للسؤال عن خيار العباد، فالسؤال عن خيار العباد قد احوال على الصفات أو المميزات التي تتميز بها هذه الفئة ومنها (الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أسأؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، ...).

وأيضاً ما جاء عَنْ يَزِيدَ الصَّائِغِ قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): رَجُلٌ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ إِنْ حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِنْ أَوْثَمِنَ خَانَ، مَا مَنْزِلَتُهُ؟ قَالَ: هِيَ أَدْنَى الْمَنَازِلِ مِنَ الْكُفْرِ وَلَيْسَ بِكَافِرٍ)^(١).

فقد احوال لفظ (الأمر) وهو اسم عام يدلّ على الأفعال والأقوال^(٢) على لفظ (الرجل) وما يتضمنه هذا اللفظ من أمور عدة (حدّث، ووعد، وائتمن).

ومما تقدم يتضح أن التكرار بالكلمة العامّة قد حقق أثراً كبيراً من خلال تلك الكلمات التي تتصف بالعمومية وأحوالها على عناصر أخرى مما جعل من النص يتربط مع بعضه البعض، محققاً بذلك اتساق النص.

(١) وسائل الشيعة: ١٥ / ٣٤٠.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٨٨.

المبحث الثاني

المصاحبة المعجمية

تُعدّ المصاحبة المعجمية الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق المعجمي بعد التكرار، ونعني بها ((توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك))^(١)، إذ تسهم هذه المصاحبة في ترابط النص وتلازم عناصره اللغوية، وكذلك دخول الكلمة المعجمية في سياق مناسب مع العناصر الأخرى^(٢)، وتتميز بعدم افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة كما هو الحال مع وسائل الاتساق النحوية^(٣)، إذ يستلزم مجيئ أزواج من الألفاظ المتصاحبة دائماً، فحضور أحدهما يستدعي حضور الآخر لوجود علاقة بينهما، ومن ثم يوردان معاً بشكلٍ دائم^(٤).

وتسمى المصاحبة المعجمية عند بعض علماء النص بـ (التضام)^(٥).

وتعدّ المصاحبة المعجمية ((أكثر الأنواع صعوبة في التحليل؛ حيث تعتمد على المعرفة المسبقة للقارئ بالكلمات في سياقات متشابهة، بالإضافة إلى فهم تلك الكلمات في سياق النص المترابط))^(٦).

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٥، ونحو النحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي:

١١٢، والمعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة: ١١٣.

(٢) ينظر: التضام والتعاقب في الفكر النحوي (بحث)، نادية رمضان النجار: ١٠٥.

(٣) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١١.

(٤) ينظر: إشكالات النص دراسة لسانية نصية: ٣٦٦.

(٥) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية: ١ / ١٤٢، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق:

١٠٩، وإشكالات النص دراسة لسانية نصية: ٣٦٦.

(٦) علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٩.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

وتقسّم العلاقات المعجمية الخاصة بالمصاحبة المعجمية أو (التضام) إلى^(١):

- ١- علاقة التضاد
- ٢- علاقة الكل بالجزء أو الجزء بالجزء
- ٣- علاقة التلازم الذكري
- ٤- الدخول في سلسلة مرتبة
- ٥- علاقة الإندراج في صنف عام (الاشتغال المشترك)

وفيما يأتي عرض لأبرز العلاقات المعجمية الواردة في أحاديث جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة، هي:

أولاً: التضاد

ونعني بعلاقة التضاد ((الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحر والبرد))^(٢)، وللتضاد أسماء عدة، إذ يأتي باسم المطابقة أو التطبيق، أو التضاد^(٣)، والتضاد هو ((الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة))^(٤). ويتم الربط بين العناصر المتضادة من خلال توقع المتلقي للكلمة المقابلة، فالمتكلم يساعد المتلقي على الإبحار داخل النص عبر سلاسل الكلمات المترابطة التي تحدث الاتساق في النص^(٥).

(١) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١١-١١٥، وإشكالات النص دراسة لسانية نصية: ٣٦٦-٣٦٧..

(٢) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري: ٣٠٨.

(٣) ينظر: دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة: الأزهر الزناد: ١٧٢.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ): ٢٥٥.

(٥) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٩.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

ومن أمثلة التضاد ما ورد في أحاديث جهاد النفس عن أبي بصير قال: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾^(١) قَالَ: يُطَاعُ فَلَا يُعْصَى، وَيُذَكَّرُ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرُ فَلَا يُكْفَرُ)^(٢).

لقد اتكأ المتكلم الإمام (عليه السلام) في هذا النص على التضاد، فجاء بورود زوج من الكلمات المتضادة بين كلمة وأخرى على وتيرة واحدة، ويُعد استعمال المتكلم للتضاد؛ لتأكيدهِ على شمولية المعنى، فحين يجتمع الشيء وضده يعطي كل واحد منها في الآخر جمالاً وقصداً ومعنى^(٣)، فالتضاد الذي نلاحظه في قوله (عليه السلام): (يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر)، قد وقع داخل حدود الجملة الواحدة، ووقع بين فعل وفعل، فاستدعى ذكر اللفظة المتضادة ذكر اللفظة الأخرى. وجاء هذا التضاد في موضع جواب لسؤال السائل في تفسير الآية ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾، مما يؤكد على أهمية الموضوع وهو (تحقيق التقوى)، فيأتي الجواب من الإمام (عليه السلام) الذي يتكون من ثلاث جمل مترابطة، كل منها يبين جانباً من جوانب تحقيق التقوى، فكل جملة تُستعمل صيغة (يُفعل - فلا يُفعل)، مما يعزز التوازي والترابط في المعنى، وهذه الألفاظ المتضادة بدلالاتها المتناقضة لها أثر في اتساق النص، لذلك فهي تقوم على مبدأ ((والضد يظهر حسنة الضد))^(٤).

فالعلاقات المتضادة في النص السابق ومنشئ النص (الكاتب)، قد ساعدا المتلقي في الإبحار داخل النص، من خلال تلك السلاسل المترابطة بين الكلمة والأخرى المقابلة لها

(١) آل عمران: ١٠٢.

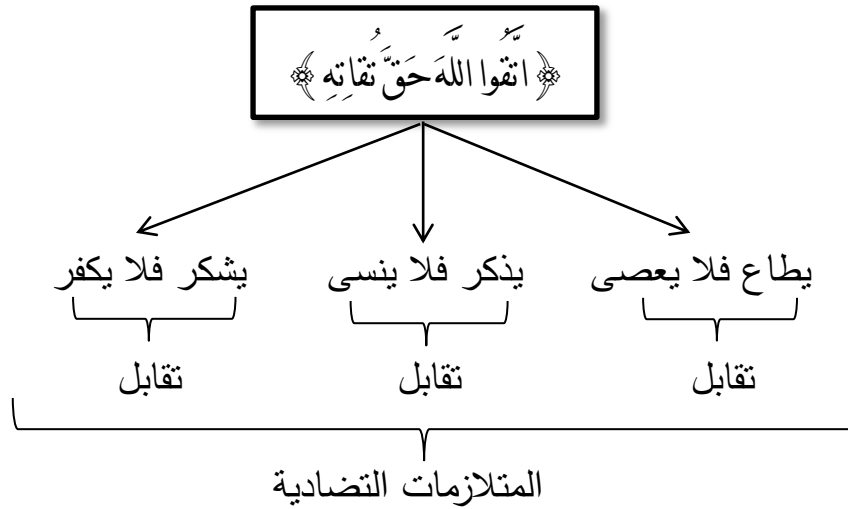
(٢) وسائل الشيعة: ٢٣٥/١٥.

(٣) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١٢.

(٤) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٥.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

داخل إطار الجملة الواحدة التي خلقت من النص ثباتاً واتساقاً على توقع الكلمة المقابلة لها^(١)، وعلى النحو الموضح في المخطط الآتي:



نرى إن تحقيق التقوى الحقيقية يتجلى في ثلاثة جوانب: الطاعة الدائمة لله، ودوام ذكره، وشكره على نعمه. والعلاقات المتضادة الموجودة في الحديث تؤكد على ضرورة تجنب الأفعال السلبية (العصيان، النسيان، الكفر) للوصول إلى حالة التقوى المطلوبة.

ومن الألفاظ التي وقعت في تضاد بين عنصر وآخر ضمن إطار الجملة الواحدة مما ورد عن الإمام جعفر بن محمد، عن آبائه (عليهم السلام) في وصية النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام) قال: (يَا عَلِيُّ، بَادِرْ بِأَرْبَعٍ قَبْلَ أَرْبَعٍ: شَبَابِكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغَنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)^(٢).

نلاحظ من النص السابق ورود أزواج من الألفاظ المتعارضة فيما بينها، فالمقابلات الثنائية التي وقعت بين لفظ معجمي ولفظ آخر، نجدتها قد وقعت في سياق تفصيل بعد إجمال، وأيضاً نرى أن هذه الألفاظ المتضادة كلها قد جاءت تضاداً اسمياً، فالتقابل الحاصل

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٩.

(٢) وسائل الشيعة: ٨٣ / ١٦.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

في النص السابق قد كان بين اسم واسم، وذلك في (شبابك - هرمك)، (صحتك - سقمك)، (غناك - فقرك)، (حياتك - موتك).

فنسيج التقابل بين كل لفظين متضادين قد جاء في سياق أمر الرسول (ﷺ) من خلال وصيته للإمام علي (عليه السلام) أن ينتهز فرص الخير والمبادرة بالأعمال الخيرة، فجاء بين كل لفظين ظرف الزمان (قبل) وهي أداة رابطة تفيد الزمنية، قد ربطت بين لفظين متقابلين، وهذا يدل على أن المدة الزمنية بين كل مرحلة وأخرى، هو استحباب المبادرة لفعل الخير، فالمبادرة في (شبابك قبل هرمك)، أي: بادر في زمن قوتك وشجاعتك من أعمال الخير قبل زمان كبرك وضعفك، و(صحتك قبل سقمك)، أي: بادر بالأعمال الطيبة والصالحة وأنت في صحة جيدة قبل أن يحول بينك وبينها السقم والمرض، وعدم القوة، و(غناك قبل فقرك)، أي: بادر وأنت في حالة جيدة وميسورة من الرزق والخير وساعد من يحتاج المساعدة قبل أن تفقد المال وتصبح فقيراً، وأساس كل ما سبق هو المبادرة بالأعمال الصالحة والخيرة في الحياة قبل أن يحول بينك وبينها الموت وذلك في (حياتك قبل موتك).

وعليه فإن التقابل الحاصل في النص السابق قد ركّز على تغير حالة الإنسان من حالٍ إلى حال. ونرى أيضاً أن كل لفظة استدعت نقيضتها وارتبطت معها ارتباطاً وثيقاً، مما كوّنت ما يسمى بالمصاحبة المعجمية، بمعنى أن التقابل الحاصل بينهما قد جاء من نفس المحيط اللغوي، فهو عبارة عن استشعار المتلقي لتلك اللفظة أو تنبؤ متبادل^(١). لذلك تعدّ العلاقة الضدية من أوضح العلاقات في تداعي المعاني فذكر أحد اللفظين المتضادين في الذهن يستتبع عادة ذكر الأخرى^(٢)، ولهذا فقد شكّلت تلك الألفاظ المتضادة في النص اتساقاً نصياً تنبئ عن وضوح معناه، وترابطاً في فكرته الأساسية.

(١) ينظر: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، علي عزّت: ٣١.

(٢) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: ٢٠٨، وفصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب:

ولعلاقة التضاد في أحاديث جهاد النفس أمثلة أخرى يمكن أن يشير البحث إليها^(١).

ثانياً: علاقة الجزء بالكل، والجزء بالجزء

تُعدّ هذه العلاقات من العلاقات المعجمية التي تقوم بوظيفة حكم الألفاظ وجعلها مترابطة فيما بينها، إذ كُلّ منهما يُذكر الآخر ويستدعيه، وبذا يضمن تحقيق الاتساق النصي في النص واستمراريته^(٢).

ولتبين العلاقة الجزئية في أحاديث جهاد النفس نقف على بعض الأمثلة، ومن ذلك ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث طويل قال: (إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ الْإِيمَانَ عَلَى جَوَارِحِ ابْنِ آدَمَ وَقَسَمَهُ عَلَيْهَا وَفَرَّقَهُ فِيهَا، فَلَيْسَ مِنْ جَوَارِحِهِ جَارِحَةٌ إِلَّا وَقَدْ وَكَلَتْ مِنَ الْإِيمَانِ بَعْضَ مَا وَكَلَتْ بِهِ - أُخْتُهَا - إِلَى أَنْ قَالَ: فَأَمَّا مَا فَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ فَأَلْفَرَارُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالْعَقْدُ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلَهًا وَاحِدًا لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ (ﷺ)، وَالْإِفْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ كِتَابٍ ... وَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى اللِّسَانِ الْقَوْلَ وَالتَّغْيِيرَ عَنِ الْقَلْبِ بِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ وَأَقَرَّ بِهِ ... وَفَرَضَ عَلَى السَّمْعِ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَنْ يُعْرِضَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ، وَالْإِصْغَاءُ إِلَى مَا أَسْخَطَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ... وَفَرَضَ عَلَى الْبَصَرِ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُعْرِضَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ وَهُوَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ ... وَفَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ أَنْ لَا يُبْطِشَ بِهِمَا إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَنْ يُبْطِشَ بِهِمَا إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ... وَفَرَضَ عَلَى الرَّجْلَيْنِ أَنْ لَا يَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمَا الْمَشْيَ إِلَى مَا يَرْضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ... وَفَرَضَ

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج ١٥ / ٢٣٩ - ٢٦٣ - ٣١٣ - ٣٤٠، ج ١٦ / ٢٠ - ٣٠ - ٦٣ - ٧٧.

(٢) ينظر: الاتساق في الصحيفة السجادية دراسة في ضوء لسانيات النص (رسالة ماجستير)، حيدر فاضل عباس العزاوي: ١٠٦.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

عَلَى الْوَجْهِ السُّجُودَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ ... إِلَى أَنْ قَالَ: فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ حَافِظًا لِحَوَارِجِهِ مُوفِيًا كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهَا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَكْمِلًا لِإِيمَانِهِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ خَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَوْ تَعَدَّى مِمَّا أَمَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا لَقِيَ اللَّهَ نَاقِصَ الْإِيمَانِ ... (١)

لقد تجسدت في هذا النص من الحديث علاقة (الجزء بالكل)، وجاءت في سياق توزيع الإيمان على أعضاء الإنسان، وتحديد وظيفة كل عضو في تحقيق الإيمان الكامل، لذا نلاحظ إن الحديث يتناول فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وتقسيمه عليها وتوزيعه فيها، وهذا هو الكل الذي يتفرع منه الأجزاء.

فلفظة (الإيمان) تُعدُّ الموضوع الكليَّ وأجزائها هي جوارح الإنسان (القلب، اللسان، السمع، البصر، اليدين، الرجلين، الوجه) التي يتوزع عليها الإيمان، وكل جارحة لها وظيفة محددة في تحقيق هذا الإيمان.

فنلاحظ أنَّ الألفاظ قد جاءت على مستوى عالٍ من الاتساق والارتباط داخل النص من خلال تقديم رؤية متكاملة للإيمان، فهو ليس مجرد عقيدة قلبية، بل سلوك عملي يظهر في جميع جوانب الحياة، فعلاقة الجزء بالكل قد بدت بشكلٍ واضح، ووضحت كيف يتجزأ الإيمان على أعضاء الإنسان، وكيف تسهم كل جارحة في تحقيق الإيمان الكامل. فهذه العلاقة من العلاقات التي تقوم ((بعرض تصور خاص له بذكر بعض أجزائه المكونة له، وصفاته الملازمة، مما يكمل الصورة المقصودة لهذا الشيء العام)) (٢). فنلاحظ أنَّ الألفاظ قد تعالقت وترابطت فيما بينها دلاليًّا معطية للنص صفته النصية.

(١) وسائل الشيعة: ١٥ / ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧.

(٢) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١٤.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

ومنه ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (الإِسْلَامُ عُرْيَانٌ فَلِبَاسُهُ الْحَيَاءُ، وَزِينَتُهُ الْوَفَاءُ، وَمُرُوءَتُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَعِمَادُهُ الْوَرَعُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ وَأَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ)^(١).

نلاحظ في النص مجيء عدّة ألفاظ متصاحبة معجمياً بعلاقة (الكل بالجزء)، وظفّها النبي (ﷺ) في النص للربط بين الجمل، فالإسلام يمثل (الكل) وهو الموضوع الأساسي في النص، ويُعامل ككائن حي يحتاج إلى لباس وزينة وأساس.

أمّا الألفاظ (الحياء والوفاء والعمل الصالح والورع) تمثل (الأجزاء)، وكل لفظ من تلك الألفاظ يُعدّ جزءاً مكمل للإسلام، فإن فهم هذا الأجزاء يسهم في بناء الصورة الكلية للإسلام. أمّا جملة (حبُّ أهل البيت) تُعدّ الجزء الأهم وأساس الإسلام، وهي (الجزء) الذي يقوم عليه (الكل) الإسلام. وهذا يُشير إلى أهمية حب أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الهوية الإسلامية.

فالانساق المعجمي والتعبير عن العلاقة بين الكل (الإسلام) والأجزاء (الحياء والوفاء والعمل الصالح والورع وحب أهل البيت) تظهر بشكل واضح، مما يجعله أداة فعالة لتوجيه المسلمين وتعزيز إيمانهم. لذا نجد أنّ الألفاظ المتصاحبة قد جعلت من النص نصّاً موحداً، إذ أسهمت في تماسكه وربط أجزائه مع بعضها البعض، فكان لقرب الألفاظ المتصاحبة على شكل متتالية خطية جمالية أثر مهم في الترابط المعجمي^(٢)؛ لأنّ التجاور بين الألفاظ المتصاحبة هو الذي يعمل على تقوية النص واتساقه، بخلاف الألفاظ المتباعدة التي تعمل على أضعاف النص^(٣).

(١) وسائل الشيعة: ١٨٤/١٥.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ١٤٣.

(٣) ينظر: المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة: ١١٥.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

وأيضاً مما جاء عن كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ (أَنَّهُ قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): الْعَبْدُ يُصِيبُ الذَّنْبَ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فَقَالَ: يَا ابْنَ زِيَادٍ التَّوْبَةُ، قُلْتُ: لَيْسَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَصَابَ ذَنْبًا قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِالتَّحْرِيكِ، قُلْتُ: وَمَا التَّحْرِيكِ؟ قَالَ: الشَّفَتَانِ وَاللِّسَانُ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبَعَ ذَلِكَ بِالْحَقِيقَةِ، قُلْتُ: وَمَا الْحَقِيقَةُ؟ قَالَ: تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَاضْمَارُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى الذَّنْبِ الَّذِي اسْتَغْفَرَ مِنْهُ، قُلْتُ: فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنَا مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ؟ قَالَ: لَا، لِأَنَّكَ لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْأَصْلِ بَعْدُ، قُلْتُ: فَأَصِلْ الْإِسْتِغْفَارَ مَا هُوَ، قَالَ: الرَّجُوعُ إِلَى التَّوْبَةِ عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي اسْتَغْفَرْتَ مِنْهُ وَهِيَ أَوَّلُ دَرَجَةِ الْعَابِدِينَ وَتَرْكُ الذَّنْبِ وَالْإِسْتِغْفَارُ اسْمٌ وَقَعَ لِسِتَّةِ مَعَانٍ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ نَحْوَهُ^(١).

لقد ورد في هذا النصّ ألفاظٌ متصاحبةٌ مُعْجَمِيًّا ومرتبطة فيما بينها بعلاقة الجزء بالجزء وعلاقة الكل بالجزء، فالألفاظ (الشفَتان، واللِّسان، والقلب) هي أجزاء من جسم الإنسان، فعلاقة الجزء بالجزء تقوم على مصاحبة أكبر عدد من الأجزاء؛ لتعبر عن علاقة معجمية واحدة^(٢)، فالشفَتان واللِّسان فهما جزآن مرتبطان بعلاقة تكاملية، فكل واحد منهما يكمل الآخر، فهذه الأجزاء تمثل التحريك الذي قصده أمير المؤمنين (عليه السلام) لكي ينتج منه الاستغفار، والاستغفار لا يكون إلّا بتسليط جزء من أجزاء جسم الإنسان وهو الشفتان واللِّسان، أمّا بالنسبة إلى الجزء الآخر (القلب)، فهو جزءٌ متممٌ لتلك الأجزاء، فلاستغفار لا يقتصر على تحريك (الشفَتين واللِّسان) كما قصد الإمام (عليه السلام)، بل هو تصديقٌ بالقلب وعزم على ترك ما يوجب الاستغفار قولاً وفعلاً.

فكل جزء من هذه الأجزاء قد أضاف معنى خاصاً ومقصوداً للكل الذي أراده الإمام (عليه السلام)^(٣)، وهو (وجوب إخلاص التوبة والرجوع من الذنب من خلال الاستغفار)، أمّا

(١) وسائل الشيعة: ٧٨ / ١٦.

(٢) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٥.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

العلاقة الأخرى الواردة في هذا النص، فهي علاقة الكل بالجزء والمتمثلة بالألفاظ الآتية: (استغفر الله بالتحريك، اتباع الحقيقة، الرجوع إلى التوبة)، فهذه الألفاظ أجزاء من اللفظ الكلي (الاستغفار).

ثالثاً: التلازم الذكري

يعدُّ التلازم الذكري من العلاقات التي تقوم بربط العناصر المعجمية ذات الموضوع الواحد، نتيجةً لظهورها في سياقاتٍ مُتشابهة، مثل: (المرض، الطبيب - النكتة، الضحك - القط، الفأر)^(١).

إذ ورد عن الإمام الرضا عَنِ آبَائِهِ (عليهم السلام) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا تَحَابُّوا وَتَهَادَوْا وَأَدَّوْا الْأَمَانَةَ وَاجْتَنَبُوا الْحَرَامَ، وَقَرَأُوا الضَّيْفَ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ، فَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ابْتُلُوا بِالْقَحْطِ وَ السَّيِّئِ)^(٢).

نجدُ أنَّ هذا النص قد اشتمل على سلسلة متصلة من الألفاظ المتلازمة فيما بينها على النحو الآتي:

التلازم الذكري

أدوا ← الأمانة

اجتنبوا ← الحرام

قروا ← الضيف

أقاموا ← الصلاة

أتوا ← الزكاة

(١) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في النص النثري: ١١٥، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق:

(٢) وسائل الشيعة: ١٥ / ٢٥٤.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

فقد أسهم التلازم بين الأفعال (أدوا واجتنبوا وقرأوا وأقاموا وأتوا) وبين (الأمانة والحرام والضيف والصلاة والزكاة)، على إحداث الترابط بين جمل النص، وذلك ((من خلال توالي سلسلة متصلة من المتلازمات وضعها الكاتب جنباً إلى جنب في نصه))^(١).

لذا كانت المتلازمات أشد ارتباطاً وقرباً من بعضها، فكلما ازداد العنصران المعجميان قريباً من بعضهما في النص ازداد الترابط والاتساق الذي يتحقق بهما قوة ومثانة^(٢)، إذ ربطت تلك المتلازمات نص الحديث من أوله إلى آخره، فكانت دلالة كل واحدة منهما متلازمة ومترابطة لدلالة الأخرى، فذكر أحدهما استدعى ذكر الأخرى تلقائياً من قبل المتلقي؛ لأن المتلقي لا يخفى عليه عندما يرد ذكر أحد الألفاظ المذكورة في النص إلا ما تبادر إلى ذهنه ذكر اللفظ الملازم له.

ومنه أيضاً ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قَالَ: (مَنْ أُعْطِيَ ثَلَاثًا لَمْ يُمْنَعْ ثَلَاثًا: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ أُعْطِيَ الإِجَابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ أُعْطِيَ الزِّيَادَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوَكُّلَ أُعْطِيَ الْكِفَايَةَ، ثُمَّ قَالَ: أَتَلَوْتَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَنْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٣) وَقَالَ: ﴿لَنْ شُكْرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٤) وَقَالَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٥)^(٦).

نلاحظ أنَّ الألفاظ المتلازمة بين (الدعاء و الإجابة) وبين (الشكر و الزيادة) وبين (التوكل و الكفاية)، كادا أن يكونا لفظاً واحداً، فلا يخفى على القارئ عندما ترد لفظة (الدعاء) ترد إلى ذهنه لفظة (الإجابة)، وهكذا مع بقية الألفاظ الواردة في هذا النص.

(١) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١٦.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ١٤٣.

(٣) الطلاق: ٣.

(٤) إبراهيم: ٧.

(٥) غافر: ٦٠.

(٦) وسائل الشيعة: ١٥ / ٢١٣.

الفصل الأول الاتساق المعجمي في أحاديث جهاد النفس

وقد حقق هذا التلازم الذكري بين الألفاظ في هذا النص ترابطاً وثيقاً، فأسهم في بناء وحدته وفكرته، وزاده تماسكاً وانسجاماً دلاليّاً من خلال إشغال ذهن القارئ بالتأويل؛ لاستحضار اللفظ المناسب في الدلالة.

الفصل الثاني

الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

المبحث الأول: الإحالة

المبحث الثاني: الرّبط

المبحث الثالث: الحذف

توطئة:

يتمثّل هذا النوعُ من الاتساق بوجود وسائل لغوية ظاهرة على سطح النص ومتوزعة في أجزائه، تعمل على ترابط أجزاء النصّ مع بعضها البعض^(١)، وتحقق له وحدته وتماسكه، وذلك ((لكي يكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة))^(٢).

فالانساق النحوي هو علاقة كل جملة من النص بالأخرى وتتشأ هذه العلاقة عن طريق الأدوات التي تظهر في النص.

وقد عني النصيُّون بهذه الوسائل أو الأدوات، وهي^(٣):

١- الإحالة

٢- الربط

٣- الحذف

وفي هذا الفصل سندرس هذه الوسائل دراسةً تنظيريةً وتطبيقيةً على بعض أحاديث جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة.

(١) ينظر: مقدمة في اللغويات المعاصرة، ماهر محمود آغا: ٢٠١.

(٢) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٣.

(٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٦_٢٤، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق:

المبحث الأول

الإحالة

تُعد الإحالة عنصراً أساسياً من عناصر الاتساق النصي ووسيلة من وسائل الربط النصي، من حيث إنها الأداة الأكثر شيوعاً وتداولاً، إذ تقوم بعملية الربط بين الجمل، والعبارات، التي تتألف منها النصوص^(١). ويعرفها روبرت دي بوجراند بأنها ((العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء، والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات))^(٢).

ويوضح جون لاينز الجانب الدلالي للإحالة، فيعرفها ((إنها العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات))^(٣)، أي أنّ العلاقة بين الأسماء والمسميات، هي علاقة دلالية تقوم على مبدأ (المحال) و(المحال إليه)، وهذه العلاقة تخضع لقيد، وهو وجوب أن يكون هناك تطابق للخصائص الدلالية بين العنصر المُحيل والعنصر المحال إليه^(٤)، أي يكون هناك تشابه في المعنى بين الكلمة وما تشير إليه.

ويرى (فان دايك) أنّ الإحالة جزءٌ من علم الدلالة من خلال عملها على ربط النص والسياق باستعمال ((التعبيرات الإشارية))^(٥).

(١) ينظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم محمود خليل: ٢٢٧.

(٢) النص والخطاب والاجراء: ١٧٢.

(٣) تحليل الخطاب، ج. ب براون، ج. يول، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي: ٣٦.

(٤) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ١٧.

(٥) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ. فان دايك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري:

١٣٥_١٣٦.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

أما هاليداي ورقية حسن فقد استعمل مصطلح الإحالة استعمالاً خاصاً ((وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة وهي حسب الباحثين: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة))^(١)، بمعنى أن الإحالة في النص لا تحدث إلا بوجود عناصر تساعد على ذلك. هذه العناصر تُعرف غالباً بـ (العناصر الإحالية)، وتشمل الضمائر والإشارات، وأدوات المقارنة. هذه العناصر تتميز بأنها جزء من الكلمات التي ليس لها معنى مستقل بحد ذاتها، بل تعود على كلمات أخرى أو عناصر مذكورة في أجزاء أخرى من النص، فشرط وجودها هو النص نفسه، وهي تقوم على مبدأ التشابه بين ما ذكر سابقاً في موضع ما وما يُذكر لاحقاً في موضع آخر^(٢).

وللإحالة دورٌ في اختصار الألفاظ في النص، فهي تشير إلى ما سبق وتعوض عنه بإحدى عناصر الإحالة كاستعمال (الضمير أو اسم الإشارة) مما يجنب التكرار ويحقق الاقتصاد اللغوي^(٣).

مكونات الإحالة

١- العنصر الإحالي: ((هو كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره))^(٤).

٢- العنصر الإشاري: ((هو كل مكون لا يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره))^(٥).

يفسره))^(٥).

أنواع الإحالة

-
- (١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٦-١٧.
 - (٢) ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً: ١١٨.
 - (٣) ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى: ١٧٤-١٧٥، و علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٢٠.
 - (٤) نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً: ١٣١.
 - (٥) المصدر نفسه: ١٢٧.

تتقسم الإحالة على قسمين رئيسيين:

أولاً: الإحالة النصية (الداخلية):

وهي الإحالة التي تكون بين تعبيرين لغويين يكونان داخل النص، ويشكلان نصاً واحداً، ولكي يتم التمييز بين عنصر المحال والمحال إليه، يتطلب من المستمع أو القارئ التركيز والتمعن داخل النص للبحث عن العناصر المحيلة، والتي بدورها تحيل إلى الشيء المحال إليه^(١)، ويرى كل من هاليداي ورقية حسن إلى أنّ الإحالة النصية تقوم ((بدور فعّال في اتساق النص، ولذا يتخذها المؤلفان معياراً للإحالة، ومن ثم يوليانيها أهمية بالغة))^(٢)، وهي بدورها تقسم على نوعين:

١ - إحالة قبلية: وهي تعني عودة عنصر أحمالي إلى عنصر إشاري آخر سبق التلطف به^(٣)، بمعنى أنّ العنصر المُحال إليه مذكوراً قبل العنصر الإحمالي، وتشير أيضاً إلى رجوع العنصر المُحيل والموجود في النص على العنصر المتقدم عليه، لذا فهي ((استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة، في النص أو المحادثة))^(٤). وهذا النوع من الإحالة يعدّ من أكثر الأنواع تداولاً ودوراناً في الكلام^(٥)، إذ تجعل من المتلقي يكثف اهتمامه لمعرفة ما تحيل إليه إحدى الوسائل الإحالية، وتساعد في حث القراء على مواصلة القراءة من خلال الرجوع والبحث داخل النص^(٦). وهذا ما وجدناه في نصوص الأحاديث، ورود الإحالة القبلية في النصوص أكثر.

(١) ينظر: تحليل الخطاب: ٢٣٩.

(٢) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧_١٨.

(٣) ينظر: نسيج النص: ١١٨.

(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٣٨/١.

(٥) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٧.

(٦) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٢٠.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

٢- إحالة بعدية: وتعني عودة عنصر إحالي على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها، ومن ذلك ضمير الشأن في العربية^(١).

يرى روبرت دي بوجراند أنّ هذا النوع من الإحالة البعدية، أي تأخر الألفاظ المحيلة عن مراجعتها، هو أقل استعمالاً ووروداً في داخل النص مقارنة بالإحالة القبلية؛ بسبب صعوبة البحث عن لفظ المحال إليه، فهي تجعل من المتلقي يتصور بأنها إحالة لا مرجع لها، ثم بعد ذلك يعثر لها في النهاية على مرجع، فإن هذا النوع من الإحالة المتأخرة شائع جداً في الجمل المفردة^(٢).

ثانياً: الإحالة المقامية (الخارجية):

ويعرفها (الأزهر الزناد) بقوله: ((وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي))^(٣)، وأطلق عليها تمام حسان بأنها إحالة إلى خارج النص لعنصر من عناصر العالم^(٤).

ويرى الباحثان (هاليداي ورقية حسن) أن الإحالة المقامية ((تسهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلّا أنها لا تسهم في اتساقه بشكل مباشر))^(٥)؛ لأنها تحتاج إلى جهد أكبر للكشف عنها، وتوضيح آليتها وتأويل العنصر غير اللغوي المتحكم فيها، والذي يقع خارج النص، ويتطلب تفسيره الاستعانة بالسياق أو المقام الخارجي، والإشارات الدالة عليه^(٦).

(١) ينظر: نسيج النص: ١١٩.

(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٢٧.

(٣) نسيج النص: ١١٩.

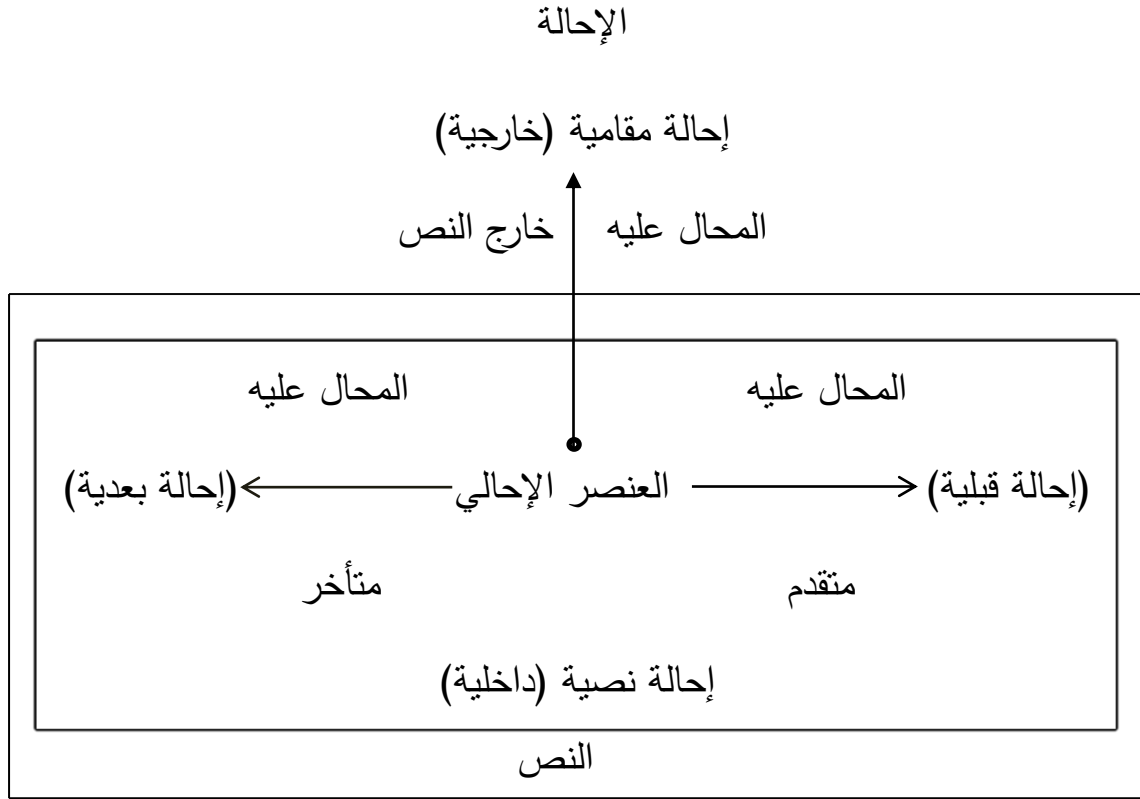
(٤) ينظر: اجتهادات لغوية، تمام حسان: ٣٦٦.

(٥) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧.

(٦) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: سعيد حسن بحيري: ١٠٥.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

ويمكن توضيح مفهوم الإحالة بنوعيتها من خلال المخطط الآتي:



إمّا بالنسبة إلى المدى الفاصل بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، فيقسم علماء النص مدى الإحالة على نوعين^(١):

- إحالة ذات مدى قريب: ويجري هذا النوع ضمن الجملة الواحدة من غير أن يكون هناك فواصل تركيبية جمالية.

- إحالة ذات مدى بعيد: وتكون بين الجمل المتصلة والمتباعدة في فضاء النص، كما تتجاوز بذلك الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل.

وسائل الاتساق الإحالية:

(١) ينظر: نسيج النص: ١٢٣-١٢٤، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٠، ودراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٥٠-١٥١.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

قسّمت وسائل الاتساق الإحالية بحسب الباحثان (هاليداي ورقية حسن) على ثلاثة أقسام، وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة^(١)، وإلى جانب هذه الوسائل، أضاف (دي بوجراند) وسيلة أخرى، وهي الإحالة بالأسماء الموصولة^(٢).

وعند دراسة أحاديث جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي، نجدها زاخرة بالإحالات؛ وذلك لتعدد العناصر المحيلة، ك(الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأدوات المقارنة). وفي ضوء هذا الفهم، سنورد دراسة نظرية وتطبيقية لوسائل الاتساق الإحالية على بعض أحاديث جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة، وبيان أثرها في اتساق نصّ الأحاديث.

أولاً: الإحالة بالضمائر

تعدّ الضمائر من أبرز وسائل الاتساق الإحالية، إذ أولى علماء النص (الضمائر) أهمية كبرى لما لها من أثرٍ بالغ في تحقيق الاتساق النصّي؛ فيرى (بروان ويول) أن الضمائر ((أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة))^(٣)، إذ إنها تعدّ العصب الأساسي في بناء النص وترابطه ((فبها ومن خلالها يتبدى تماسكه، وبها ومن خلالها أيضا يمكن تلقيه، وبدونها يغدو النص مفككا))^(٤).

وتكتسب الضمائر أهمية كبيرة؛ ((بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية؛ فقد يحل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل. ولا تقف أهميتها عند هذا الحد؛ بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة، شكلاً ودلالة،

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧.

(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٢.

(٣) تحليل الخطاب: ٢٥٦.

(٤) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط: ٢١٤.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

داخلياً وخارجياً، وسابقة ولاحقة^(١)، وذلك عن طريق إحالتها على مراجع تغني عن إعادة تكرارها، وتجنب تشتتها^(٢). لذا فهي ليست مجرد كلمات داخل النص، بل هي جزء أساسي من بناء الجمل وترابطها وتحقيق التماسك والمعنى.

تنقسم الضمائر بحسب هاليداي ورقية حسن على قسمين، هما^(٣):

١- ضمائر وجودية، مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن، ... الخ.

٢- ضمائر ملكية، مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا، ... الخ.

ومن الجدير بالذكر أنّ الضمائر التي لها دورٌ في عملية التخاطب هي ضمائر المتكلم والمخاطب، وهذه الضمائر تدلُّ على الإحالة المقامية الخارجية أي: إنّ المشار إليه يكون خارج النص ليس لها دورٌ في تحقيق الاتساق النصي، بينما الضمائر التي لها دورٌ مهمٌ في عملية الاتساق النصي هي ضمائر الغيبة (هو، هي، هم، هن، هما)، ولكن ليس لها دورٌ في عملية التخاطب^(٤)، فتحيل هذه الضمائر ((قبلياً بشكل نمطي إذ تقوم بربط أجزاء النص، وتصل بين أقسامه))^(٥).

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإحالة بالضمير من أكثر أنواع الإحالات وروداً في أحاديث جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة.

أ_ الإحالة النصية (الداخلية)

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١٣٧/١.

(٢) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة: ١٥٣، وفي اللسانيات ونحو النص: ٢٢٨.

(٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨.

(٤) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ١٢٦.

(٥) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨.

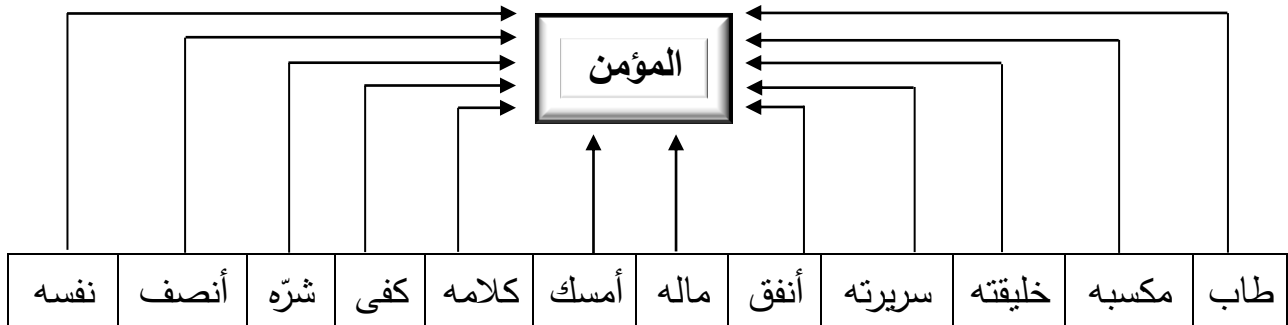
الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

ولتبين الربط الضميري في أحاديث جهاد النفس عن طريق (الإحالة النصية الداخلية) ، بقسميها القبلية والبعدية، نقف على بعض الأمثلة.

من الأحاديث التي وردت إحالاتها قبلية ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (الْمُؤْمِنُ مَنْ طَابَ مَكْسَبُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ، وَصَحَّتْ سَرِيرَتُهُ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ كَلَامِهِ، وَكَفَى النَّاسَ شَرَّهُ، وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ)^(١).

شهد النص السابق إحالة داخلية نصية محورها مرجع واحد، وهو (المؤمن)، إذ أحالت إليه عناصر لغوية ضميرية متمثلة بالضمير المستتر (هو) والمتصل (الهاء)، إذ استحضر المتكلم صفات المؤمن وبثها عبر سلاسل ضميرية في متتاليات جمالية مترابطة، وسلاسل الإضمار هذه تُعدّ عند (هارفيج) وسيلة مهمة في بناء النص، فالنص عنده ((وحدات لغوية متتابعة مبنية بسلاسل إضمار متصلة))^(٢).

نرى إن هذه الضمائر قد مثّلت الصفات الحميدة للمرجع الذي سبق التلفظ به، وهو (المؤمن)، لذا يعدّ هذا المرجع البؤرة المركزية ومحور النص، فجميع الضمائر الوجودية التي عادت عليه كانت للغائب، وقد تنوعت هذه الضمائر: كالضمير المستتر (هو) في (طاب، أنفق، أمسك، كفى، أنصف)، والضمير المتصل (الهاء) في (مكسبه، خليقته، سريرته، ماله، كلامه، شَرّه، أنصف، نفسه)، والتخطيط الآتي يوضح ذلك:



(١) وسائل الشيعة: ١٨٩/١٥.

(٢) مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر: ترجمة: فالح بن شبيب العجمي:

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

يبدو أنّ الانتشار المكثف للضمير المستتر والمتصل، والمحال إحالة نصية قبلية على مرجع واحد، وهو (المؤمن)، قد أسهم في اتساق النص، وربط جملة بأداة الربط (الواو) بعضها مع بعض، إذ قام باختزال (المؤمن) والذي لو عاد ذكره بدل الضمائر؛ لكان لدينا نصّ مليئاً بالحشو والزيادة، وإنّ اختزال الألفاظ عبر وسائل اتساقية معينة قد أشار إليها (جوفري ليتش، وميخائيل شورت): ((إن الاتساق يتضمن، بشكل مستمر، مبدأ الاختزال الذي بواسطته تسمح لنا اللغة بتكثيف رسائلنا متقين بذلك التعبير المكرر عن الأفكار المعادة))^(١). وإن العائدية الضميرية المرتبطة بالجملة السابقة، والمحددة لقضية النص الأساسية، وهي (الصفات الحميدة لأخلاق المؤمن)، قد ربطت جمل النص السابق واللاحق، وأفادت الاختصار وأغنت عن التكرار، ولم يقتصر دور الضمير العائد على الربط داخل الجملة الواحدة، بل تعدى ذلك ليكون عوضاً عن جمل كاملة أو متتالية من الجمل، ليصبح الرابط به على مستوى النص بأكمله^(٢).

ومن هنا يتضح دور الإحالة ((في خلق اتساق الخطاب وضمان استمراره ويتم ذلك بربط الخطاب بنموذج ذهني واحد متماسك من بداية الخطاب إلى نهايته))^(٣)، فضلاً عن ذلك فإنّ استعمال الضمير الوجودي بدلاً من الضمائر الأخرى في هذا النص يسمح له بالاستمرارية الزمنية، ويجعله عامّاً وصالحاً للتطبيق في كل زمان، سواء في الماضي أو الحاضر^(٤).

ومن أمثلة الإحالة بالضمير أيضاً ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (في مُنَاجَاةِ مُوسَى (عليه السلام): يَا مُوسَى إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ عُقُوبَةٍ عَاقَبْتُ فِيهَا آدَمَ عِنْدَ خَطِيئَتِهِ، وَجَعَلْتُهَا

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢٨.

(٢) ينظر: اللسانيات العربية والإضمار دراسة تركيبية دلالية، محمد الغريسي: ٢٢١.

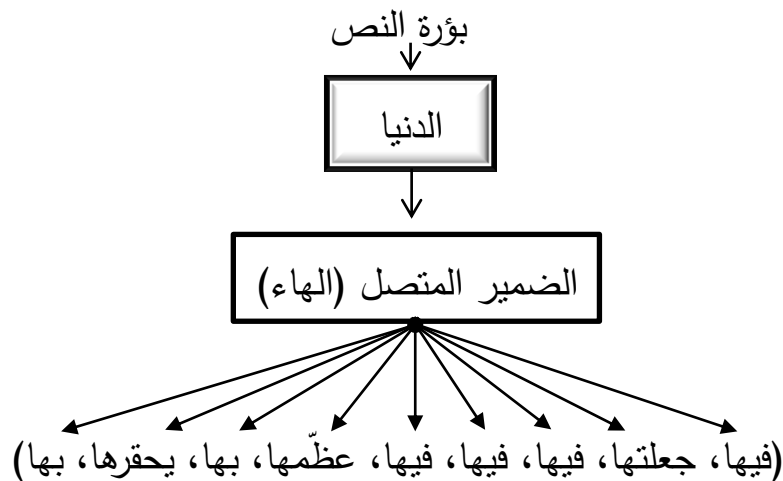
(٣) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل: ١٤٥.

(٤) ينظر: التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة (اطروحة دكتوراه): ١٤٩.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ فِيهَا لِي، يَا مُوسَى إِنَّ عِبَادِي الصَّالِحِينَ زَهَدُوا فِي الدُّنْيَا بِقَدَرٍ عَلِمَهُمْ وَسَائِرَ الْخَلْقِ رَغِبُوا فِيهَا بِقَدَرٍ جَهَلَهُمْ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ عَظَّمَهَا فَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِهَا، وَلَمْ يُحَقِّرْهَا أَحَدٌ إِلَّا انْتَفَعَ بِهَا^(١).

يبدو أنّ نصّ الحديث يحمل غرضاً توجيهياً يسعى المتكلم إلى إيصاله للمخاطب والمتلقي على حدٍ سواء، وقد تجلّى ذلك بالنداء الموجه للمخاطب بـ (يا موسى) لتوجيهه وتنبيهه على ضرورة كراهة الدنيا ودمّها، لذا وصفها بأنها دار عقوبة فقال: (إنّ الدنيا دار عقوبة)، ونستشفّ من ذلك أنّ الغرض التوجيهي من النص أو هدفه، هو (تحریم حب الدنيا)، ولفظة (الدنيا) كما نلاحظ قد استقطبت معظم الضمائر وأحيل إليها في مواضع عديدة من النص وكانت إحالات نصية قبلية، مما يجعلها المرجع الأساسي والبؤرة الرئيسية فيه، كما نلاحظ أنّ هناك مراجع إشارية أخرى قد جاءت إشارات فرعية متمثلة بلفظة (آدم، العباد الصالحين، سائر الخلق، أحد المعظمين للدنيا، وأحد المحقرين لها)، هذه المراجع الخمسة قد ارتكز بناء النص عليها، إلّا أنّ لفظة (الدنيا) تمثل المرتكز الأساسي والبنية الدلالية له، إذ أحيل إليها بالضمير المتصل الغائب (الهاء) تسع مرات على النحو التالي:



(١) وسائل الشيعة: ٩/١٦.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

أما الإحالات الفرعية فقد أحال بالضمير المتصل (الهاء) في (خطيئته) إحالة نصية قبلية على آدم، وأحال الضمير المتصل (واو الجماعة) في (زهدوا)، والمتصل (هم) في (علمهم) إحالة نصية قبلية على العباد الصالحين، وأحال أيضاً بالضمير المتصل (واو الجماعة) في (رغبوا)، والمتصل (هم) في (جهلهم) إحالة نصية قبلية على سائر الخلق، وأحال بالضمير المستتر في (عظمها، وقرّت)، والمتصل (الهاء) في (عينه) إحالة نصية قبلية على لفظة أحد وهذه اللفظة تُعدُّ لفظة عامّة، إذ أحالت هنا على الذي يُعظم الدنيا، وأحال بالضمير المتصل (الهاء) إحالة نصية بعدية في (ولم يحقرها)، والمستتر إحالة قبلية في (انتفع) على لفظة أحد الثانية، أي أحالت على الذي يُحقر الدنيا.

يتضح مما سبق أنّ الضمائر التي وردت في النص قد عملت على اتساق النص عن طريق ربط أول نسيج النص بآخره، وكشفت عن الدلالة العامة الكلية التي من أجلها أنشئ الخطاب، وقد تحقق ذلك بالتعاون مع العناصر الفرعية من جهة، والمحور الأساسي للنص الذي يمثل نواته، والذي أحالت إليه معظم الضمائر، وهو لفظة (الدنيا) من جهةٍ أخرى^(١). وزيادة على كون الضمائر تؤدي وظيفة الربط، إلّا إنها ((تتمتع بقيم تعبيرية أخرى: كالإيجاز، ورفع اللبس))^(٢). لذا عملت على اختصار الألفاظ وعدم تكرارها داخل النص.

أمّا بالنسبة للمدى الإحالي، فقد كانت الإحالة إلى لفظة (الدنيا) قريبة المدى عندما تكون في الجملة نفسها، وبعيدة المدى عندما تتوزع الإحالات عليها في أجزاء مختلفة من النص، وأمّا العناصر الفرعية الأخرى، فقد اتصفت بالقرب الإحالي، فهي بذلك لا تسهم بشكل كبير في اتساق النص؛ لأنها واضحة بالنسبة للمتلقي ولا تتطلب جهداً للبحث عن

(١) ينظر: لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني انموذجا، ليندة قياس: ١٠٩.

(٢) المعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضى: ١٣٦.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

مفسر لها، إذ يقتصر وجودها داخل حدود الجملة الواحدة^(١)، وبذلك قد حافظت تلك الإحالات على اتساق النص واستمراريته الدلالية.

وأيضاً ما ورد عن الإمام عليّ (عليه السلام) عن النبي (ﷺ) أنه قال: (أَكَيْسُ الْكَيْسِينَ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: إِذَا أَصْبَحَ ثُمَّ أَمْسَى رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، وَقَالَ: يَا نَفْسِي إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَضَى عَلَيْكَ لَا يَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَاللَّهُ يَسْأَلُكَ عَنْهُ بِمَا أَفْنَيْتَهُ، فَمَا الَّذِي عَمِلْتَ فِيهِ أَ ذَكَرْتَ اللَّهَ أَمْ حَمَدْتَهُ؟ أَمْ قَضَيْتَ حَوَائِجَ مُؤْمِنٍ فِيهِ أَمْ نَفْسَتْ عَنْهُ كَرْبَهُ؟ أَمْ حَفِظْتَهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ فِي أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ؟ أَمْ حَفِظْتَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي مُخَلَّفِيهِ، أَمْ كَفَفْتَ عَنْ غِيْبَةِ أَخٍ مُؤْمِنٍ أَعَنْتَ مُسْلِمًا؟ مَا الَّذِي صَنَعْتَ فِيهِ؟ فَيَذْكُرُ مَا كَانَ مِنْهُ، فَإِنْ ذَكَرَ أَنَّهُ جَرَى مِنْهُ خَيْرٌ حَمَدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ، وَإِنْ ذَكَرَ مَعْصِيَةً أَوْ تَقْصِيرًا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَعَزَمَ عَلَى تَرْكِ مُعَاوَدَتِهِ)^(٢).

لقد جاءت الضمائر في هذا النص متعددة ومتنوعة، وأحالت إحالات داخلية نصية قبلية إلى أكثر من مرجع إشاري، ولتوضيح الإحالات الضميرية في هذا الحديث، نورد الجدول الآتي:

المحال إليه	الإحالة	عنصر الإحالة	نوع الإحالة
أكيس الكيسين	حاسب، عمل، يحاسب، أصبح، أمسى، رجع، قال، حمد، كبر، أستغفر، عزم	الضمير المستتر (هو)	إحالة قبلية نصية
	نفسه، نفسه، نفسه	الضمير المتصل (الهاء)	=

(١) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس بن محمود فجّال: ٢٢٨

(٢) وسائل الشيعة: ٩٨/١٦.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

=	الضمير المتصل (الياء)	نفسي	
=	الضمير المستتر (هو)	قال	أمير المؤمنين
إحالة بعدية نصية	الضمير المستتر (هو)	قال	الرجل
إحالة قبلية نصية	الضمير المتصل (الكاف)	عليك، إليك، يسألك	النفس
=	الضمير المتصل (التاء) المخاطبة	أفنيته، عملت، ذكرت، حمدته، قضيت، نفست، حفظتيه، حفظتيه، كففت، أعنت، صنعت	
=	الضمير المستتر (هو)	مضى، لا يعود، فيذكر، ذكر، ذكر	اليوم
=	الضمير المتصل (الهاء)	عنه، أفنيته، فيه، فيه، فيه، منه، أنه	
=	الضمير المستتر (هو)	يسألك	الله عز وجل
=	الضمير المتصل (الهاء)	حمدته، كبره، توفيقه	
=	الضمير المتصل (الهاء)	عنه، كربه، حفظتيه، أهله، ولده، حفظتيه، مخلفيه	المؤمن
=	الضمير المتصل (الهاء)	معاودته	المعصية والتقصير

بعد توزيع الإحالات على مفسراتها في الجدول أعلاه يتبيّن ما يأتي:

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

١- أن حركة الضمائر في النص السابق قد توزعت بين أرجاء النص وامتدت من بدايته إلى نهايته، إذ بلغ عدد ضمائر هذا النص (٥٥) ضميراً، مُحال إليها إحالات داخلية نصية قبلية باستثناء إحالة واحدة جاءت بعدية.

٢- أحالت هذه الإحالات إلى أكثر من عنصر لغوي إشاري، ومن ثمَّ أسهمت هذه الضمائر في تحقيق الاتساق النصي وربط جملة بعضها ببعض.

٣- تُمثّل الجملة الأولى من النص (أكيس الكيسين) نقطة الانطلاق الأساسية ومحور النص، إذ استقطبت هذه الجملة أغلب الإحالات الضميرية فأحيل إليها بالضمير المستتر إحدى عشرة مرة، والمتصل (الهاء) ثلاث مرات، والمتصل (ياء المتكلم) مرة واحدة، وهي إحالات داخلية قبلية، ويُحيل الضمير المتصل (الكاف) ثلاث مرات، والمتصل (تاء المخاطبة) إحدى عشرة مرة، وهي إحالة داخلية قبلية على لفظة (نفس)، لتُمثّل المرجع الأساسي الثاني، لما لها أثر كبير داخل النص، لذلك عادت أغلب الضمائر إليها، وهذا المرجع بدوره يعود على ذات (أكيس الكيسين)، فشكلاً معاً بؤرة النص ونواته، ولهذا، كلما ازداد دور العناصر الأساسية في النص، ازدادت الضمائر التي تُحيل إليهما^(١). لذا كان حضور تلك الإحالات النصية القبلية مكثفاً وممتداً على سطح النص، وإن كثرة الإحالة في النص السابق وانتشارها على سطحه، ولاسيما من نوع الإحالة القبلية النصية، يدل على تداولية النص القوية وترابط الكلام فيه^(٢)؛ لأن المتكلم يناقش مسألة مهمة وجوهرية بين طرفي المخاطب، تدور حول (وجوب محاسبة النفس كل يوم وملاحظة ما تقوم به، وحمد الله عز وجل على الحسنات وتدارك السيئات) من قِبَل صاحبها، قَبْل أن تُحاسب يوم

(١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢٠٦/١.

(٢) ينظر: إشكالات النص دراسة لسانية نصية: ٣٩٢.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

القيامة، لذلك أسهمت الضمائر في تكوين وحدة الخطاب وإبراز موضوعه ((فالضمائر مع غيرها من الوسائل تكون نسيجاً نصياً عالياً))^(١).

٤- لا يخلو النص من عناصر إشارية فرعية قد أُحيلت إليها بعض الضمائر، فكانت هي الأخرى ضرورية ومهمة؛ لأنها عناصر عملت على تشكيل دلالة النص وإبراز وحدته الموضوعية، وتتمثل العناصر الإشارية الرئيسية في طرفي السؤال والجواب، وهما: الرجل والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، بالإحالة إليهما بالضمير المستتر (هو) مرة واحدة، كما أُحيل إلى اليوم بالضمير المستتر (هو) خمس مرات، والمتصل (الهاء) سبع مرات، وأُحيل إلى الله عز وجل بالضمير المستتر مرة، والمتصل (الهاء) ثلاث مرات، وأُحيل إلى المؤمن بالضمير المتصل (الهاء) سبع مرات، كذلك أُحيل إلى المعصية والتقصير بتوحيد الضمير وهو الضمير المتصل (الهاء) مرة واحدة؛ لعدم وجود فرق بينهما، فحكمهما واحد، أي كلاهما من السيئات.

ويمكن للباحثة أن تحيل على أمثلة أخرى لهذا النوع من الإحالة النصية باستعمال (الضمير) المحال إحالة قبلية في أحاديث جهاد النفس مقصد البحث^(٢).

أما الإحالة النصية البعدية التي تعود على عنصر لاحق فقد وردت في أحاديث جهاد النفس عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ سَمِعْتُ الْإِمَامَ الصَّادِقَ (عليه السلام) يَقُولُ: (إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا خَرَجَ عَبْدٌ مِنْ ذَنْبٍ بِإِصْرَارٍ، وَمَا خَرَجَ عَبْدٌ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا بِإِقْرَارٍ)^(٣).

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١٦٢/١.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج ١٥/١٨٤ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٤ - ٢١٤ - ٢٢٦ - ٢٣٠ - ٢٤٢ - ٢٨١ - ٢٨٣ - ٢٨٩ - ٢٩١ - ٢٩٧ - ٣٠٦ - ٣٢١، و ج ١٦ / ١١ - ٣٨ - ٤٥ - ٦٥ - ٧١.

(٣) وسائل الشيعة: ١٦ / ٥٩.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

نلاحظ في هذا النص ورود ضمير الشأن المتصل المفرد الغائب (الهاء) متقدماً على مرجعه، فالضمير (الهاء) ورد اسماً للحرف الناسخ (إنّ) في (إنّه)، وهو ضمير شأن فسرته الجملة التي بعده، وأشار إلى أمر سيذكر لاحقاً، فأحال إحالة بعدية نصية، مما أسهم في اتساق النص وتربطه. وضمير الشأن ((على اختلاف أحواله، إنّما يراد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتقخير شأنها وتحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أولاً وتفسيره ثانياً، لأن الشيء إذا كان مُبهماً فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوق إليه))^(١).

لذا قدّم الإمام (عليه السلام) الإحالة الضميرية وأخر مفسرها؛ لأهمية ما يشير إليه نصّ الحديث. فالنصّ قد حمل فكرتين رئيسيتين، إحداها تحمل معنى النفي، فقال: (ما خرج عبداً من ذنبٍ بإصرار)، فهذه الجملة تنفي إمكانية التخلص من الذنب إذ استمر الإنسان عليه ولم يعترف بذنبه، إمّا الفكرة الثانية فهي تحمل معنى الإثبات، فقال: (وما خرج عبداً من ذنبٍ إلا بإقرار)، فهذه الجملة تثبت أن الخروج من الذنب لا يكون إلا بالاعتراف به، أي وجوب اعتراف المذنب لله. إذن فتقديم الضمير على مفسره كان لغرض جذب انتباه المتلقي وإثارة التساؤل لديه والرغبة لمعرفة المحال إليه، وإن استعمال القسم في بداية الحديث (والله) عقب (إنه) يزيد من وقوع الكلام وجديته، ويعمق أثر الإثارة قبل كشف المرجع في الموضوع التالي.

وقد يأتي ضمير الشأن مفرداً والجملة التي بعده هي التي تفسره، كما في قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (لَا يَجِدُ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَأَنَّ الضَّارَّ النَّافِعَ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)^(٢).

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، يحيى بن حمزة العلوي: ١٤٢/٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٠١/١٥.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

نرى في هذا النص ورود ضمير الشأن المنفصل (هو) متقدماً على مرجعه؛ لأن مضمون الجملة التي بعده هي التي تُفسّره، ((ولا يكون ضمير الشأن الحاضر، وإنما يكون ضمير غيبية مفسراً بجملة بعده خبرية مصرح بجزأها))^(١).

وفي هذا السياق يحيل ضمير الشأن في هذا النص إحالة نصية بعدية على لفظ الجلالة، وهو المحال إليه. ويُلحظ أنّ ورود ضمير الشأن في هذا الموضع متقدماً على مرجعه، يهدف إلى تعظيم الفاعل وتقخير شأنه^(٢).

بـ الإحالة المقامية (الخارجية)

ومن أمثلة (الإحالة المقامية الخارجية) ما ورد عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) يَقُولُ: (إِنَّمَا الدَّهْرُ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ أَنْتَ فِيهَا بَيْنَهُنَّ، مَضَى أَمْسٍ بِمَا فِيهِ فَلَا يَرْجِعُ أَبَدًا، فَإِنْ كُنْتَ عَمِلْتَ فِيهِ خَيْرًا لَمْ تَحْزَنْ لِدَهَابِهِ، وَفَرِحْتَ بِمَا اسْتَقْبَلْتَهُ مِنْهُ، وَإِنْ كُنْتَ فَرَطْتَ فِيهِ فَحَسَرْتَكَ شَدِيدَةٌ لِدَهَابِهِ وَتَفَرِيطُكَ فِيهِ، وَأَنْتَ مِنْ عَدٍ فِي غَرَّةٍ، لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ لَا تَبْلُغُهُ وَإِنْ بَلَغْتَهُ لَعَلَّ حَظَّكَ فِيهِ التَّفَرِيطُ مِثْلُ حَظِّكَ فِي الْأَمْسِ - إِلَى أَنْ قَالَ: - وَإِنَّمَا هُوَ يَوْمُكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ، وَقَدْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ عَقَلْتَ وَفَكَّرْتَ فِيمَا فَرَطْتَ فِي الْأَمْسِ الْمَاضِي مِمَّا فَاتَكَ فِيهِ مِنْ حَسَنَاتٍ أَنْ لَا تَكُونَ اكْتَسَبَتْهَا وَمِنْ سَيِّئَاتٍ أَنْ لَا تَكُونَ أَقْصَرْتَ عَنْهَا - إِلَى أَنْ قَالَ - فَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ لَيْسَ يَأْمُلُ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا يَوْمَهُ الَّذِي أَصْبَحَ فِيهِ وَلَيْلَتُهُ، فَاعْمَلْ أَوْ دَعْ وَاللَّهِ الْمُعِينُ عَلَى ذَلِكَ)^(٣).

يتضمن النص السابق إحالات إلى عناصر غير لغوية ، تشير إلى عنصر خارجي غير مصرّح به داخل النص، فالإحالة هنا من قبيل الإحالة الخارجية، إذ أحيل بالضمير

(١) شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى: ٢٠١/١.

(٢) ينظر: معاني النحو: ٥٣/١.

(٣) وسائل الشيعة: ٩٣ / ١٦.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

المنفصل المخاطب (أنت) مرتين، وبالضمير المتصل تاء المخاطب في الأفعال (كنت، عملت، فرحت، استقبلته، كنت، فرطت، بلغته، أصبحت، عقلت، فكرت، فرطت، اكتسبتها، أقصرت)، وبالضمير المستتر (أنت) في الأفعال (لم تحزن، لا تدري، لا تبلغه، لا تكون، لا تكون)، وفي صيغ الأمر (فاعمل، فاعمل، دع)، وبالضمير المتصل كاف الخطاب في الكلمات (فحسرتك، تفريطك، حظك، حظك، يومك، لك، فانتك).

كل هذه الضمائر تحيل إلى عنصر إشاري غير لغوي، وهو ذات المخاطب الموجود خارج النص، ويقصد به (الإنسان) المتلقي لهذا النص. الذي يجب عليه أن يتلافى في يومه ما فرط فيه في أمسه، وألا يؤخر ذلك إلى غده، لذلك تعتمد معرفة مرجعية تلك الضمائر المخاطبة على المتلقي الحاضر، وتعدّ ضمائر الخطاب من أبرز العناصر التي تحيل إلى غير مذكور. وعلى الرغم من أن هذا العنصر الخارجي (الإنسان) الذي استقطب جميع ضمائر الخطاب التي انتشرت في النص السابق عبر الجمل والتراكيب، والذي جعل من نفسه بؤرة أساسية ارتكز عليها اهتمام الخطاب، لم يُذكر صراحةً في النص، إلا أن سياق النص هو الذي دلّ عليه، أي أنه لا يمكن معرفة مرجعية الضمائر وما تحيل إليه إلا عن طريق السياق، لذلك تعتمد الإحالة الخارجية بشكل أساس على السياق المحيط بالنص.

ويتحقق ذلك بوساطة إدراك المتلقي وقدرته الكافية على تفسير سياق النص وفك شفرته، وفهم مرجعية الضمائر وإزالة الغموض عنها وعن دلالتها. لذلك يرى الباحثان (هاليداي ورقية حسن) إلى أن الإحالة الخارجية لا تسهم كثيراً في اتساق النص، وإنما تسهم في خلقه عن طريق ربط الخطاب بسياق المقام^(١).

وأيضاً ما ورد عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعَظَمَتِي وَبَهَائِي وَعُلُوُّ ارْتِفَاعِي لَا يُؤْثِرُ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ هَوَايَ عَلَى هَوَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

الدُّنْيَا إِلَّا جَعَلْتُ غَنَاهُ فِي نَفْسِهِ، وَهَمَّتْهُ فِي آخِرَتِهِ وَضَمَنْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رِزْقَهُ، وَكُنْتُ لَهُ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَةٍ كُلِّ تَاجِرٍ^(١).

نرى في النص السابق انتشار مكثف للضميرين المتصلين (ياء المتكلم) و(تاء المتكلم)، هذه الضمائر تعود إلى مرجع واحد خارج النص، فالإحالة في النص السابق، هي إحالة مقامية خارجية ترجع إلى ذات (الله عز وجل)، فهو الذات القائلة للنص والمنشئة له، وعلى الرغم من أن لفظ الجلالة (الله عز وجل) لم يُذكر صراحةً داخل النص، إلا أن سياق المقام يدل عليه، فتعود عليه الضمائر المتمثلة بذات المتكلم، وهي تسعة ضمائر: الضمير (ياء المتكلم) المتصل بالأسماء الآتية: (عزتي، جلالي، عظمتي، بهائي، ارتفاعي، هواي)، والضمير (تاء المتكلم) المتصل بالأفعال الآتية: (جعلتُ، ضمنتُ، كنتُ)، ولهذه الإحالة الخارجية أثر واضح في استمرار النص، إذ أسهمت مرجعيتها إلى المتكلم في تماسك النص وترابط عناصره.

ثانياً: الإحالة بأسماء الإشارة

تُعدُّ أسماء الإشارة الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق الإحالية، واسم الإشارة اسمٌ مُظهرٌ دالٌّ بإيماءٍ ومشيرٍ على اسمٍ حاضرٍ حضوراً عينياً أو ذهنياً^(٢).

والإحالة بأسماء الإشارة من المعاني اللغوية غير القائمة بذاتها ف ((لا تفهم إلا إذا رُبِطَتْ بما تشير إليه))^(٣)، أي أنها مثل الضمير فلا تتضح معانيها إلا بالإحالة على ما قبلها، أو ما بعدها، ويذهب الباحثان (هاليداي ورقية حسن) إلى أن هناك إمكانيةً لتصنيف الإحالة الإشارية إلى ما يأتي: حسب الظرفية: الزمان (الآن، غداً، أمس)، والمكان (هنا،

(١) وسائل الشيعة: ٢٧٩/١٥.

(٢) ينظر: شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله الفاكهي: ١٥٣.

(٣) نسيج النص: ١١٨.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

هناك، أمام خلف)، أو تصنّف حسب الانتقاء (هذا، هؤلاء)، أو تصنّف حسب البعد (ذاك، تلك) والقرب (هذه، هذا)^(١).

وتتحقق الإحالة بأسماء الإشارة بتوافر أركانها الأربعة، وهي^(٢):

١- المشير: المتكلم

٢- مشار له: المخاطب

٣- مشار إليه: الشيء في الخارج

٤- مشار به: أداة الإشارة

ولابدّ من التأكيد على أنّ لأسماء الإشارة دوراً بارزاً في عملية الربط النصي القبلي والبعدي، فإنها تقوم بربط جزءٍ لاحقٍ بجزءٍ سابقٍ، ومن ثم تسهم في اتساق النص^(٣)، إذ ((يستعمل اسم الإشارة استعمال الروابط، فينقل معنى ما يسبقه إلى ما يلحقه ويكون بديلاً عن لفظة، أو جملة، أو نص))^(٤).

ويلحظ أيضاً أنّ اسم الإشارة المفرد يتميز بما أشار إليه الباحثان (هاليداي ورقية حسن) "بالإحالة الموسعة"؛ لأن له القدرة على الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل^(٥).

ومن الأمثلة على الإحالة الإشارية القبلية في أحاديث جهاد النفس، ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إِذَا وَقَعَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مُنَازَعَةٌ نَزَلَ مَلَكَانِ فَيَقُولَانِ لِّلِسْفِيهِ مِنْهُمَا:

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ١٠٦٣ / ٢.

(٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩.

(٤) الرسائل والوصايا في نهج البلاغة دراسة في ضوء علم لغة النص (اطروحة دكتوراه): ٨٠.

(٥) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

قُلْتُ وَقُلْتُ وَأَنْتَ أَهْلٌ لِمَا قُلْتُ، وَسَتُجْزَى بِمَا قُلْتُ، وَيَقُولَانِ لِلْحَلِيمِ مِنْهُمَا: صَبَرْتَ وَحَلُمْتَ سَيُغْفَرُ لَكَ إِنْ أَتَمَمْتَ ذَلِكَ، وَإِنْ رَدَّ الْحَلِيمُ عَلَيْهِ ارْتَفَعَ الْمَلَكَانِ^(١).

فقد أحال اسم الإشارة الدال على المفرد المذكر (ذلك) إحالة نصية قبلية ذات مدى قريب على لفظة (الصبر والحلم)، والإشارة إليهما جاءت غير محسوسة ومشاهدة، وبذلك يتحدد غرض الإشارة أن تُنزل منزلة المشاهد المحسوس^(٢)، وعلى هذا أشار الرضي (ت ٦٨٦ هـ) بقوله: ((اسم الإشارة لما كان موضوعاً للمشار إليه إشارة حسية، فاستعماله فيما لا تدركه الإشارة كالشخص البعيد، والمعاني: مجاز، وذلك بجعل الإشارة العقلية كالحسية مجازاً، لما بينهما من مناسبة))^(٣).

وقد يُحيل باسم الإشارة إحالات مكثفة ليفيد الاختصار، وذلك ما ورد وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إِنَّمَا شِيعَةُ جَعْفَرٍ مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرَجُهُ وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ وَعَمِلَ لِحَالِقِهِ وَرَجَا ثَوَابَهُ وَخَافَ عِقَابَهُ، فَإِذَا رَأَيْتَ أَوْلَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ)^(٤).

ورد اسم الإشارة (أولئك) مرتين في هذا النص، في المرة الأولى: (فإذا رأيت أولئك)، ف (أولئك) تشير إلى المجموعة التي تتصف بالصفات المذكورة سابقاً من (عف البطن والفرج، والجهاد، والعمل، والرجاء، والخوف) فاسم الإشارة (أولئك) يتميز هنا بمدى أحالي بعيد، إذ أشار إلى جمل متصلة أو متباعدة في النص^(٥)، وأحال إحالة نصية قبلية على متتالية من الجمل، مغنياً عن تكرارها، وأسهم في ربط النص واتساقه، إذ حلّ بديلاً عن عدة جمل متصلة وربط الجزء السابق باللاحق. وقد توافرت أركان الإشارة في النص: المشير

(١) وسائل الشيعة: ٢٦٧/١٥.

(٢) ينظر: معاني النحو: ٨٢/١، والتماسك النصي في السور السبع الطوال (اطروحة دكتوراه)، خليل عبد المعطي عثمان: ٤٥.

(٣) شرح الرضي على الكافية: ٤٧٩/٢.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٥١/١٥.

(٥) ينظر: نسيج النص: ١٢٤.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

وهو الإمام (عليه السلام)، والمشار له: هم شيعة جعفر، والمشار به: (أولئك)، والمشار إليه: الصفات التي يتصف بها شيعة جعفر (من عف بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه). أما في المرة الثانية في (فأولئك شيعة جعفر)، هنا (أولئك) تعود مرة أخرى إلى المجموعة الموصوفة سابقاً، ولكنها الآن تستعمل لربط الصفات بالهوية، أي أنها تعلن أن هذه المجموعة هي تحديداً شيعة الإمام جعفر (عليه السلام)، فهذه الإحالة إلى سابق تعزز الاتساق النصي، وتوضح أن الصفات هي جوهر الانتماء إلى هذه الجماعة.

وقد قام استعمال اسم الإشارة (أولئك) بعملية أحيائية واضحة عن طريق أحالته إلى المجموعة الموصوفة بالصفات المذكورة، وهذا يربط بين أجزاء النص ويضمن فهماً متكاملًا.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ورد عن مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الرَّضِيِّ فِي (نَهْجِ الْبَلَاغَةِ) عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) (أَنَّ قَائِلًا قَالَ بِحَضْرَتِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فَقَالَ: تَكَلَّمْتَ أَمْكَ أَمْ تَدْرِي مَا الْإِسْتِغْفَارُ؟ الْإِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ وَهُوَ اسْمٌ وَقَعَ عَلَى سِتَّةٍ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعُودِ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تُلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَعَتْهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذَيِّبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ وَ يَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَغْصِيَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ)^(١).

نرى في النص السابق مرجعيات عدّة أحال إليها اسم الإشارة (ذلك) الدال على المفرد المذكر البعيد.

فيذكر إنَّ قَائِلًا قَالَ بِحَضْرَةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (عليه السلام) (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ)، ثم يطرح الإمام (عليه السلام) سؤالاً عقب قول القائل (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ) يسأل فيه عن قوله، وهو (ما الاستغفار؟)، وبعدها يبدأ

(١) وسائل الشيعة: ٧٧/١٦.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

الإمام (عليه السلام) بتوضيح الاستغفار في قوله المجل: (الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان)، ثم يُفصل ما أجمل القول السابق ليذكر معاني الاستغفار الستة بالتدرج العددي المتسلسل في (أولها: الندم على ما مضى ... والسادس: أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أدقته حلاوة المعصية)، ثم بعدها يقول الإمام (عليه السلام) كما جاء في النص (فعند ذلك تقول: أستغفر الله)، أي أن قول جملة (أستغفر الله) لا يتحقق ألا بعد معرفة ما يدل عليه من تلك المعاني، فعند معرفة معانيه، فعندها تقول (أستغفر الله).

فنلاحظ أن (الاستغفار) هو القضية الأساسية في النص، وأن معانيه الستة تمثل مرجعيات إشارية لاسم الإشارة (ذلك)، لذا، لا يمكن فهم ما يُشير إليه اسم الإشارة إلا بربطه بمرجعيات تدل عليه^(١)، فقد أحال اسم الإشارة (ذلك) على تلك المعاني إحالة نصية قبلية ذات مدى بعيد، أي أحال على متتالية من الجمل متجاوزاً بذلك الفواصل الجمالية والتركيبية؛ لأن الربط الإحالي من أهميته ((يبدّ جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في النص))^(٢)، فإن إحالة اسم الإشارة على متتالية من الجمل والتراكيب متجاوزة حد الجملة الواحدة، قد أسهم في اتساق النص وربط جزئه السابق باللاحق، وتحقيق وحدته النصية، وهذا النوع من الإحالات يُسمى بالإحالة المكثفة التي تشير إلى مجموعة من الأحداث السابقة لها، لتحقيق اختزالاً للكلام وتجنباً للتكرار^(٣)، لذا عمل اسم الإشارة (ذلك) على اختصار الكلام الذي سبقه وحقق الاقتصاد اللغوي.

أما الإحالة البعدية لأسماء الإشارة، ما ورد عن الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) أنه قال: (إِنَّ أَعْمَالَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَتُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى)^(٤).

(١) ينظر: نسيج النص: ١١٨.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٢.

(٣) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٤٣.

(٤) وسائل الشيعة: ١١٠/١٦.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

نجد أنَّ اسم الإشارة للمفرد المؤنث (هذه) قد أحوال إلى مُحال إليه بعده مباشرةً وهو (الأمة)، إحالة نصية لاحقة، بذلك، تحقق (هذه) وظيفتها الترابطية والاتساقية على المستوى القريب بينها وبين العنصر الإشاري أو لفظ المُحال إليه، فكانت الإحالة بينهما على مستوى الجملة الواحدة.

لذا يشكّل اسم الإشارة (هذه) بديلاً مؤقتاً يولد في ذهن متلقي النص فراغاً، ثم يأتي المُحال إليه ليزوده بالمحتوى المطلوب عندما يستوعب المتلقي الكلام الذي يليه والمشارك لاسم الإشارة في الدلالة، وإنَّ هذا الفراغ المؤقت يساعد المتلقي على الاندماج في صميم النص^(١)، بالإضافة إلى أن الإشارة إلى اللاحق باسم الإشارة توحى بـ ((تنبيه المخاطب إلى شيء عظيم))^(٢).

وهذا ليس كل ما ورد في أحاديث جهاد النفس المدروسة من الإحالات الإشارية، فهناك أمثلة أخرى يمكن النظر إليها^(٣). أمّا بالنسبة إلى الإحالة الخارجية باسم الإشارة، فلم أجد عليها إشارات صريحة في أحاديث جهاد النفس.

ثالثاً: الإحالة بالأسماء الموصولة

يُعَدُّ الاسم الموصول وسيلة من وسائل الاتساق النصي التي أضافها روبرت دي بوجراند إلى الوسائل الإحالية الأخرى^(٤)، ((فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة، وكأنها

(١) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية (روبرت دي بوجراند و لوفجانج درسلر): ٩٤.

(٢) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٥١.

(٣) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج ١٥ / ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢٠٣ - ٢٠٥ - ٢١١ -

٢١٣ - ٢١٦ - ٢١٩ - ٢٢٥ - ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٤ - ٢٤٦ - ٢٨١ - ٣٤١، وج ١٦ / ٨ - ٢٧ - ٤٩ -

٦٠ - ٧٣ - ٨٧.

(٤) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٢.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

جاءت تعويضاً عما تحيل إليه^(١)، أي إنها أسماء مبهمة وناقصة الدلالة بذاتها فتحتاج إلى من يوضحها ويكمل معناها بوساطة كلام يأتي بعدها ويسمى صلة الموصول^(٢). وأشار النحاة إلى أنَّ جملة صلة الموصول ينبغي أن تكون معلومة عند المخاطب في اعتقاد المتكلم قبل ذكر اسم الموصول^(٣). والأسماء الموصولة عبر ارتباطها بصلة الموصول التي تتبعها، تحقق ترابطاً مفهوماً متسقاً في النص من خلال وصل السابق باللاحق^(٤).

وتقسم الموصولات على قسمين: خاصة ومشتركة، فالخاصة تعني أنَّ دلالة كل اسم منها يأتي مفرد ومثنى والمجموع للمذكر وللمؤنث بحسب ما يقتضيه سياق الكلام، وهي (الذي، والتي، واللذان، واللتان، واللذين، واللتين، والذين، واللاتي، واللواتي، واللاتي، والألى)، والمشاركة تعني أنَّ لفظ واحد يأتي لعدة معانٍ، وهي (من، وما، ذا، أي، ذو)^(٥).

أ_ الإحالة النصية (الداخلية)

ومن أمثلة الإحالة بالاسم الموصول ما جاء عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) (فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُهَوَّنُ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرَامٍ﴾)^(٦) قَالَ: الْكِبَائِرُ الَّتِي أَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا النَّارَ^(٧).

(١) الإحالة في نحو النص، أحمد غففي: ٢٧-٢٨.

(٢) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٣٨٨/٢.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٣٩٣/٢، وشرح كافية ابن الحاجب، الاسترآبادي: ٩١/٣، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، مهدي المخزومي: ٥٢-٥٣.

(٤) ينظر: الإحالة في نحو النص: ٢٨.

(٥) ينظر: النحو القرآني قواعد وشواهد، جميل أحمد ظفر: ١٠٧، وجامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني: ١٢٤-١٢٦، وآليات التماسك النصي في قصة حي بن يقظان لابن طفيل (٥٨١هـ) دراسة لسانية نصية (رسالة ماجستير)، سجي قاسم عبد الحسين: ٤٤.

(٦) النساء: ٣١.

(٧) وسائل الشيعة: ٣١٥/١٥-٣١٦.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

فقد أحال بالاسم الموصول (التي) إحالة نصية قبلية على (الكبائر)، فكانت الإحالة بين الاسم الموصول والمحيل إليه قريبة المدى، إذ تمّ الربط على مستوى النص وأحال مباشرةً عليه، فضلاً عن ذلك فقد كان للجملة التي أتت بعده والتي تسمى جملة صلة الموصول دور كبير في فهم وتفسير الاسم الموصول.

وبذلك نرى أنّ الاسم الموصول وصلته قد حققا ترابطاً اتساقياً بين ما قبل (التي) وهي (الكبائر) وبين ما بعده (أوجب الله عزّ وجلّ عليها النار)، فالترابط المفهومي بين ما قبل (التي) وبين ما بعده جملة صلة الموصول ((في جعل النص على مستوى واحد من الاتساق والتماسك يدركه المتلقي حال النظر إليه))^(١).

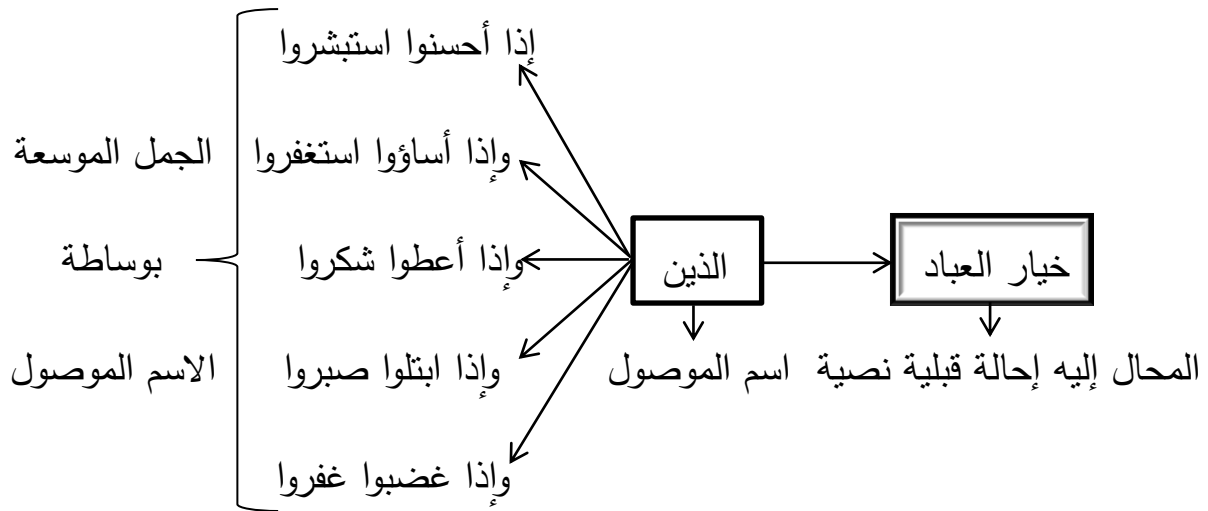
ومن أمثلة ذلك ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ) عَنْ خِيَارِ الْعِبَادِ؟ فَقَالَ: الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا، وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا، وَإِذَا أُعْطُوا شَكَرُوا، وَإِذَا ابْتَلُوا صَبَرُوا وَإِذَا غَضِبُوا غَفَرُوا^(٢).

فقد ورد الاسم الموصول (الذين) في النص السابق عقب سؤال سُئِلَ الرسول (ﷺ) عن (خيار العباد)، فيجيب الرسول (ﷺ) عنهم من خلال استعمال اسم الموصول (الذين)، ليحيل إليهم باستعماله إحالة نصية قبلية، وكذلك نرى أنّ الاسم الموصول قد قام بوظيفة الربط على مستوى أكثر من جملة، وذلك بإضفاء أكثر من وصف على الاسم المعرفة المحال عليه سابقاً ليقوم بمهمة توسيع الجملة^(٣)، فعمل على ربط أجزاء النص، ليقوم بالربط الاتساق مع ما قبله وما بعده من جملة صلة الموصول كما في المخطط الآتي:

(١) الرسائل والوصايا في نهج البلاغة دراسة في ضوء علم لغة النص (اطروحة دكتوراه): ٩٠.

(٢) وسائل الشيعة: ١٥/١٩١.

(٣) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني: ٥٥٩.



يوضح المخطط السابق كيف أسهم الاسم الموصول (الذين) في توسيع الجملة من خلال إضافة أكثر من وصف لوصف المحال عليه (خيار العباد)، وقد تحقق هذا الوصف من خلال عطف الجمل بعضها على بعض، إذ يمكنُ عطفُ جملٍ عدّةٍ على جملة صلة الموصول، مما يطيل الكلام ليصبح نصاً كاملاً ومرتبطاً بالاسم الموصول^(١)، هذا من جانب الإحالة بالاسم الموصول. ومن جانب آخر، نجد وسيلة اتساقية أخرى قد تضافرت مع الاسم الموصول وحققت الربط النصي على مستوى النص، وهي الإحالة بالضمير، إذ عادت جميع الجمل التي أتت بعد الاسم الموصول (الذين) بالإحالة الضميرية على مفسر سبق التلفظ به، وهو (خيار العباد)، وذلك بالإحالة عليه من خلال الضمير المتصل (واو الجماعة) إحالة قبلية نصية في (أحسنوا، استبشروا، أسأؤوا، استغفروا، أعطوا، شكروا، ابتلوا، صبروا، غضبوا، غفروا)، وجملة (خيار العباد) قد مُثِّلت جملة نواة النص ومحوره الأساسي؛ لأنها أتت في بداية النص وفي موضع سؤال عنها، وارتبط ما في النص كله فيها من الإحالة بالضمائر والاسم الموصول عليها؛ لذلك عُدَّت تلك الجملة أساس النص^(٢). ومن ثم نرى أنّ الاسم الموصول قد حقق الربط الاتساقى بين ما ذكر قبله وبين ما فُسِّر

(١) ينظر: التماسك النصي في السور السبع الطوال (اطروحة دكتوراه): ٥٥.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية: ١٦٦/١.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

بعده، فهو يُعدّ من الأدوات الاتساقية ((التي تشد من أزر التلاحم النحوي بين ما تقدم ذكره، والعلم به، وما يراد من المتكلم أن يعلم به، أو يضمه إلى ما سبق من العلم به))^(١).

ولهذا النوع من الإحالة بالأسماء الموصولة أمثلة أخرى يمكن للبحث الإحالة عليها^(٢).

بـ الإحالة المقامية (الخارجية)

ومن أمثلة إحالة الاسم الموصول إحالة مقامية ما ورد عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ: قَالَ: قَالَ: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَمَلٌ إِيْمَانُهُ، وَمُحَصَّنٌ عَنْهُ ذُنُوبُهُ: مَنْ وَفَى لِلَّهِ بِمَا جَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ لِلنَّاسِ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ مَعَ النَّاسِ، وَاسْتَحْيَا مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ، وَيَحْسُنُ خُلُقَهُ مَعَ أَهْلِهِ)^(٣).

نلاحظ أن النص ورد في سياق التفصيل بعد الإجمال، فجملة الإجمال (أربع من كن فيه كمل إيمانه، ومُحَصَّنٌ عنه ذنوبه) تمثل نواة النص وقضيته الأساسية، وقد ورد الاسم الموصول (مَنْ) في النص مرتين للإحالة على عنصر غير لغوي وغير موجود في النص، يفهمه المتلقي من السياق، فضلاً عن إحالة جميع ضمائر هذا النص المستترة والمتصلة عليه، وهو (المؤمن) الذي حدّده الإمام (عليه السلام) بمجموعة من الصفات والخصال التي إذا اجتمعت فيه كمل إيمانه وذهبت عنه الذنوب، فالاسم الموصول (مَنْ) في هذا النص قد قام بالربط الاتساق من خلال ربط عناصر النص الداخلية بالعنصر الخارجي غير النصي.

رابعاً: الإحالة بالمقارنة

(١) في اللسانيات ونحو النص: ٢٣٠.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج ١٥ / ١٨٨ - ٢٣٠ - ٢٤٠ - ٢٤٤ - ٢٤٨ - ٢٦٨ - ٢٩١، ج ١٦ / ١٦ - ٢٤ - ٣١ - ٤٢ - ٤٧ - ٥٢ - ٥٣.

(٣) وسائل الشيعة: ١٦ / ٦٢.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

تعدّ المقارنة نوعاً من أنواع الإحالة، ويشير محمد خطابي إلى أن الإحالة بالمقارنة ((لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناءً عليه فهي تقوم، مثل الأنواع المتقدمة، لامحالة بوظيفة اتساقية))^(١)، إلّا أن محمد الشاوش انتقد هذه الإحالة القائمة على المقارنة والتفضيل وعدها ضرباً من ضروب البنية الدلالية، إذ يرى أن ((مفردات من قبيل "مثل" و"شبه" وما جاء من الكلمات على صيغة التفضيل تقتضي دلاليّاً أوّلاً منطقياً بنية ثنائية، وبالتالي لا يجري استعمالها إلا في بنية تركيبية تتوفر فيها تلك الاتينية بوجه من الوجوه. فإذا اعتبرت هذه الظاهرة الدلالية التركيبية من قبيل الإحالة فتحت باباً يصعب عليك أن تغلقه، إذ سيدخل فيه جميع البنى الدلالية التركيبية التي تقتضي عنصرين اثنين))^(٢)، وقد قسم الباحثان (هاليداي ورقية حسن) الإحالة بالمقارنة على قسمين^(٣):

١- المقارنة العامة: ويتفرع منها التطابق، ويتم باستعمال عناصر، مثل: (نفس، مساو لـ، متطابق لـ، مكافئ)، والتشابه، مثل: (مثل، مماثل لـ)، والاختلاف، مثل: (آخر مختلف، ما عدا ذلك).

٢- المقارنة الخاصة: وتتفرع إلى كمية تشمل (أكثر، أقل)، و كيفية تشمل (أحسن، أعظم، أجمل، أدنى).

ومن الأمثلة على الإحالة بالمقارنة والقائمة على التشبيه أو التماثل في أحاديث جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّمَا أَقْبَلُ الصَّلَاةَ لِمَنْ تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِي وَيَكْفُ نَفْسُهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ مِنْ أَجْلِي، وَيَقْطَعُ نَهَارَهُ

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩.

(٢) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ١ / ١٣٠.

(٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩، والتماسك النصي في المثل القرآني (رسالة ماجستير)، شهلة عبد الرزاق: ٤٢.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

بِذِكْرِي، وَلَا يَتَعَاطَمُ عَلَى خَلْقِي، وَيُطْعِمُ الْجَائِعَ، وَيَكْسُو الْعَارِيَ، وَيَرْحَمُ الْمَصَابَ، وَيُؤْوِي الْغَرِيبَ فَذَلِكَ يُشْرِقُ نُورُهُ مِثْلَ الشَّمْسِ أَجْعَلْ لَهُ فِي الظُّلُمَاتِ نُورًا، وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْمًا أَكَلُوهُ بَعْرَتِي وَأَسْتَحْفِظْهُ مَلَائِكَتِي، يَدْعُونِي فَأَلْبِيهِ، وَيَسْأَلْنِي فَأَعْطِيهِ، فَمِثْلُ ذَلِكَ عِنْدِي كَمِثْلِ جَنَاتٍ عَدَنٍ لَا يَسْمُو ثَمَرُهَا، وَلَا تَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهَا^(١).

يستند هذا النص إلى أسلوب المقارنة العامة، وذلك بوجود أدوات التشبيه مثل لفظة (مثل) التي وردت ثلاث مرات ، فضلاً عن كاف التشبيه المرتبطة بها.

فنجد أن مفردة (مثل) في الأولى: قد عملت على الربط بين حالتين، فالله عز وجل يقبل صلاة الإنسان المؤمن الذي (يتواضع لعظمته ويتجنب الشهوات ويقطع نهاره بذكر الله ولا يتعاطم على خلق الله ويقوم بإطعام الجائع واكساء العاري ويرحم المصاب، ويأوي الغريب)، هذه الصفات تجعل المؤمن مُشرق النور كالشمس، قال الله عز وجل: (فذلك يشرق نوره) باستعمال أداة الربط (الفاء السببية) التي تدل على نتيجة قبول صلاة المؤمن، وارتباطها باسم الإشارة (ذلك) الذي يشير إلى الكلام السابق، ثم استعمال أداة المقارنة (مثل) التي أحالت على كلامٍ متقدم سابق متجاوز حدود الجملة الواحدة، أي أحالت على متتالية من الجمل، محققة بذلك ترابطاً نصياً، إذ ربطت الكلام السابق باللاحق، وأسهمت في اتساقه؛ لأن الاتساق يتحدد دوره في اتساق النص عندما تتوفر فيه أدوات الالتحام والترابط بين أجزائه وعناصره^(٢)، ويذكر الدكتور محمد الشاوش أنّ المؤلفين (هاليداي ورقية حسن) قد أشارا إلى ((أنّ التشابه أو المماثلة خاصية إحصائية، فالشيء الواحد لا يمكن أن يكون "مثل" فقط بل يجب أن يكون مثل شيء آخر))^(٣)، فالمؤمن الذي يمتلك تلك الصفات الحسنة يصبح شبيهاً بالشمس وتقبل صلاته عند الله عز وجل.

(١) وسائل الشيعة: ٢١٠/١٥.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ١٥٠/١.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٩/١.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

أما لفظة (مثل) الثانية التي وردت في نهاية النص والمقتربة باسم الإشارة (ذلك)، قد أحالت على كلام سابق وجمل عديدة، وهي إحالة داخلية نصية قبلية جاءت لتؤكد ترابطها ولتُحيل مع (كاف التشبيه المرتبطة بلفظة (مثل) الثالثة) على الكلام السابق نفسه وربطه بالكلام اللاحق لتتم المشابه بينهما.

فالمراد بذلك أنّ الإنسان الذي يتمتع بتلك الصفات التي ذكرناها سابقاً، فإنّ الله عز وجل (يجعل له في الظلمات نوراً، وفي الجهالة علماً، ويكلّوه بعزته، وتستحفظه ملائكته، ويدعوه فيلبيه، ويسأله فيعطيه)، أي أنّ جميع تلك الأفعال المتقدمة التي خصّها الله عز وجل للإنسان الذي يقبل صلاته، فهي من صفات الله عز وجل الفعلية والمتعلقة به، فكلها خاصّة به وحده، وقد شبه هذه الأفعال بجنان عدن التي لا يسمو ثمرها ولا تتغير عن حالها، فنلاحظ في هذا النص أن عملية المقارنة تبدو واضحة وقائمة على مبدأ التشابه كما جعلت النص أكثر اتساقاً وترابطاً في الشكل والدلالة، فأداة المقارنة (مثل) مع (كاف التشبيه) قد صنعت من النص ترابطاً واضحاً بين الكلام السابق واللاحق^(١).

ومن أمثلة ما ورد عن المقارنة الخاصة في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (الْعَدْلُ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ وَالْيَيْنُ مِنَ الزُّبْدِ وَأَطْيَبُ رِيحاً مِنَ الْمِسْكِ)^(٢).

فقد استعمل في هذا النص أكثر من لفظ يدلّ على المقارنة بين شيئين، وكلها من نوع المقارنة الخاصة التي تُدلّ على الكيفية، وذلك في (أحلى، ألين، أطيب)، وهذه الألفاظ جاءت على وزن أفعل التفضيل؛ لأن اسم التفضيل في اللغة العربية يؤدي وظيفة المقارنة الخاصة في العربية بين شيئين أو أكثر^(٣)، فالألفاظ (أحلى، ألين، أطيب) قد أحالت إحالة سابقة على لفظة (العدل) وهذه اللفظة قد شكّلت بؤرة النص الأساسية، إذ عادت إليها جميع

(١) ينظر: الإحالة في نحو النص: ٢٦.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٩٤/١٥.

(٣) ينظر: النحو الوافي: ٣/ ٣٩٥، والتماسك النصي في السور السبع الطوال (اطروحة دكتوراه): ٦١.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

ألفاظ المقارنة، وهذا يدل على أنَّ الإحالة بالمقارنة شأنها شأن الوسائل الأخرى، لا تختلف عن الإحالة بالضمير أو أسماء الإشارة في تحقيق الاتساق النصي، فهي أيضاً تؤدي دوراً في هذه العملية^(١). ونجد أنَّ كل فعل من أفعال اسم التفضيل يقارن بين ((شئيين في صفتين مختلفتين، فيُرادُّ بالتفضيل حينئذٍ أنَّ أَحَدَ الشَّيْئَيْنِ قد زادَ في صفتهِ على الشَّيْءِ الْآخَرِ في صفتهِ))^(٢)، فالعدل أحلى من الشَّهْد، والعدل ألين من الزيد، والعدل أطيب ريحاً من المسك، إذ أنَّ كُلَّ لفظ من ألفاظ المقارنة قد عمل على ربط أمرين في صفتين مختلفتين ففي قوله: (العدل أحلى من الشَّهْد)، صفتين مختلفتين قد ربطت بينهما أداة المقارنة الدالة على التفضيل، غير أنَّ أحد الصفتين قد زاد في صفته على الآخر، فالعدل زاد في حلاوته على الشَّهْد من حلاوته التي يتميز بها، ويراد بالشَّهْد عسل النحل مادام لم يُعصر من شمعهِ^(٣)، وكذلك الحال بالنسبة لألفاظ المقارنة (ألين وأطيب)، فنرى أنَّ ألفاظ المقارنة قد عملت على ربط السابق باللاحق وأسهمت في اتساق النص.

ومنه أيضاً ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرُ عِنْدَمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالذِّكْرُ ذِكْرَانِ: ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ حَاجِزاً)^(٤).

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩، والترابط النصي بين الشعر والنثر، زاهر بن مرهون الداودي: ٤٧، والإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب "Cohesion in English" (رسالة ماجستير)، شريفة بلحوت: ٢٠٣.

(٢) جامع الدروس العربية: ١٧٤.

(٣) ينظر: لسان العرب، فصل الشين المعجمية: ٢٤٣/٣.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٣٧ / ١٥.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

نلاحظ في هذا النص إنه قائم على المقارنة باستخدام اسم التفضيل (أحسن ، أفضل)، فقد أحال اسم التفضيل (أحسن) إحالة قبلية نصية على مذكور سابق، بالإضافة إلى اقتران اسم التفضيل باسم الإشارة (ذلك) الذي عمل على اختصار الكلام.

فالإمام (عليه السلام) يقسم مفهومي الصبر والذكر على نوعين، ثم يبين أفضلية أحدهما على الآخر، لذا احتوى النص على قضيتين أساسيتين هما قضية (الصبر والذكر). فالقضية الأولى (الصبر) تصف بأن النوع الأول من (الصبر) حسن وجميل، وأنه مرغوب فيه ومحمود، أي يدل على تحمل الإنسان للمصائب والبلايا، فقال (عليه السلام): (صبر عند المصيبة حسن جميل)، إمّا النوع الثاني من (الصبر) وهو الأفضل عندما يبتعد الإنسان عن المعاصي والمحرمات، فقال (عليه السلام): (وأحسن من ذلك الصبر عندما حرم الله عليك). فالإحالة بالمقارنة تظهر من خلال استعمال كلمة (أحسن) والتي تدل على تفضيل النوع الثاني من الأول.

إما القضية الثانية (الذكر) التي تصف بأن النوع الأول من (الذكر) يشير إلى ذكر الله عز وجل عندما يواجه الإنسان المصائب والشدائد، فقال (عليه السلام): (ذكر الله عز وجل عند المصيبة)، إمّا النوع الثاني من (الذكر) وهو الأفضل عندما يذكر الإنسان الله عز وجل عند الوقوع في المحرمات فيجعل ذكر الله له مانعاً أو حاجزاً قبل ارتكاب المحرم، فقال (عليه السلام): (وأفضل من ذلك ذكر الله عندما حرم الله عليك فيكون حاجزاً). فالإحالة بالمقارنة تظهر من خلال استعمال كلمة (أفضل) والتي تدل على تفضيل النوع الثاني من الأول.

بالإضافة إلى المقارنة الحاصلة في النص السابق نجد أن أسم الإشارة (ذلك) قد تعاضد مع ألفاظ اسم التفضيل بإحالاته على الجملة السابقة وهي جملة المفضل وأغنى عن تكرارها. وعليه إن الإحالة بـ (المقارنة الخاصة وأسم الإشارة) قد أسهمت في اتساق النص وربط أجزائه مع بعضها وأثرتا النص دلاليّاً عن طريق تركيزهما على قضية النص الأساسية وهي قضية (الصبر والذكر)، كما ساعد التكرار المستمر للفظتي (الصبر والذكر) في النص

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

على التركيز على هذين المفهومين الرئيسيين، مما عزز فهم المتلقي للمعنى العميق للحديث ، لذا يمثل نصّ الإمام (عليه السلام) نصّاً متماسكاً ومتسقاً.

ولهذا النوع من الإحالة بالمقارنة أمثلة أخرى يمكن للبحث الإحالة عليها^(١).

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج ١٥ / ٢٠٢ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢٣٢ - ٢٣٨ - ٢٦٨، ج ١٦ / ١٧ - ٢٧ - ٧٥ - ٧٧.

المبحث الثاني

الربط

يُعدّ موضوع الربط من الموضوعات المهمة في تماسك النص واتساقه وربط أجزائه بعضها مع بعض و ((يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات ... ويشير الربط أيضاً إلى إمكان اجتماع العناصر والصور وتعلق بعضها ببعض في عالم النص))^(١)، أو ((إنه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم))^(٢)، ويتحقق ذلك عبر مجموعة من الأدوات التي تحكمه وتضبطه؛ لأن النص ((عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص))^(٣).

فالعلاقات التي تقوم على الجمل أو المتتاليات الجمالية يمكن أن ترتكز على أسس دلالية^(٤)؛ لأن الربط له ((أهمية كبرى في وصل المعاني بعضها ببعض، وربط أجزاء الكلام، وتحقيق الفائدة منه، ولولاه لاحتاج المتكلم إلى ذكر أشياء يتعذر معها ائتلاف أجزاء القول ومعاملته كلاً موحداً))^(٥). وكل أداة من أدوات الربط تحتوي على معنى ودلالة خاصة بها، لذلك ادرجها الزناد في قسم الأدوات المنطقية^(٦)، إذ يشكل وجودها داخل النص ضرورة مهمة، ويختلف الربط عن وسائل الاتساق الأخرى، إذ أنه لا يتضمن إشارة محددة للبحث

(١) النص والخطاب والإجراء: ٣٤٦.

(٢) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣.

(٤) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ٢٤١.

(٥) نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: ١٣٢.

(٦) ينظر، نسيج النص: ٣٧.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

حول العنصر اللغوي المفترض فيما تقدّم أو ما سيلحق، بل يعمل على ربط أجزاء النص اللاحق بالسابق بطريقة منظمة^(١).

وقد قسّم علماء اللغة النصّيون الروابط على أربعة أقسام^(٢):

١- الربط الإضافي

٢- الربط الاستدراكي

٣- الربط الزمني

٤- الربط السببي

أولاً: الربط الإضافي

ونعني به إضافة أداة تقوم بالربط بين ((صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين))^(٣)، ويتم ذلك بوساطة الأدوات (و _ أو)، وتدرج ضمن الربط الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي ويتم بتعابير مثل: بالمثل، على نحو مشابه ... ، وعلاقة الشرح والتفسير تتم بتعابير، مثل: أعني، بتعبير آخر ... ، وعلاقة التمثيل، المتجسدة في تعابير مثل: مثلاً، نحو ...^(٤)، وتضيف هذه الأدوات معنى ودلالة النص اللاحق إلى السابق، لذلك يرى فان دايك أنّ (الواو) الرابطة تُعدّ الرابط الوحيد الذي يمكن أن يعبر عن مختلف أنواع الربط^(٥).

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢.

(٢) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣، والنص والخطاب والإجراء: ٣٤٦-٣٤٧.

(٣) النص والخطاب والإجراء: ٣٤٦.

(٤) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١١.

(٥) ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر

قنيني: ٩٠.

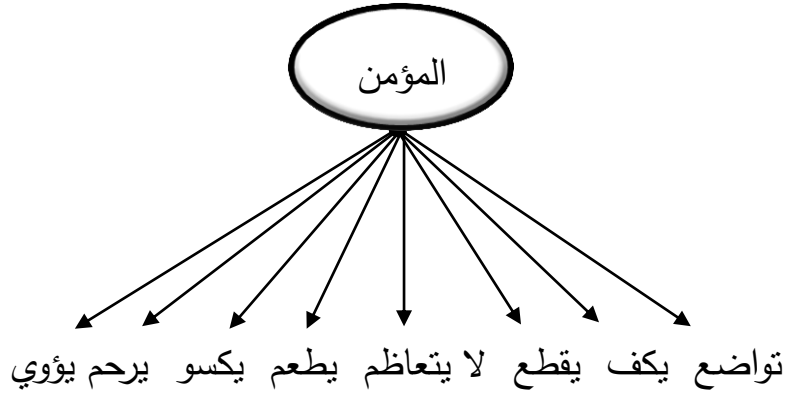
الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

لهذا تُعدّ أداة الربط (الواو) من أكثر الأدوات حضوراً في أحاديث جهاد النفس خصوصاً، وفي الكلام عموماً، إذ وردت هذه الأداة بشكل مكثف ولم يخلُ أي حديث منها. ومن أمثلة ورودها في حديث المعصوم ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّمَا أَقْبَلُ الصَّلَاةَ لِمَنْ تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِي وَيَكْفُ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ مِنْ أَجْلِي، وَيَقْطَعُ نَهَارَهُ بِذِكْرِي، وَلَا يَتَعَاطَمُ عَلَى خَلْقِي، وَيُطْعِمُ الْجَائِعَ، وَيَكْسُو الْغَارِيَ، وَيَرْحَمُ الْمُسَابَّ، وَيُؤْوِي الْغَرِيبَ فَذَلِكَ يُشْرِقُ نُورُهُ مِثْلَ الشَّمْسِ أَجْعَلْ لَهُ فِي الظُّلُمَاتِ نُورًا، وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْمًا أَكْلُوهُ بِعِزَّتِي وَأَسْتَحْفِظْهُ مَلَائِكَتِي، يَدْعُونِي فَأَلْبِيهِ، وَيَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ، فَمَثَلُ ذَلِكَ عِنْدِي كَمَثَلِ جَنَاتٍ عَدْنٍ لَا يَسْمُو ثَمَرُهَا، وَلَا تَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهَا)^(١).

نجد أنّ أداة الربط الواو قد عملت على ربط النص فقد جاء الربط بها على مستوى متتاليات نصية من الجمل تجمعها مجموعة من الأفعال، وعلى مستوى جملتين.

فعلى مستوى الجمل فقد نجد أنّ أداة الربط (الواو) قد أدت دوراً أساسياً في ربط الجمل بعضها ببعض في هذه الوحدة النصية، إذ أفادت الجمع وقامت بربط مجموعة من الأفعال التي اشترطها الله عز وجل على المؤمنين لكي يقبل صلاتهم، فنرى أنّ كل فعل من الأفعال السابقة (تواضع، يكف، يقطع، لا يتعاطم، يطعم، يكسو، يرحم، يؤوي)، قد ارتبطت جميعها عبر أداة العطف (الواو) وارجاعها إلى مرجع واحد يمثل المحور أو المركز في هذا النص وهو (المؤمن)، الذي رسم الله صورته بهذه الصفات والشروط التي ذكرها، وعند توفر هذه الصفات عند المؤمن فحينئذ يقبل صلاته، ولتوضيح دور أداة الربط (الواو) في ربط المعطوفات نضع المخطط الآتي:

(١) وسائل الشيعة: ٢١٠/١٥.



يتبين من هذا كيف أنّ (الواو) الرابطة قد عملت على اتساق النص وربط النص السابق باللاحق عن طريق إشراك الأول بالآخر، محققة بذلك وظيفتها الدلالية. ولا شك أنّ (الواو)، قامت بمهمتين أساسيتين فقد ربطت أجزاء النص وأسهمت في تكثيف الخطاب عن طريق الاختزال وهذه حقيقة يشير إليها جوفري ليتش وميخائيل شورت: ((ان الاتساق يتضمن، بشكل مستمر، مبدأ الاختزال الذي بواسطته تسمح لنا اللغة بتكثيف رسائلنا متقين بذلك التعبير المكرر عن الأفكار المعادة))^(١).

وبعد أنّ يتصف المؤمن بتلك الأفعال التي اشترطها الله عز وجل لكي يقبل صلاته فإنّ الله سوف يجازيه، فيجعل له في (الظلمات نوراً) و (في الجهالة حلاًماً)، فنجد أنّ الرابط (الواو) قد ربط بين جملتين متسقّتين بالدلالة، وبين (أكلؤه بعزتي) و (استحفظه ملائكتي)، وبين (يدعوني فألبيه) و (يسألني فأعطيه)، نرى أنّ الفاء قد ساندت (الواو) الرابطة، فجاء الربط بها سببياً، إذ عملت على سرعة تنفيذ الأفعال (يدعو ويسأل)، فأفادت (الواو) الربط بين الفعلين و(الفاء) أفادت تنفيذ الأفعال، فكل فعل يعاقب الفعل الآخر الذي يشترك معه في نفس الحدث وسرعة التنفيذ، ففعل التلبية والعطاء لا يكون إلّا بعد أنّ يدعو بها المؤمن ويسأل، وبهذا اتسقت الجملتان بفضل هذين الرابطتين، وبعد ذلك ربطت (الواو) في جملة (جنات عدن (لا يسمو ثمرها) و (لا تتغير عن حالها)).

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢٨.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

ومما تقدم نلاحظ أن أداة الربط (الواو) قد عملت على ربط المتتاليات النصية والجمل في هذا النص، وعبرت عن فكرة محورية واحدة ومترابطة من بداية النص لآخره، وهي: (قبول صلاة المؤمن عبر مجموعة من الشروط تعقبها مجموعة نتائج لمن يُطبق تلك الشروط)، إذ عملت (الواو) على اتساق النص وربط المفردات والجمل بعضها ببعض، عبر ربط جمل النص اللاحقة بالسابقة.

وكذلك ما ورد عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ آبَائِهِ فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ (ﷺ) لِعَلِيِّ (عليه السلام) (يَا عَلِيُّ! ثَلَاثٌ مُنْجِيَّاتٌ: خَوْفُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَكَلِمَةُ الْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالسَّخَطِ)^(١).

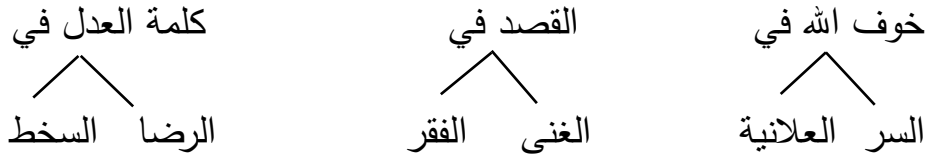
لقد ورد هذا الحديث في سياق الاجمال بعد التفصيل وذلك لـ ((يشير التأمل في ذهن لفهم أمر كبير واسع، أشارت إليه اللفظة أو العبارة المُكثِّفة التي تحيط بالمعنى قبل الكلام الذي يبسط المعاني، فيتوجه المتلقي لفهمها على سعتها وكمالها، فيأتيه التبسيط وقد تهيأ له، فيقبله مزيد قبول))^(٢). نلاحظ أن (الواو) الرابطة قد جمعت بين المتتاليات النصية المتكونة من ثلاثة مقاطع (خوف الله في السر والعلانية) و(القصد في الغنى والفقر) و(العدل في الرضا والسخط)، مما عملت على ربط جمل النص بعضها مع بعض، فربط المقطع الأخير بالمقطعين اللذين قبلها، فجاء الربط بـ(الواو) على وفق بناءٍ محكم ومتسق وتفصيلاً لما ورد من إجمال في (يا علي ثلاثة منجيات).

وأيضاً ربطت (الواو) بين عنصرين يدلان على التقابل والتضاد فيما بينهما، قد وردتا في سياق التبسيط بعد التكتيف، وذلك في:

(١) وسائل الشيعة: ٢٢٠/١٥.

(٢) في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر: ٣٧٨.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس



فنرى أنّ المقابلة بين هذه المتضادات والربط بينهما بأداة الربط (الواو) قد اتسقا دلاليًا، وإنّ كل جملة من هذه المقابلات قد ارتبط بها النص السابق باللاحق، لذا نرى ضرورة الربط بين جملتين نظيرين، أي تجمعهما أداة الربط (الواو)، وإنّ كانت ((العلاقة بين الجملتين تضاداً أو شبه تضاد أو تماثلاً أو شبهه وجب وصل الجملتين))^(١).

وتجدر الإشارة إلى أنّ (الواو) ليس فقط جمعت بين المتضادات، بل قامت بوظيفة أخرى، إذ عملت على تكثيف الخطاب عن طريق الاختزال، ولولا (الواو) لأصبح لدينا نصّ مملوءً بالحشو والزيادة^(٢)، لإدراك ذلك نعيد النص السابق كالتالي: (خوف الله في السر (خوف الله في) العلانية، والقصد في الغنى (والقصد في) الفقر، وكلمة العدل في الرضا (وكلمة العدل في) السخط)، إذن الواو عملت على اتساق الجمل وجعل الكلام أكثر ارتباطاً وتماسكاً في التركيب والدلالة وجعلت منه أكثر أناقة وتميزاً، وذلك بإلغاء الألفاظ المعبرة عن الفكرة نفسها.

وأمثلة هذا النوع من الربط الإضافي باستعمال أداة الربط (الواو) يكثر في الأحاديث محل الدراسة^(٣).

أما الربط بالأداة الأخرى (أو) فقد وردت في حديث الرسول (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: - (فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَفِي الشَّبَبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَفِي الْحَيَاةِ

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٣٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٨-٢٢٩.

(٣) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج ١٥ / ١٦١ - ١٦٧ - ١٨٠ - ١٨٣ - ١٨٦ -

١٩٥ - ١٩٩ - ٢٠٧ - ٢٢٣ - ٢٣٠ - ٢٣٤ - ٢٥١ - ٣١٧ - ٣٤٠، ج ١٦ / ٦ - ١٠ - ١٤ - ١٧ -

٢٠ - ٢٣ - ٣٨ - ٤٠ - ٤٣ - ٨٣.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ^(١).

يقوم هذا النص على رابطتين أساسيتين هما: (الواو _ أو)، ف (الواو) قد جاءت للربط بين الجمل؛ لتفيد المشاركة والجمع بين المتتاليات الجمالية، وذلك في قوله: (ومن دنياه لأخرته، وفي الشببية قبل الكبر، وفي الحياة قبل الممات)، وإلى جوار الربط بـ (الواو) نجد أداة أخرى قد تضافرت مع أدوات الربط الإضافي، وهي أداة الربط الزمني (قبل) لتؤدي هي الأخرى وظيفة الربط النصي، إذ جاء الربط بها على مستوى الجملة الواحدة فربطت بين معنيين بينهما مدة زمنية، وذلك في قوله: (وفي الشببية قبل الكبر) (وفي الحياة قبل الممات)، فعملت على ربط العنصر اللاحق بالسابق.

في حين أفادت أداة الربط (أو) للتخيير بين معنيين^(٢)، وذلك في قوله: (إلا الجنة أو النار)، ف (أو) قد جاءت لتدلّ على التخيير؛ لأن سياق الحديث جاء لحثّ المؤمن على أن يأخذ من الدنيا لنفسه كل ما يؤدي إلى رضا الله عز وجل بدلالة (فليأخذ) التي تدلّ على أسلوب الطلب (الأمر)، والذي صدر من مرتبة أعلى وهو النبي (ﷺ) من مرتبة المخاطب أو المتلقي، وقوله (ﷺ): (إلا الجنة أو النار) دلالة على استحقاق المؤمن بما أخذه لنفسه من الدنيا، وبذلك فإنّ اختيار أحدهما متوقف على ما يأخذه المؤمن من الحياة الدنيا، ومن المؤكد أنّ المؤمن الذي يعمل بتعاليم الله عز وجل فإنه يختار الجنة.

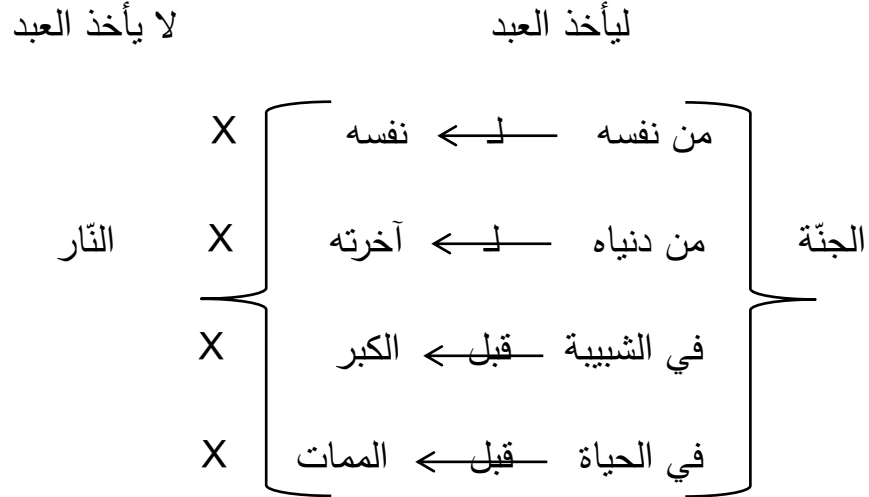
فمعنى التخيير واضح في النصّ، والمرء مخير بأن يكون مصيره الجنة أو النار، بمعنى أنه هو مَنْ يقرر ذلك من خلال عمله الذي يأتي به في الدنيا. ولكن هناك معنى أخفي من التخيير وهو التخويف والتحذير، فالذي لا يلتزم بما ذكره النبي (ﷺ) في النصّ

(١) وسائل الشيعة: ٢١٩/١٥.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٦٢.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

يكون مصيره النار، بخلاف الملتزم بأوامره (ﷺ)، ويمكن توضيح ذلك من خلال المخطط الآتي:



وبهذا نلاحظ كيف عملت (أو) على ربط النصّ بأكمله من خلالها، فالنص قائم على هذا التخيير، فمن التزم بما جاء في النص كان مصيره (الجنة) ومن لم يلتزم كان مصيره (النار).

ثانياً: الربط الاستدراكي

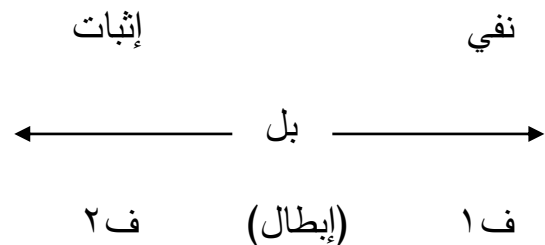
ونعني به الربط بين صورتين متعاكستين، من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض، وإن تمّ اتساق النص بين صورتين من دون الأدوات الاستدراكية فإنه يؤدي إلى فهم غير واضح. ويتم الربط به بوساطة أدوات (لكن _ بل)، ويضاف إليها بعض الأدوات، مثل: (بيد أنّ، غير أنّ، وإما، خلاف ذلك، على العكس، في المقابل)^(١).

(١) ينظر: النص والخطاب والاجراء: ٣٤٦_٣٤٧، ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٩٥.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

ومن الأحاديث التي جاء بها الربط الاستدراكي ما ورد عن إسماعيل بن مسلم قال: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): (لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، بَلِ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)^(١).

لقد أفادت (بل) الربط بين جملتين دلت على الإضراب بعد نفي الكلام السابق^(٢)، إذ ربطت بين جملتين لهما المكانة نفسها داخل النص يبدوان وكأنهما ((غير متسقين معاً في عالم النص))^(٣)، إذ ربطت الأداة (بل) بين جملة (الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل)، بالجملة السابقة عليها (ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا بتحريم الحلال)، فنلاحظ أن الجملة الثانية قد أتت على عكس ما هو متوقع من الجملة الأولى، لذا جاء الربط بها متسقاً وأفادت الإضراب عن المعنى السابق وإثبات اللاحق، من خلال وجودها بين جملتين تحملان دلالة معاكسة وغير متوقعة، وهو أن الزهد في الدنيا وترك الرغبة بها ليس بإضاعة المال وصرفه على أمور لا تستحق ذلك، كأن يعطيه لأشخاص بدون التمييز بينهم من ناحية الغنى والفقر ولا بتحريم الحلال، أي تحريم الإنسان الأشياء التي حلها الله سبحانه وتعالى ومنع النفس منها، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك كالأموال والأعمال وغير ذلك أوثق مما في يد الله عز وجل، فالربط بـ (بل) قائم على نفي فكرة ما مستقرة في ذهن المتلقي فكرة جديدة تعمل على تصحيح مسار المجتمع.



(١) وسائل الشيعة: ١٥/١٦.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام: ١٣٠.

(٣) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٩٥.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

بمعنى إنها تبطل الفكرة الأولى (ف ١) ثم تثبت الفكرة الثانية (٢).

إما الربط بالأداة (لكن) فقد وردت في حديث الرسول (ﷺ) أنه قال ذات يوم لأصحابه: (أَلَا إِنَّهُ قَدْ دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَهُوَ الْحَسَدُ لَيْسَ بِحَالِقِ الشَّعْرِ، لَكِنَّهُ حَالِقُ الدِّينِ، وَيُنْجِي فِيهِ أَنْ يَكُفَّ الْإِنْسَانُ يَدَهُ، وَيَخْزَنَ لِسَانَهُ، وَلَا يَكُونَ ذَا غِمْرٍ^(١) عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ)^(٢).

ربطت (لكن) بين جملتين متعارضتين في المعنى، فيظهر الربط بالأداة (لكن) بين (وهو الحسد ليس بحالق الشعر) و (لكنه حالق الدين)، فقد بينت دلالة الربط الاستدراكي بين عناصر مختلفة المعنى ويتمثل ذلك ((عن طريق انتقال المتكلم من المعنى الأول المعطوف عليه الى المعنى الآخر المعطوف، كما إنها لا تأتي إلا عقب نفي))^(٣)، فدلالة (لكن) في الحديث قد جاءت لتدل على الاستدراك، وعلى عكس التوقع^(٤)، أي أن المخاطب لما أراد أن يقصد إلى شيء خارج المؤلف المعتاد والمتوقع لدى المتلقي استعان بأداة الاستدراك (لكن)، التي تُفسَّر بأنَّ حكم ما بعد (لكن) مختلف لحكم ما قبلها^(٥)، ولتنكسر أفق التوقع لدى المتلقي. فالحسد الذي أخبر الرسول (ﷺ) بأنه دابٌّ إليكم فهو مرضٌ قلبي، كمرض الأمم الماضية، فعبر عنه بالداء و((الداء: اسم جامع لكل مرض وعيب في الرجال ظاهر أو باطن))^(٦) وأخبر عنه الرسول (ﷺ) بأنه من الأمراض الحالقة، أي ليست الحالقة للشعر ولكن الحالقة للدين وأزالته من أساسه، وليس كحالقة الشعر التي تبقى بعض من جذور الشعر التي تنمو من جديد وتعود، فهذه الأداة (لكن) المسبوقة بـ (ليس) المنفية قد

(١) الغمر: الحقد والغل. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: مادة (غمر): ٧٧٣ / ٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٦٨/١٥.

(٣) الفصل والوصل في خطب نهج البلاغة (بحث)، حسن هادي نور: ٢٣٦.

(٤) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٢.

(٥) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣٢٠/١.

(٦) لسان العرب: ٧٩/١.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

أعطت نتيجة مختلفة تبين سبب ما ذكر في الكلام السابق وتمثلت النتيجة بأن الحسد ليس بحالق الشعر ولكنه حالق الدين.

وكذلك أخبر الرسول (ﷺ) في الحديث أنه بالإمكان النجاة من هذا المرض، فجاء بمنتالية من الجمل بينهما أداة الربط (الواو) لتضيف من جمل الكلام اللاحق الى السابق عنصراً اخبارياً جديداً، ولتسهم في بناء معنى النص واستمرار الدلالة فيه^(١)، فقال: (وينجي فيه أن يكف الإنسان يده، ويخزن لسانه، ولا يكون ذا غمر على أخيه المؤمن)، وبهذا عملت أداة الربط (لكن) على استدراك الكلام السابق وأسهمت في عملية اتساق النص، وبهذا قد تحقق ربط النص واتساقه بفضل الأداة التي أفادت الاستدراك وإن سميت ابتدائية^(٢)، وأيضاً (الواو) الرابطة التي عملت على الربط الإضافي. فكل هذه الأدوات قد أظهرت قضية النص الأساسية وهي وجوب اجتناب الحسد.

ثالثاً: الربط الزمني

هو الربط بين جملتين متتابعتين زمنياً، وتتمثل أدواته في: (الفاء، ثم، حتى، حين، قبل، بعد ...)^(٣).

ومن الأحاديث التي جاء بها الربط زمنياً عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ، عَنْ آبَائِهِ (عليهم السلام)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ عَنِ اللَّهِ يَقُولُ: أَيُّنَ أَهْلِ الصَّبْرِ؟ قَالَ: فَيَقُومُ عُنُقٌ مِنَ النَّاسِ فَتَسْتَقْبِلُهُمْ زُمْرَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَا كَانَ صَبْرُكُمْ هَذَا الَّذِي صَبَرْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: صَبَرْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٦٢

(٢) ينظر: إشكالات النص دراسة لسانية نصية: ٣٢١.

(٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣-٢٤، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق:

١١٢-١٦٤.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

وَصَبَّرْنَاَهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، قَالَ فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: صَدَقَ عِبَادِي خُلُوا سَبِيلَهُمْ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ^(١).

نجد أنّ أداة الربط الفاء قد عملت على الترابط الزمني بين الأحداث، إذ جاءت الأحداث متتابعة زمنياً داخل النص^(٢)، فجاء ترابط الأحداث متتالياً ومتعاقباً على مستوى الجمل فربط الحدث اللاحق بالسابق من دون مهلة، وهذا التعقيب يتحقق بقصر المدة الزمنية ووقوع المعنى على المعطوف والمعطوف عليه^(٣).

فهذه الطائفة من الناس عقب مناداتهم من قبل منادي عن الله عز وجل يقول: (ايه اهل الصبر؟)، فيقومون بقوله: (فيقوم عنق من الناس)، وبعد قيامهم يأتي الاستقبال بقوله: (فتستقبلهم زمرة من الملائكة)، فنجد أنّ (الفاء) قد أفادت في ترتيب الأحداث ترتيباً دلالياً، وربطت الكلام اللاحق بالسابق، ثم بعد ذلك، تبدأ العملية الحوارية المتمثلة بألفاظ القول (فيقولون لهم، فيقولون) الواردة في النص (فيقولون لهم: ما كان صبركم ... فيقولون: صبرنا أنفسنا ...)، وبعد كل هذه الأحداث المتتالية يأتي دور الحسم بقبول هؤلاء الناس أو رفضهم (فينادي مناد من عند الله: صدق عبادي خلو سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب)، ف (الفاء) في (فينادي) جاءت تعقيباً للأحداث السابقة وتابعة لها.

إذ أشارت أداة الربط (الفاء) في جميع الألفاظ المرتبطة بها على تعاقب الأحداث، وكذلك جاءت مرتبطة بالأفعال المضارعة: فيقوم، فتستقبلهم، فيقولون لهم، فيقولون، فينادي، وأنّ ارتباط (الفاء) بالفعل المضارع فهو راجع إلى طبيعة النص أو سياق الحدث الذي انشأه المتكلم؛ لأن ((استراتيجية البنى في النص تعكس بعض التأثيرات في نظام ترتيب الأزمنة

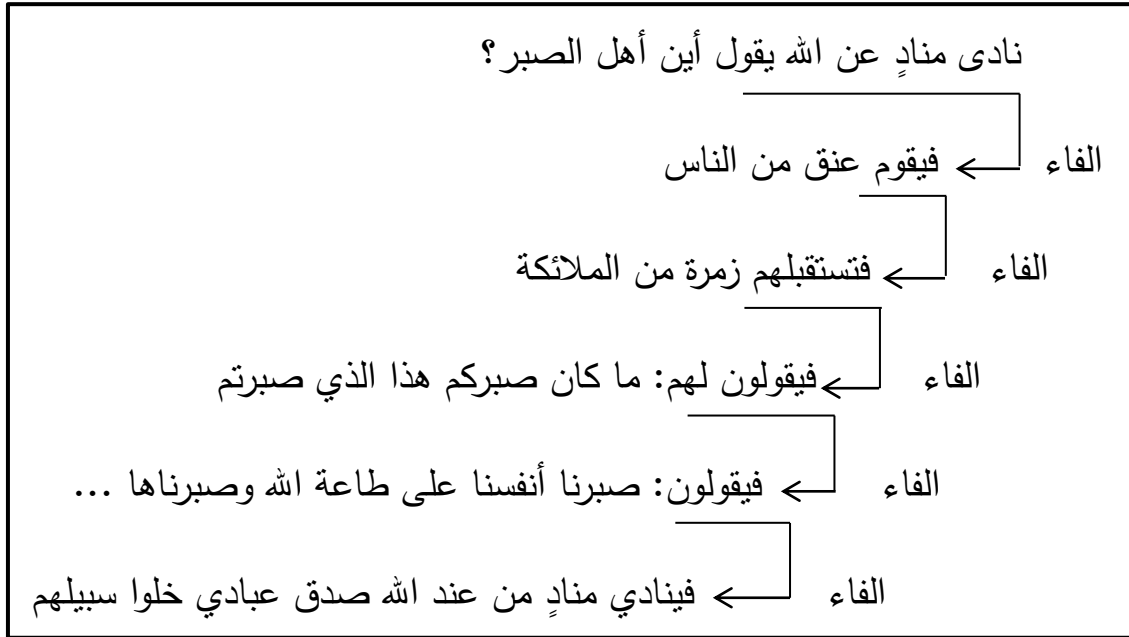
(١) وسائل الشيعة: ٢٤٠/١٥.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٦٥.

(٣) ينظر: النحو الوافي: ٥٧٣/٣.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

وحالاتها في النص^(١)، ولاتصال الأداة نفسها بالفعل الدال على تعاقب الأحداث^(٢)، فكان سرد الأحداث في النص موافقة لتتاليها في الزمن الحقيقي^(٣). فالنص قائم على متواليات جمالية وكل جملة مرتبطة بالأخرى، ولتوضيح دور أداة الربط (الفاء) في تسلسل الأحداث وتعاقبها زمنياً، نضع المخطط التالي:



يتضح مما سبق أنّ (الفاء)، قد عملت على اتساق النص، فجعلت ألفاظه متلاحمة شكلياً ودلالياً بعضها مع بعض، وتضمنت فكرة رئيسية واحدة محورها (أهل الصبر)، فعندما ينادي المنادي: أين أهل الصبر؟ فيقومون، وعندما يقوم أهل الصبر، فتستقبلهم الملائكة، وبعد الاستقبال يبدأ الحوار وتقديم ما يدل على صبرهم وأخيراً يأتي أمر قبولهم فينادي بأمرهم، إذن العملية الترابطية قد تحققت؛ لارتباطها بموضوع واحد، إذ يرى أحد النحاة أنّ الوصل لا يتحقق إلا عندما تكون الألفاظ المتعاقبة والمتتابعة في الجمل مجتمعة ومترابطة وتعبّر عن فكرة تواصلية واحدة^(٤)، لذا أسهمت أداة الربط (الفاء) في ترتيب هذه الألفاظ

(١) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٩٦.

(٢) ينظر: لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني انموذجاً: ١١٣.

(٣) ينظر: نسيج النص: ٤٦.

(٤) ينظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري: ١٥٩ - ١٦٠.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

المترابطة ترتيباً منطقياً ومتعاقباً، فيرى جون كوهن أنّ الوصل يوجه نظرنا إلى عملية تعاقب الجمل تعاقب ارتباط في النص^(١).

ومن الربط بالأداة (ثم) التي تفيد الترتيب والتراخي في الأحداث مما ورد عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: (أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ النَّبِيِّ (عليه السلام) يَا دَاوُدُ، إِنَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا ثُمَّ رَجَعَ وَتَابَ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ وَاسْتَحْيَا مِنِّي عِنْدَ ذِكْرِهِ، غُفِرَتْ لَهُ وَأَنْسِيَتْهُ الْحَفَظَةُ وَأَبْدَلَتْهُ الْحَسَنَةَ وَلَا أُبَالِي وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)^(٢).

ربطت (ثم) بين (إذا أذنب ذنباً) و (ثم رجع وتاب)، إذ أفادت أداة الربط (ثم) الترتيب الزمني والانتقال به من حدث إلى آخر، فجاء الربط بين الجملتين مترخياً، فبينت أنّ حدث الذنب متقدم بزمانٍ عن حدث الرجوع والتوبة منه، إذ أنّ الرجوع والتوبة من الذنب يكون بعد أن يذنب العبد الذنب، فنرى أنّ بين الحدثين مدّة زمنيّة متفاوتة بدلالة (ثم) التي تدل على الترتيب بمهلة مع التراخي بين المعطوف والمعطوف عليه^(٣)، وأيضاً نجد أن هذه الوحدة النصية الثانية، قد ارتبطت بالأداة الرابطة (الواو)، التي أفادت معنى الترتيب والإشراك في (رجع و تاب)، إذ ربطت (الواو) بين حدثين متتاليين في النص^(٤).

فبعد أن يدرك العبد الذنب فأول ما يبدأ به هو الرجوع منه ثم التوبة، فنلاحظ أنّ بين الحدثين تقارب زمني مشتملاً على فعلين متقاربين بينهما تتابع زمني أو تداخل^(٥).

رابعاً: الربط السببي

(١) ينظر: بنية اللغة الشعرية: ١٥٧.

(٢) وسائل الشيعة: ٧٤/١٦.

(٣) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي: ٤٢٦.

(٤) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٦٥.

(٥) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٩٦.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

يشير هذا النوع من الربط إلى تحديد العلاقة المنطقية التي تربط بين جملتين أو أكثر، أو بين عنصرين متتابعين والعلاقة التي تجمع هذه الجمل أساسها السببية^(١)، فيلجأ المتكلم إلى العلاقة المنطقية لتكون معيناً له على إيضاح سبب وقوع الحدث^(٢)، وتعتبر عنه الأدوات الأتية: (لهذا، لأن، لذلك، نتيجة لـ، سبب لـ، من أجل، لام التعليل)^(٣).

من الأحاديث التي تربط الأحداث بسببها باستعمال أداة الربط (لأن)، ما روي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن النبي (ﷺ) قال: (عَلَامَةُ الصَّابِرِ فِي ثَلَاثٍ: أَوَّلُهَا أَنْ لَا يَكْسَلَ، وَالثَّانِيَةُ أَنْ لَا يَضْجَرَ، وَالثَّالِثَةُ أَنْ لَا يَشْكُو مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّهُ إِذَا كَسَلَ فَقَدْ ضَيَعَ الْحُقُوقَ، وَإِذَا ضَجَرَ لَمْ يُؤَدِّ الشُّكْرَ، وَإِذَا شَكَا مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَصَاهُ)^(٤).

جاءت أداة الربط (لأنه) في سياق التفصيل بعد الإجمال في عبارة (علامة الصابر في ثلاث)، فعملت على تبسيط ما سبق من تكثيف الكلام السابق، وذلك بقوله: (أولها أن لا يكسل، والثانية أن لا يضجر، والثالثة أن لا يشكو)، إذ ربطت تلك الأداة بين الجمل السابقة واللاحقة فأفادت التبعية، لكون كل واحد منهما يعتمد على الآخر فربطت بين السبب والنتيجة^(٥)، أي أن الأداة (لأنه) قد وقعت أداة رابطة لسلسلة من الجمل، إذ تمثل كل جملة سبباً، وتتبعها أداة أخرى تبين نتائجها، لذا تعاضدت مع الأداة (لأن)، أداة أخرى لإنتاج نص متماسك ذا بناءٍ رصينٍ وقادرٍ على التأثير، ويتجلى ذلك في الاقتران الشرطي (إذا)؛

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣، ونسيج النص: ٤٨، والاتساق في العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث (رسالة ماجستير)، جبار سويس حنيح: ٦٠.

(٢) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٧٦-١٧٧.

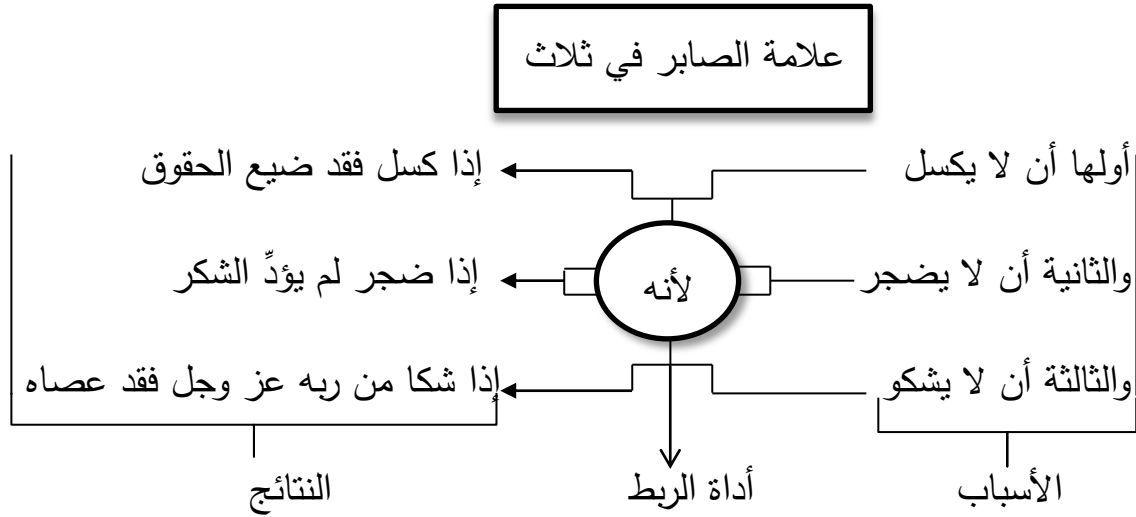
(٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣، ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٩٥، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٢-١١٣، وآليات التماسك النصي في قصة حي بن يقضان لابن طفيل (ت ٥٨١هـ) دراسة لسانية نصية (رسالة ماجستير): ٩٦.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٣/١٦.

(٥) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٣، ومدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية (روبرت دي بوجراند وولفجانج درسلر): ١٠٧.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

وتُعَدُّ هذه الأداة جزءاً من الترابط النصي؛ ((لأن الاقتران الشرطي يتضمن ترابطاً بين جملتين: جملة الشرط، وجملة الجواب، كما أن وجود في الفاء في جملة جواب الشرط يُعد أيضاً من قبيل تمام الربط))^(١)، إذ تشير (إذا) إلى أن ((الأحداث والسياقات في عالم النص ممكنة أو محتملة أو ضرورية))^(٢). ويمكن تمثيل كيفية تنظيم هذا الترابط بالمخطط الآتي:



فيتضح مما سبق إن هذه الأداة (لأن) قد بينت نتائج تلك المتواليات الجمالية التفصيلية، أي بينت سبب الكلام السابق وربطه باللاحق، فالنبي (ﷺ) قد وضح أنّ علامة الصابر تكون في ثلاث، فبيّن أنّ سبب كراهية الكسل؛ لأنه يؤدي إلى ضياع الحقوق، وسبب الضجر؛ لأنه يؤدي إلى عدم الشكر، وسبب الشكوى من الله عز وجل؛ لأنها تؤدي إلى العصيان، ونلاحظ أيضاً أن الاقتران الشرطي (إذا) قد حقق الربط السببي؛ لأنه يعد نمط من أنماط التدرج المنطقي الناجح في النص، تدرجاً يقتضيه المنطق من خلال الانتقال من فكرة إلى أخرى أحدهما تكون نتيجة حتمية للأخرى^(٣)، وبذلك قد ارتبطت الأدوات (لأن و إذا)، في النص ارتباطاً وثيقاً، إذ تدلان على السبب والنتيجة، فعملت أداة الربط (لأنه)، مع

(١) نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي (بحث)، عبد المهدي هاشم الجراح: ٧٦.

(٢) علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٣.

(٣) ينظر: نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي (بحث): ٧٦.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

أداة الشرط (إذا)، على ربط عناصر النص وتقويته واتساقه من خلال ربط السبب بالنتيجة ربطاً منطقيّاً.

ومن الربط السببي بوساطة أداة الربط (اللام) فقد جاء في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال: (كُونُوا دُعَاةً لِلنَّاسِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ لِيَرَوْا مِنْكُمْ الْوَرَعَ وَالْاجْتِهَادَ وَالصَّلَاةَ وَالْخَيْرَ فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ)^(١).

نرى في النص السابق أنّ (لام التعليل) قد وقعت أداة رابطة بين جملتين، فأنت الجملة الأولى سبباً وعلّة والأخرى نتيجة، فعملت أداة الربط (اللام) على ربط الجملتين باللاحقة السابقة وأفادت بيان سبب حدوث الفعل، فإنّ الجملة الثانية (ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير)، كانت سبباً وعلّة للجملة السابقة عليها في قوله: (كونوا دعاه للناس بغير ألسنتكم)، أي أنكم تكونوا دعاه للناس بغير ألسنتكم كي يروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فاللام في هذه الجملة قد وقعت (لام التعليل)، فإنّ سبب وعلّة طلب وأمر الإمام (عليه السلام) من الدعاة أن يكونوا دعاه للناس بغير ألسنتكم أي تعملون بعملنا وتتبعون آثارنا وتكون أقوالكم الصامته صورة عن أعمالكم المتبعة منا لكي يروا منكم الورع والاجتهاد فـ(اللام) في (ليروا) لام تعليل، وأيضاً نجد أن أداة الربط (الواو) قد عملت على ربط جملة من المفردات، وذلك في (الورع، والاجتهاد، والصلاة، والخير)، فكل هذه العناصر اللغوية قد ارتبطت ارتباطاً دلالياً معاً وإنها تقضي إلى نتيجة واحدة مفادها تحقيق ما أراده الأمام (عليه السلام) من الناس أن يكونوا دعاه من غير ألسنتهم فإنّ تلك الصفات بحد ذاتها داعية.

(١) وسائل الشيعة: ٢٤٦/١٥.

المبحث الرابع

الحذف

تُعَدُّ ظاهرة الحذف ظاهرة لغوية وعنصراً مهماً من عناصر الاتساق النصي، وذلك لشيوعها واشتراك اللغات الإنسانية فيها بشكلٍ عام.

ونرى أنَّ هذه الظاهرة قد اتسمت بها العربية بشكلٍ خاص وذلك؛ لأن العربية دائماً تميل إلى الإيجاز واختصار المفردات^(١)، ويشير دي بوجراند إلى تعريف الحذف في قوله: فهو ((استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة))^(٢).

فالحذف على هذا الأساس ((ينبع من دواعٍ جماليةٍ وبلاغيةٍ تزيد النص رصانةً، وتؤدي به إلى التماسك وتفعيل المشاركة بين القائل والمتلقي في إنتاج المعنى وتشكيله، والإفادة من التراكم المعرفي المائل لدى كل منهما))^(٣).

وعلى هذا يُمثل الحذف ((علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية))^(٤)، إذ يترك الحذف في الجملة الثانية فراغاً بنيوياً، يعتمد المتلقي إلى ملئه بناءً على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق^(٥).

(١) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة: ٩، ودراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ٢٤٧.

(٢) النص والخطاب والاعراض: ٣٠١،

(٣) نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: ١٢٧.

(٤) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢١.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

وبهذا ((يحقّق الحذف الترابط من خلال البحث عمّا يملأ الفراغ المحذوف فيما سبق من خطاب وبذلك يقوم المتلقي للنص بعملية الربط التلقائي بين السياق الحالي وما سبق من خطاب))^(١)، وبذلك فإنّ الحذف يسهم في اتساق النص وتماسكه من خلال عدّة جوانب^(٢):

- ١- التكرار اللفظي بعد إعادة العنصر المحذوف.
 - ٢- المرجعية المتحققة في النص، والمذكورة قبلاً أو بعداً وتكون داخلية أو خارجية.
 - ٣- وجود الدليل على العنصر المحذوف إذ ((لا حذف إلا بدليل))^(٣).
- فالحذف يعدّ أسلوب من أساليب التأويل النحوي، إذ لا يمكن أن نتصور ظاهرة الحذف في النص إلّا بعد أن تركّب الوحدات النصية بعضها ببعض^(٤).

أنواع الحذف

أشار الباحثان (هاليداي ورقية حسن) إلى أنّ الحذف ينقسم على ثلاثة أقسام^(٥): حذف اسمي وفعلي وجملّي، وسنعمد هذه الأنواع الثلاثة في بحثنا هنا بالدراسة والتحليل.

أولاً: الحذف الاسمي

ويقصد به الحذف داخل المركب الاسمي أو حذف العناصر الاسمية^(٦)، هذا وقد أشار أشار علماء العربية إلى ظاهرة الحذف في الاسماء فيحذف الاسم (المضاف، والمضاف

(١) الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل ياسر البطاشي: ٧١.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/٢٠٠-٢٠١.

(٣) اجتهادات لغوية: ٢٠٥.

(٤) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ٢/١٢١٠، والحذف والتقدير في النحو العربي، علي أبو المكارم: ٢٠٤.

(٥) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

إليه، والموصول الاسمي، والصلة، والموصوف، والصفة، والمعطوف والمعطوف عليه، والمبتدأ والخبر، والمفعول، ... (١).

ومن الحذف الاسمي في أحاديث جهاد النفس من كتاب وسائل الشيعة ما ورد عَنْ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ الْأَمَامِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ سَطَوَاتِ اللَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، قُلْتُ: وَمَا سَطَوَاتُ اللَّهِ؟ قَالَ: الْأَخْذُ عَلَى الْمَعَاصِي) (٢).

تضمّن هذا الحديث حذفاً اسماً جاء في موضع جملة الجواب عن الاستفهام، إذ تكون هذا الحديث من جملتين: الأولى منها جاءت في موضع سؤال أو استفهام طرحه السائل على الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) طلباً للفهم، فقال: (وما سطوات الله؟)، ثم عقب هذا السؤال تأتي الجملة الثانية لتجيب عنه فيقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (الأخذ على المعاصي)، فهي جملة اسمية وخبر لمبتدأ محذوف، اكتفى فيها المجيب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بذكر الخبر، إذ حذف المبتدأ من خبر هذه الجملة استناداً إلى ذكره في جملة الاستفهام (٣)، فتمّ هذا الحذف لوجود دليل يدل عليه، وتحاشياً للتكرار الذي يفقد النص تماسكه واتساقه، فعُمدَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى الإيجاز والاختصار، لذلك أنّ الحذف في المبتدأ يقع أكثر من الخبر؛ لأن ((الخبر محط الفائدة، وجيء به لمعنى ليس في المبتدأ، والابتداء يكون بمعلوم والإخبار يكون بمجهول)) (٤)، فيكون تقدير الكلام: (سطواتُ الله الأخذُ على المعاصي)، وبذلك تكون مرجعية العنصر المحذوف في النص السابق والدليل عليه ذات علاقة قبلية داخلية مقالية.

(١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١٩٣/٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٠٥ / ١٥.

(٣) ينظر: النحو العربي أحكام ومعاني، د. محمد فاضل السامرائي: ١ / ١٩٩.

(٤) تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي: ٢٠٥.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

ومنه أيضاً ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) (قَالَ: خَمْسٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَثِيرٌ مُسْتَمْتَعٌ، قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الْعَقْلُ وَالْأَدَبُ وَالِدِّينُ وَالْجُودُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ)^(١).

في هذا الحديث، حُذف المبتدأ المقدر بـ (هي)، وذلك في جواب الاستفهام، فقوله: العقل وما عطف عليه من (الأدب والدين والجود وحسن الخلق) خبر لمبتدأ محذوف يمكن تقديره بـ (هي العقل ...)، وبذلك تم الاستدلال على العنصر من خلال جملة السؤال. وعلى هذا، فإن مرجعية الحذف داخلية قبلية، أسهمت في إيجاز الإجابة وتحقيق الترابط النصي بين جملتي الاستفهام والإجابة، فحذف المبتدأ من جملة الجواب والاكتفاء بذكره في بداية النص قد دفع القارئ بالعودة به إلى الكلام السابق، أي إلى جملة الاستفهام للبحث عن العنصر المفترض لملء الفراغ الذي تركه المخاطب في الجملة الأسمية؛ لأن معرفة كُلٍّ من المتكلم والمتلقي بالأعراف اللغوية يسهم في تحقيق نجاح ظاهرة الحذف هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنّ المتكلم يقوم بالحذف من أجل إظهار عنصر السرعة على القراءة من خلال تواجد العنصر المحذوف لفظياً سابقاً في الكلام^(٢).

ومنه عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) (قَالَ: ثَلَاثَةٌ هُمْ أَقْرَبُ الْخُلُقِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنَ الْحِسَابِ: رَجُلٌ لَمْ تَدْعُهُ قُدْرَتُهُ فِي حَالِ غَضَبِهِ إِلَى أَنْ يَحِيفَ عَلَى مَنْ تَحْتَ يَدَيْهِ، وَرَجُلٌ مَشَى بَيْنَ اثْنَيْنِ فَلَمْ يَمِلْ مَعَ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ بِشَعِيرَةٍ، وَرَجُلٌ قَالَ الْحَقَّ فِيمَا عَلَيْهِ)^(٣).

في هذا النص حُذف المضاف إليه بعد لفظ العدد المنون (ثلاثة)، إذ بُني هذا الحديث على الإجمال ما بعده التفصيل، إذ استهل الإمام (عليه السلام) حديثه بذكر العدد ثلاثة ليعتد التساؤل والتشويق عند المتلقي لمعرفة هؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الحديث بأقرب الخلق من

(١) وسائل الشيعة: ٢٠٨ / ١٥.

(٢) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٨٩.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٩٥ / ١٥.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

عند الله تعالى يوم القيامة، فإذا بالتفصيل يُبين لنا ما حُذف من جملة الإجمال فيكون تقدير الكلام: (ثلاثة رجال)، فإن حذف المضاف إليه من الجملة الإجمالية الاسمية الخبرية قد تمّ لوجود قرينة لفظية أو مقالية قد تأخر ذكرها في جمل التفصيل اللاحقة عليها، والمتمثلة بلفظة (رجل)، فهذا اللفظ اللاحق الذي تمّ ذكره مع بداية كل جملة من جمل النص التفصيلية لإجمال والذي مثل القرينة الدالة على المحذوف السابق بعد العدد ثلاثة قد حقق الترابط بين متتاليات جمل النص التفصيلية والجملة الأولى المستهله، وهذا الحذف له دور فعال في تحقيق الاتساق داخل النص وتلاحم أطرافه من خلال وجود الدليل المقالي المتحقق داخل النص، والذي بوساطته يستطيع المتلقي أن يملأ الفراغ الذي خلفه المكان المحذوف؛ لذلك يعدّ الدليل المرشد الأساسي في إيجاد العنصر المحذوف وكيفية تقديره^(١).

ثانياً: الحذف الفعلي

ونعني به حذف العناصر الفعلية التي تكون داخل المركب الفعلي^(٢)، وقد يحذف الفعل وحده أو معه فاعله في اللغة، ويحذف الفعل من الجملة لوجود قرينة لفظية أو أحيالية تدل عليه^(٣).

ومن الحذف الفعلي في أحاديث جهاد النفس ما جاء عَنِ الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقُ (عليه السلام): ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئَلًا﴾^(٤) (قَالَ: يُسْأَلُ السَّمْعُ عَمَّا سَمِعَ، وَالْبَصَرُ عَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ، وَالْفُؤَادُ عَمَّا عُقِدَ عَلَيْهِ)^(٥).

(١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢٠٨/٢-٢٠٩.

(٢) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢.

(٣) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٢٥٣-٢٦١.

(٤) الإسراء: ٣٦.

(٥) وسائل الشيعة: ١٦٧/١٥.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

فقد حذف الفعل من الكلام وهو (يسأل)، وجاء الدليل مطابقاً للمحذوف هو الفعل (يسأل) المتقدم عليه، وتقدير الكلام: يسأل السمع عما سمع، ويسأل البصر عما نظر إليه، ويسأل الفؤاد عما عقد عليه، فمرجعية الحذف هنا داخلية قبلية، إذ أسهمت أداة العطف (الواو) في معرفة العنصر المحذوف وتقديره في ذهن المتلقي، لذلك حذف الفعل؛ لأن ((حرف العطف إنما وضع لينوب عن العامل ويغني عن إعادته، فإن قلت: قام زيد وعمرؤ فالواو أغنت عن إعادة (قام) فقد صارت ترفع كما يرفع قام))^(١). فحذف الفعل من النص السابق والاستعاضة عنه بحرف العطف حافظ على استمرارية المعنى دلاليًا ونحويًا، ولا شك أن حذف الفعل في موضعين، لوجوده في الجملة الأولى، قد أسهم في تحقيق الاتساق وربط أجزاء النص، عن طريق افتراض العنصر المحذوف من قبل المتلقي، وعلى الرغم من حذف الفعل لفظاً، فإنه يظل حاضراً في ذهن المتلقي الذي يقدره من خلال سياق النص.

ومن مواضع حذف الفعل أيضاً ما ورد عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، زِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نَقْمَتِهِ، وَحَيَاةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ)^(٢).

في النص السابق جاء حذف في موضع واحد بدليل الفعل المتقدم عليه في الجملة الأولى، فالفعل (وَضَعَ) قد حُذِفَ من جملة الثانية (والعقاب على معصيته)، مع بقاءه في الجملة المتقدمة عليه، التي أصبحت بمثابة الدليل الذي يسترشد به المُتَلَقِّي لملء الفراغ في جملة الحذف، فيكون تقدير الكلام: (وضع الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته)، فالحذف الواقع هنا بين جملتين، قد أفاد الاختصار والإيجاز تجنباً للتكرار الذي

(١) الأصول في النحو، لأبن سراج النحوي: ٦٩ / ٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٣٩ / ١٥.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

يثقل الكلام ويهرله، مع ضرورة وجود قرائن سياقية لفظية ترشد المتلقي على المحذوف تجنباً للغموض^(١).

وقد ورد حذف الفعل مع فاعله وذلك في: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) فِي حَدِيثٍ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) قَالَ: (أَلَا وَكُونُوا مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِبِينَ فِي الْآخِرَةِ، أَلَا إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا قَدْ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا، وَالتُّرَابَ فِرَاشًا، وَالْمَاءَ طِيبًا، وَقَرَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْرِيبًا الْحَدِيثَ)^(٢).

تمثل الحذف في النص السابق بحذف الفعل (اتخذ) مع فاعله (واو الجماعة)، وجاء ذلك في موضعين تاليين من جمل النص لوجود دليل يدل عليه: وهو (اتخذوا) المتقدم عليه، وتقدير الكلام: اتخذوا الأرض بساطاً، واتخذوا التراب فراشاً، واتخذوا الماء طيباً، وعلى هذا تكون مرجعية الحذف داخلية سابقة، ويلحظ أن حذف الفعل هنا طلباً للإيجاز والاختصار، ولو تكرر الفعل في النص لشعر القارئ بالتكرار وطول الكلام عند قراءته للنص، فأسهم الحذف بتحقيق ((الترابط من خلال البحث عما يملأ الفراغ فيما سبق من خطاب وبذلك يقوم المتلقي للنص بعملية الربط التلقائي بين السياق الحالي وما سبق من خطاب))^(٣)، لذلك حذف الفعل؛ لأن مرجعيته تكون حاضرة في ذهن القارئ وبمكانه أن يسد الفراغات التي حذف منها.

ثالثاً: الحذف الجملي

ونعني به أن يكون المحذوف داخل جملة واحدة أو بين مجموعة جمل لذا يكثر هذا النوع من الحذف في الأساليب المركبة من أكثر من جملة، كحذف جملة الشرط، أو القسم،

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٦٩.

(٢) وسائل الشيعة: ١٤/١٦.

(٣) الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ٧١.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

أو العطف، أو الاستفهام، أو بعد إذا التي تضاف إلى جملة، وأن حذف الجمل من اللغة يأتي تجنباً للتكرار وطلباً للاختصار^(١).

وأشار النصيّن أن حذف الجمل يكثر بعد أحرف الجواب أي: في الاسئلة الاستفهامية التي يجاب عنها بنعم أو لا^(٢)؛ لأن الاستفهام يمثل ((الدرجة القصوى للحذف المعجمي تبعاً للمفترض))^(٣)، مثال ذلك:

هل صلى محمد الفجر؟ نعم.

فيكون تقدير الكلام: نعم صلى محمد الفجر^(٤).

ومن أمثلة حذف الجمل الاستفهامية بعد جملة الجواب والاكتفاء بذكر حرف الجواب فقط في أحاديث جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، الْكَبَائِرُ فَمَا سِوَاهَا، قَالَ: قُلْتُ: دَخَلَتِ الْكَبَائِرُ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ)^(٥).

فقد حذفت جملة الجواب من الكلام هو جملة (دخلت الكبائر في الاستثناء)، بدلالة ذكرها في جملة الاستفهام المتقدمة على الجواب، فصار تقدير الكلام بذلك: نعم دخلت الكبائر في الاستثناء، فمرجعية الحذف هنا داخلية قبلية، فأدى الحذف هنا في اتساق النص وتماسكه، بعد أن ذكرت الإجابة كاملة وظهرت المرجعية والتكرار، وكذلك للدليل أهمية

(١) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٢٨٢.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٨.

(٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١٩٤/٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢/٢٠٢.

(٥) وسائل الشيعة: ٣٣٣/١٥.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

كبرى في معرفة اللفظ المحذوف، إذ يهتدي المتلقي إلى ملء الفراغ المحذوف في الجملة الثانية بفضل الدليل المذكور^(١).

ومثال ذلك أيضاً ما ورد عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أ لَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ رِجَالِكُمْ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ خَيْرَ رِجَالِكُمُ النَّقِيُّ النَّقِيُّ، السَّمْحُ الْكَفِيُّ، النَّقِيُّ الطَّرْفَيْنِ الْبَرُّ بِوَالِدَيْهِ، وَلَا يُلْجِئُ عِيَالَهُ إِلَى غَيْرِهِ)^(٢).

فقد حُذِفَ من النص السابق جملة الجواب واكتفى بذكر حرف الجواب (بلى)، وذلك في (أ لَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ رِجَالِكُمْ؟ قُلْنَا: بَلَى) يا رسول الله، ويمكن تقدير المحذوف من خلال العودة إلى جملة الاستفهام؛ لأنها تُعَدُّ الدليل على تقدير ما حُذِفَ، فيكون تقدير المحذوف كالآتي: بلى أخبرنا بخير رجالنا يا رسول الله.

ومنه أيضاً ما روي عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) قَالَ: (خَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى هَذَا الْحَائِطِ فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَبْيَضَانِ يَنْظُرُ فِي تَجَاهِ وَجْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ! مَا لِي أَرَاكَ كَنِيْبًا حَزِينًا - إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ! هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا دَعَا اللَّهَ فَلَمْ يُجِبْهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فَلَمْ يَكْفِهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا سَأَلَ اللَّهَ فَلَمْ يُعْطِهِ؟ قُلْتُ: لَا، ثُمَّ غَابَ عَنِّي)^(٣).

في هذا النص نجد ثلاثة مواضع لحذف الجملة الواقعة بعد حرف الجواب (لا)، وذلك في معرض الإجابة عن أسئلة استفهامية وُجِّهَتْ للإمام (عليه السلام)، كما في: (يا علي بن الحسين! هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً توكل على الله

(١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢٠٢/٢.

(٢) وسائل الشيعة: ١٩٨/١٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢١٢/١٥.

الفصل الثاني الاتساق النحويّ في أحاديث جهاد النفس

فلم يكفه؟ قلت، لا ↓، قال: فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت، لا ↓، فيكون التقدير في الجملة الأولى: لا لم أرَ أحداً دعا الله ولم يجبه، والثانية: لا لم أرَ أحداً توكل على الله ولم يكفه، والثالثة: لا لم أرَ أحداً سأل الله ولم يعطه.

إذ حُذِفَتْ جملُ الجواب، واكْتُفِيَ بالحرف (لا) تجنباً للإطالة غير المفيدة عند تكرارها، لذلك استغنى الإمام (عليه السلام) عن تكرار تلك المفاهيم نفسها في جملة الاستفهام بلفظة (لا)، وذلك لعلم المتلقي المسبق بالعناصر المحذوفة لورودها في الجمل الاستفهامية. وبعد هذا العلم خير دليل يهتدي إليه المتلقي لملء الفراغ المحذوف؛ لأن المتلقي عندما يدرك أنّ هناك حذفاً في الجملة الثانية، يعتمد في ملئه ((على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق))^(١)، والعودة إلى الجملة الأولى، حيثُ سياق السؤال، لمعرفة المحذوف قد أسهم في تحقيق الاتساق النصي.

ومن الحذف الجملي، حذف الجملة الفعلية في: عن رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أنه قال: (إِنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَوَاباً الْبِرُّ وَإِنَّ أَسْرَعَ الشَّرِّ عِقَاباً الْبَغْيُ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ عَيْباً أَنْ يُبْصِرَ مِنَ النَّاسِ مَا يَعْمَى عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَنْ يُعَيِّرَ النَّاسَ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ تَرْكُهُ، وَأَنْ يُؤْذِيَ جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ)^(٢).

فالمحذوف في النصّ السابق الجملة الفعلية (وكفى بالمرء عيباً)، إذ حذف من النص السابق جملة مكونة من الفعل والفاعل والتمييز؛ لأن ما بعده دلّ عليه، فضلاً عن دلالة الربط بـ(الواو) قد ساعدت على إدراك المحذوف، وجاء الحذف هنا احترازاً من طول الكلام وتجنباً للتكرار ولتحقيق مبدأ الاقتصاد اللغوي، ولكونه معلوماً لدى المتلقي، فيصبح تقدير الكلام: وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، وكفى بالمرء عيباً أن يعيّر الناس بما لا يستطيع تركه، وكفى بالمرء عيباً أن يؤذي جليسه بما لا يعنيه،

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢١.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٩٢/١٥.

الفصل الثاني الاتساق النحوي في أحاديث جهاد النفس

فمرجعية الحذف هنا داخلية قبلية، وبذلك فإن السلاسل الجمالية المحذوفة قد عملت على تحقيق ((الربط بين الجمل عن طريق إحالة المحذوف على المذكور السابق في النص، واستمرار المعنى عبر تكراره، مما ينشأ عنه استمرار التواصل عبر دلالات الغياب، وتوجيه اهتمام المتلقي إلى دلالات الحضور))^(١).

وكذلك ما ورد عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ: (لَا وَاللَّهِ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَصَلَتَيْنِ: أَنْ يَقْرَؤَا لَهُ بِالنَّعَمِ فَيَزِيدَهُمْ، وَبِالذُّنُوبِ فَيَغْفِرَها لَهُمْ)^(٢).

فقد حذف من النص السابق جملة مكونة من الفعل والفاعل والجار والمجرور وذلك في قوله: (أن يقرؤا له)، وجاء الدليل على العنصر المحذوف داخليا سابقاً، هو (أن يقرؤا له)، فتم حذفه طلباً للإيجاز والابتعاد عن التكرار الممل، ولعلم المتلقي بتقدير المحذوف ذهنياً والذي ساعده على تقدير المحذوف، هو وجود قرينة سابقة تدلُّ عليه، فيكون تقدير الكلام كما يأتي: أن يقرؤا له بالنعم فيزيدهم، وأن يقرؤا له بالذنوب فيغفرها لهم.

(١) علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٧٣.

(٢) وسائل الشيعة: ٥٩/١٦.

الفصل الثالث

الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

المبحث الأول: العلاقات الدلالية

المبحث الثاني: البنى النصية الكبرى

توطئة:

يُمثّل الانسجام المعيار الثاني الذي وضعه (دي بوجراند) من ضمن المعايير النصية السبعة التي اقترحها، وهو معيار يعمل على إيجاد الترابط المفهومي بين العناصر اللغوية المكونة للنص من خلال إجراءات تنشط العناصر المعرفية. يركز هذا النوع على العلاقات الدلالية التي تسعى إلى تحقيق التماسك^(١)، لذلك يرى محمد خطابي أنّ الانسجام أعمق وأشمل من الاتساق؛ لأنّ الانسجام يتطلب من المتلقي أن يوجه اهتمامه صوب العلاقات الخفية التي تعمل على تنظيم النص وتوليده^(٢)، فهو مختصّ بتحقيق الاستمرارية في عالم النص، أي الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها^(٣).

وبناءً على ذلك فإنّ الانسجام في حقيقته الجوهرية هو ((تنظيم لمضمون النص تنظيمًا دلاليًا منطقيًا))^(٤).

ومن هنا سنحاول في هذا الفصل الوقوف على أهم وسائل الانسجام، ونجريها على أحاديث جهاد النفس من كتاب وسائل الشيعة، وهي: (العلاقات الدلالية - البنى النصية الكبرى).

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

(٢) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥ _ ٦.

(٣) ينظر: نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة الجاهلية (بحث)، سعد مصلوح: ١٥٤.

(٤) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد: ٧٢.

المبحث الأول

العلاقات الدلالية

تعدّ العلاقات الدلالية حلقة من حلقات الترابط النصي بين المفاهيم في النص اللغويّ و جزءاً مهماً منه؛ لأننا ((لا يمكن فهم وظيفة النص أو تحديد صنفه (أي نوعه) هل هو نص أم ظاهر أم غيرهما إلّا بفهم دلالات الألفاظ. وبما أن النص اللغوي، أي نص مهما كانت طبيعته فإنه عبارة عن نظام من العلامات التي تمتد بينها علاقات مختلفة))^(١)، لذلك فهي علاقات لا يكاد يخلو أي نص لغويّ منها، مستهدفة تحقيق درجة معينة من الاتصال عن طريق بناء اللاحق على السابق^(٢). وتُعرف بأنها ((حلقات الاتصال بين المفاهيم، وتحمل كل حلقة اتصال نوعاً من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به بأن تحمل عليه وصفاً أو حكماً أو تحدد له هيئة أو شكلاً))^(٣)، إذ تسهم هذه العلاقات في الترابط النصي وتسهيل عملية الفهم والإدراك أثناء الاتصال به، وتسعى إلى جمع أطراف النص وربط بين متوالياته النصية بعضها ببعض دون الاستعانة بوسائله وأدواته الشكلية^(٤)، وأيضاً ((تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية هذا الخطاب))^(٥).

وقد تعدّدت العلاقات الدلالية وتنوعت عند علماء اللغة النصيين، لذا نجد من أبرز العلاقات الدلالية في أحاديث جهاد نفس في كتاب وسائل الشيعة، هي:

-
- (١) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال: ١٦٢.
 - (٢) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٦٩.
 - (٣) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة: ٢٢٨.
 - (٤) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٦٨.
 - (٥) لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مداس: ٨٣.

الإجمال والتفصيل، الشرط والجزاء، السبب والنتيجة، السؤال والجواب، المقابلة، الحوار أو المقابلة، التمثيل أو التشبيه^(١).

أولاً: علاقة الإجمال والتفصيل

وهي من أبرز العلاقات الدلالية التي أهتمّ بها النصّيون، وهي ((تعني إيراد معنى على سبيل الإجمال، ثم تفصيله أو تفسيره))^(٢)، فالتفصيل يُعدّ توضيحاً للإجمال، أي يأتي بالكلام مفصلاً بعد أن تمّ إجماله في بداية النص، وعلى هذا الأساس تكون العلاقة بين الإجمال والتفصيل علاقة سابقة، فالإجمال غالباً ما يأتي سابق التفصيل^(٣).

لذلك نرى أنّ هذه العلاقة الدلالية قد كثرت بشكلٍ واسع في أحاديث جهاد النفس، إذ برزت بصورة واضحة وفعّالة وخصوصاً في الأحاديث التي تتطلب تعداد أمر ما، أي مصدره بعدد معين^(٤)، ومن أمثلة ما جاء مفصلاً بعد إجمال في أحاديث جهاد النفس عن عبيد بن زُرارة قال: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) عَنِ الْكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: هُنَّ فِي كِتَابِ عَلِيٍّ (عليه السلام) سَبْعٌ: الْكُفْرُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَأَكْلُ الرَّبَا بَعْدَ الْبَيِّنَةِ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْماً، وَالْفِرَارُ مِنَ الرَّحْفِ، وَالتَّعَرُّبُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا أَكْبَرُ الْمَعَاصِي؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَأَكُلُ الدَّرْهَمَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْماً أَكْبَرُ أَمْ تَرَكُ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: تَرَكُ الصَّلَاةِ،

(١) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د. خلود العموش: ٢٦٨، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢٠١، والعلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، أحمد عزت يونس: ٢٣٩-٢٥٣.

(٢) بلاغة النص مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د. جميل عبد المجيد: ١٨.

(٣) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١٤١/٢، وتحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات، د. محمد محمد يونس علي: ١٣٩، وآيات السلم والحرب في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النص (رسالة ماجستير)، حسين نعيم حريجة التميمي: ١٢١.

(٤) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج ١٥ / ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٦ - ١٩٩ - ٢١٣ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٨٣ - ٣١٣ - ٣٤٢، ج ١٦ / ٢٠ - ٤٠ - ٤٣ - ٤٤ - ٥١ - ٥٢ - ٥٧ - ٧٧ - ١٠٦.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

قُلْتُ: فَمَا عَدَدَتْ تَرَكَ الصَّلَاةِ فِي الْكِبَائِرِ، قَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَوَّلُ مَا قُلْتُ لَكَ؟ قُلْتُ: الْكُفْرُ، قَالَ: فَإِنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ كَافِرٌ يَعْنِي مَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ^(١).

نرى ابتداءً أنَّ هذا الحديث قد جاء نمط بنائه مجملاً، وذلك لينثير التأمل والتفكير في ذهن المتلقي حول أمر مهم وأساسي أشارت إليه تلك الألفاظ التي أحاطت بالمعاني قبل أن يأتي التفصيل والتبسيط، مما يؤدي بالمتلقي إلى التوجه لفهم تلك الألفاظ على سعتها وكمالها، ليكون التفصيل مهياً له فيقبله بقبول حسن ويرسخ فيه^(٢)، ثم بعد ذلك أتبعه التفصيل والتفسير لمعرفة ما يروم إليه الكلام المُجمل.

فالحديث يبدأ بسؤال موجز وهو (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الكبائر) وهو سؤال عام ومجمل، ويمثل النقطة المركزية التي تدور حولها بقية الحديث، وهذا السؤال يمثل أيضاً افتتاحية، إذ يمهد الحديث للإجابة المفصلة، ثم يأتي من بعده سؤال السائل الإجابة الإجمالية للإمام (عليه السلام)، إذ يحدد الإمام (عليه السلام) أن الكبائر مذكورة في كتاب الإمام علي (عليه السلام) وأنها سبع. وإن تحديد العدد (سبع) هو بمثابة إجمال يضع إطاراً محدداً للمعلومات التي ستأتي، لذلك غالباً ما تشكل الجملة الأولى في بداية كل فقرة من النص البؤرة الأصلية المستقلة بنفسها والتامة الفهم في ذهن المتلقي، في حين أن بقية الجمل تكون متعلقة بالجملة الأولى وتابعة لها، ولا تستقل بقابليتها للفهم، مما يجعل نسبة فهمها أقل من الأولى^(٣).

لذا يمثل سؤال السائل والمجيب، إجمالاً للنص وتشويقاً للمتلقي، إذ تنثير في نفسه الرغبة في معرفة ماهية الكبائر، ومن ثم يأتي التبسيط والتفصيل فيقع في قلب المتلقي موقعاً عظيماً^(٤)، وهي: (الكفر بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البينة، وأكل مال

(١) وسائل الشريعة: ٣٢١/١٥.

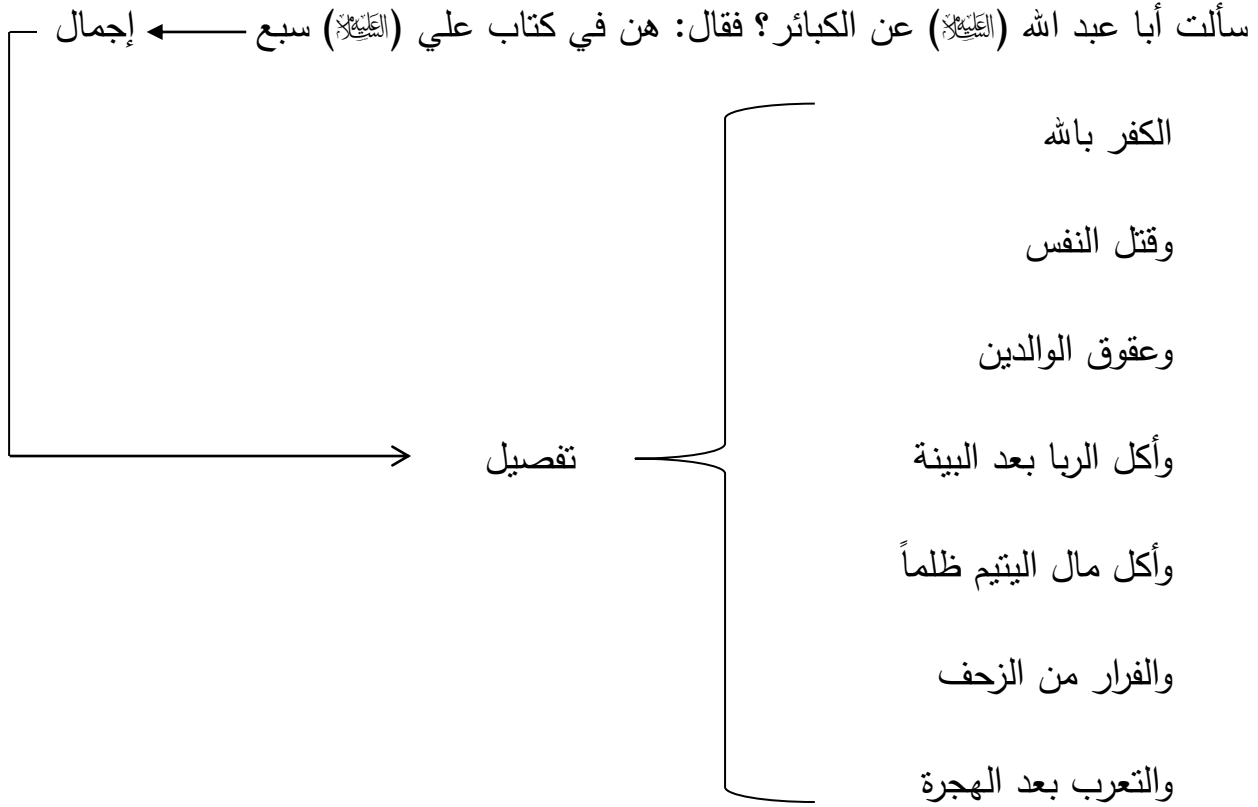
(٢) ينظر: في ضلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي: ٣٧٨.

(٣) ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى: ١١٤-١١٥.

(٤) ينظر: في ضلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي: ٤٣.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

اليَتيم ظلماً، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة)، ويمكن التمثيل لعلاقة التفصيل بعد الإجمال بالمخطط الآتي:



إذاً فالعلاقة كما نرى قد سارت في اتجاه التفصيل بعد الإجمال، أي:

المجمل —————> المفصل

فالقول المجمل (هن في كتاب علي (عليه السلام) سبع)، يُمثّل مرجعية سابقة لمجموع الجمل التفصيلية اللاحقة. وأما بالنسبة لحركات النص بين الإجمال والتفصيل فقد كانت حركات ذاهبة وأخرى راجعة، فالحركة الذاهبة تبدأ بسؤال ابن زرارة عن الكبائر (إجمال)، تنتقل إلى تحديد عدد الكبائر (سبع) كإطار عام للتفصيل، ثم يتم تفصيل الكبائر السبع بالتفصيل، بدءاً بالكفر بالله وانتهاءً بالتعرب بعد الهجرة. أما الحركة الراجعة يمكن اعتبار أن كل تفصيلاً من تفصيلات الكبائر إجمالاً في حد ذاته، إذ تمثل تلك التفصيلات أفعالاً محرمة فمثلاً (قتل النفس) يشمل كل أشكال الاعتداء على الحياة. ومن هنا نرى أنّ علاقة التفصيل

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

بعد الإجمال قد أسهمت في إيضاح ما أبهم من معاني النص، وترابط وحداته بعضها ببعض واستمرار الدلالة فيه، وكذلك أسهمت في تحفيز ذهن المتلقي في مواصلة القراءة وتوقعه لتلك الكبائر؛ لوجود العدد في مستهل النص، ومكنت المتلقي ((من أدراك كيفية من الكيفيات التي يبني بها النص وينسجم))^(١)، أي إدراكه كيف تحقق تلك العلاقة التفصيلية الكافية النصية وانسجامها داخل مبنى هذا النص؟، ومن ثم تحقق الترابط واستمرار الدلالة النصية فيه.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ورد عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، إِذْ قَالَ: (ثَلَاثُ خِصَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ أَوْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِي ظِلِّ عَرْشِ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: رَجُلٌ أَعْطَى النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ مَا هُوَ سَائِلُهُمْ، وَرَجُلٌ لَمْ يُقَدِّمْ رَجُلًا وَلَمْ يُؤَخَّرْ رَجُلًا حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا، وَرَجُلٌ لَمْ يَعْيبْ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بَعِيبٍ حَتَّى يَنْفِي ذَلِكَ الْعَيْبَ عَنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ لَا يَنْفِي مِنْهَا عَيْبًا إِلَّا بَدَأَ لَهُ عَيْبٌ وَكَفَى بِالْمَرْءِ شُغْلًا بِنَفْسِهِ عَنِ النَّاسِ)^(٢).

في النص السابق نجد إجمالاً في مستهله أو في الجملة الأولى منه، متمثلاً بقوله (ﷺ): (ثلاث من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله)، هذه الألفاظ المجملة تحتاج إلى فهم مقاصدها وشرح تفاصيلها، مما يثير في نفس المتلقي التشويق والرغبة في معرفة تلك الخصال التي تتواجد كلها أو واحدة منها على الأقل عند الإنسان، ومعرفة صفاتهم وأفعالهم، ليكونوا في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله، ثم يأتي البناء النصي ليشرح ويفصل هذا الإجمال في الجمل اللاحقة على التوالي: (رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم) و (رجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم أن ذلك لله رضا) و (رجل لم يعيب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه فإنه لا ينفي منها عيباً إلا بدا له عيب وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس).

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٧٠.

(٢) وسائل الشيعة: ١٥ / ٢٨٨.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

ف نجد إن حركة النص تبدأ من الإجمال إلى التفصيل، إذ ينتقل النص من الصورة العامة (الجزء العظيم) إلى الأمثلة المحددة (الخصال الثلاث)، وهذه الحركة تمثل حركة توسيع للمعنى، إذ يتم توضيح وتفصيل ما ورد في الإجمال.

لذا نلاحظ أنّ التفصيل السابق للجملة المجملة قد ساعد في بناء المعنى النصي وترابط فقراته وتلاحمها، عن طريق استمرار الدلالة النصية في أجزائه اللاحقة^(١)، فضلاً عن الوظيفة التوجيهية التي حققتها الجمل المفصلة والتي من أجلها أنشئ الخطاب. لذلك يعدّ الدور التوجيهي ضرورة من ((ضرورات نمو النص وسيرورته، إذ كل جملة تلقي مزيداً من الضوء على المنطلق، سواء أ جاء على أصله أم لا، فقد يحدث أن المنطلق يكون في البداية ثم تتوالى جمل تخصصه))^(٢)، لتفسر ذلك الإجمال.

ثانياً: علاقة الشرط والجواب

وهي من العلاقات الدلالية المنطقية^(٣)، التي ((تقوم بين عنصرين في السياق النصي تجعل العنصر الثاني بمنزلة جواب الشرط للعنصر الأول وإن خلا العنصر الثاني من العلاقات اللفظية الدالة على هذه العلاقة))^(٤)، وهذه العلاقة تعمل على ترابط الوحدات اللغوية لتقديم نص منسجم المعاني، وإضفاء صفة الاستمرارية عليه عن طريق أدوات الربط النحوية (لو_ لولا_ إذا_ إن...)^(٥).

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٧٢.

(٢) النص من القراءة إلى التنظير، د. محمد مفتاح: ١٣.

(٣) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٧.

(٤) اجتهادات لغوية: ٣١١.

(٥) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢١٢، ولسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني انموذجاً: ١٥١.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

ومن أمثلة علاقة الشرط والجواب في أحاديث جهاد النفس، ما جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) قَالَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ بَيِّضَاءُ فَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا خَرَجَ فِي النُّكْتَةِ سُودَاءُ، فَإِنْ تَابَ ذَهَبَ ذَلِكَ السَّوَادُ، وَإِنْ تَمَادَى فِي الذُّنُوبِ زَادَ ذَلِكَ السَّوَادُ حَتَّى يَغْطِيَ الْبَيَاضَ، فَإِذَا غَطَّى الْبَيَاضَ لَمْ يَرْجِعْ صَاحِبُهُ إِلَى خَيْرٍ أَبَدًا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)^(٢).

في هذا النص نجد مجموعة من التراكيب الشرطية، إذ تكوّن النص من أربع علاقات دلالية شرطية مترابطة، تهدف إلى تقديم فكرة أساسية مفادها (وجوب اجتناب الذنوب المهلكة)، إذ يعرض المتكلم هذه القضية باستعمال أداتي الشرط (إذا، وإن)، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي:



(١) المطففين: ١٤

(٢) وسائل الشيعة: ٣٠٣ / ١٥.

نرى أنّ العلاقة الشرطية بين جملة الشرط وجوابها قد أفادت معنى الاستلزام^(١)، أي أنّ كل جملة شرط من الجمل السابقة المتصدرة بالأداة (إذا، وإن) تستلزم وجود جوابها، وأن أداتي الشرط الواردتين في النص (إذا، وإن) قد عملتا على توسيع الجملة من خلال ربط جملة بجملة لاحقة لتكوين جملة متسعة جديدة مكونة من تركيب واحد^(٢)، وقد أسهمت هذه العلاقة الدلالية في بناء موضوع الحديث، من خلال امتدادها عبر سلسلة من الجمل من بداية النص إلى نهايته، مشكّلة بذلك عناقيد من الدلالات التي تعمل على تماسك أجزاء النص من جانب وتحقيق مقاصد المتكلم من جانب آخر^(٣).

وفي النص علاقة دلالية أخرى قد تعاضدت مع علاقة الشرط والجواب وهي علاقة السبب والنتيجة، إذ دُعمت هذه العلاقة قضية النص دلاليّاً، فعلاقة الشرط والجواب في قوله (عليه السلام): (إذا أذنب ذنباً خرج في النكته نكته سوداء) توضح العلاقة السببية المباشرة بين الذنب وظهور علامة السواد في القلب، فالذنوب هي السبب المباشر لتغيير حالة القلب من النقاء إلى السواد. وقوله (عليه السلام): (فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد) نجد أن التوبة هي سبب زهاب السواد من القلب، وإن التمادي يسبب في مضاعفة الأثر. وقوله (عليه السلام) (فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خيرٍ إبدأً) فتغطية السواد للبياض سبب عدم الرجوع إلى الخير، وهذا هو أخطر أنواع النتائج، فإن الوصول إلى هذه المرحلة يعني نهاية مأساوية لفقدان النقاء وعدم القدرة على الإفادة من الهداية والعودة إلى طريق الحق.

(١) ينظر: أنظمة الربط في العربية دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، حسام البهنساوي: ٢٥.

(٢) ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى: ١٨٨.

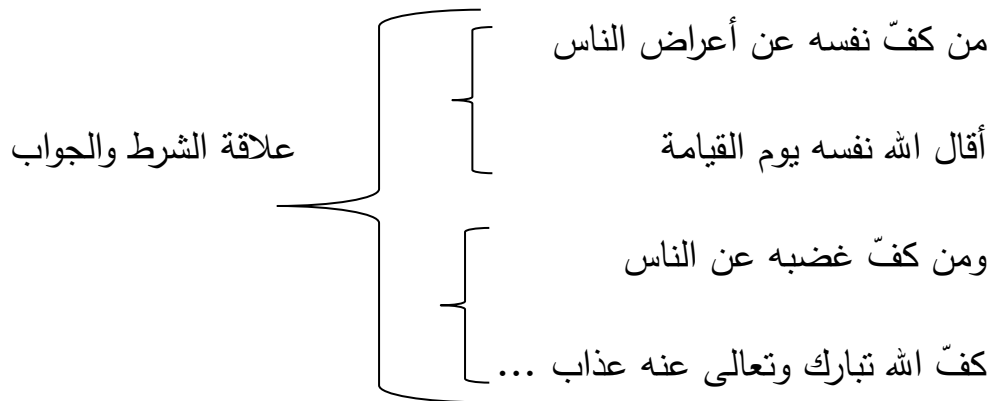
(٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢١٢، ولسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني انموذجاً: ١٥٢.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

وقد ورد أيضاً عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (مَنْ كَفَّ نَفْسَهُ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ أَقَالَ اللَّهُ نَفْسَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ عَنِ النَّاسِ كَفَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(١).

ورد في هذا النص تركيبان شرطيان معلناً عنهما باستعمال أداة الشرط (مَنْ) التي عملت على ربط أجزاء النص وتعالقها بين جملة الشرط وجوابه، وجملة جواب الشرط من الجمل التي لا يصح الشرط بدونها، فتكون منزلتها من الشرط كمنزلة الخبر من المبتدأ، وهذا النوع من التراكيب يُعدّ من أكثر الأنواع اتساقاً وانسجاماً في ترابط معناه^(٢).

إذ إن أداة الشرط (مَنْ) في التركيب الأول قد ربطت بين جملة الشرط (كفّ نفسه عن أعراض الناس) وجوابها (أقال الله نفسه يوم القيامة)، وفي التركيب الثاني ربطت (مَنْ) بين جملة الشرط (كفّ غضبه عن الناس) وجوابها (كفّ الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة)، ويمكن التمثيل لذلك بالمخطط الآتي:



يتضح مما سبق أنّ علاقة الشرط والجواب أوضحت معنى النص ووربطت أجزائه بعضها ببعض من خلال استعمال أداة الربط (مَنْ)، فكان الثاني جزءاً للأول، ومعنى النص كما نرى يدعو الإنسان إلى الالتزام بحسن الخلق من خلال الكف عن هتك أعراض الناس

(١) وسائل الشيعة: ٣٥٩ / ١٥.

(٢) ينظر: تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي: ١٦٣-١٦٤.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

بالأذى والغيبة والنظر المحرّم والكشف عن عيوبهم، وكذلك يدعو إلى تسكين الغضب، فجزاء هذين الشرطين، أي كف الأذى وتسكين الغضب، هو الرحمة والمغفرة من عند الله عز وجل والنجاة من عذاب يوم القيامة.

ولهذا النوع من علاقة الشرط والجواب في أحاديث جهاد النفس محل الدراسة أمثلة كثيرة أخرى^(١).

ثالثاً: علاقة السبب والنتيجة

تُعَدّ العلاقة السببية من العلاقات الدلالية المنطقية^(٢)، وتُعرّف بأنها ((الطرق، والوسائل التي فيها يؤثر موقف أو حدث على الظروف المهيئة لوقوع حدث آخر))^(٣)، أي أن هذه العلاقة تقوم على الربط بين مفهومين أو حدثين يكون أحدهما ناتجاً عن الآخر، وقد تكون هذه العلاقة السببية واضحة في النص، أو تحتاج من المتلقي جهداً في تفسيرها وتوضيحها^(٤)، وتتضح العلاقة السببية من خلال استعمال المتكلم إحدى أدوات الربط السببية الملفوظة في النص، مثل: (الفاء السببية، واللام، ولأنه ...)^(٥)، أو قد يدركها المتلقي من دون الحاجة إلى تلك الأدوات.

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج١٥ / ١٦٢ - ١٦٨ - ١٩١ - ٢٠٩ - ٢١٩ -

٢٤١ - ٢٥٨ - ٢٩٨ - ٣٣٨، وج١٦ / ١٠ - ٢٦ - ٢٨ - ٥٣ - ٥٦ - ٦١.

(٢) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٧.

(٣) الدلالة والنحو: ٢٢٨.

(٤) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٢.

(٥) ينظر: آليات التماسك النصي في قصة حي بن يقظان لابن طفيل (ت ٥٨١هـ) دراسة لسانية نصية

(رسالة ماجستير): ١٨٧.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

ومن أمثلة العلاقة السببية في أحاديث جهاد النفس، ما ورد عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ: (أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيَنْسِي الْآخِرَةَ)^(١).

لقد جاء خطاب الإمام علي (عليه السلام) موجهاً إلى طائفة من الناس، يدعوهم إلى إثارة رضا الله على هوى النفس، وتحريم تقديم الهوى على رضا الله، فالإمام (عليه السلام) يخشى على الناس أمرين أساسيين: اتِّبَاعُ الْهَوَى وطول الأمل، ثم يوضح بعد ذلك أسباب خوفه من هذين الأمرين، وتأثيرهما عليهم، ولتوضيح ذلك نمثل بما يلي:

السبب	الأداة	النتيجة
سبب اتِّبَاعُ الْهَوَى	ف ← السببية	يصد عن الحق
سبب طول الأمل	ف ← السببية	ينسي الآخرة

نلاحظ أنَّ علاقة السببية بين الأسباب والنتائج أدت إلى ترابط المعاني والمفاهيم في النص، فالسبب يؤدي إلى نتيجة توضحه، إِنَّ عِلَّةَ اتِّبَاعِ الْهَوَى هي الصَّدُّ عَنِ الْحَقِّ، وطول الأمل يؤدي إلى نسيان الآخرة، فالعلاقة السببية كما نرى قد بينت القضية الكبرى والأساسية في النص، وهي (إثارة رضا الله عز وجل على هوى النفس)؛ فعندما فصل الإمام (عليه السلام) الأسباب التي يخاف منها على الناس، أضفى معقولية على كيفية تتبع قضية النص الأساسية لجعلها المنطقية^(٢). إضافة إلى ذلك نرى أَنَّ الإمام (عليه السلام) قد أستخدم (الفاء) في هذا الموضع دون غيرها من الأدوات السببية؛ لأنها تدلُّ على ترتيب الأحداث وتعاقبها، مما يوحي بعدم وجود فترة زمنية طويلة بين السبب (اتِّبَاعُ الْهَوَى) والنتيجة (الصد عن الحق)،

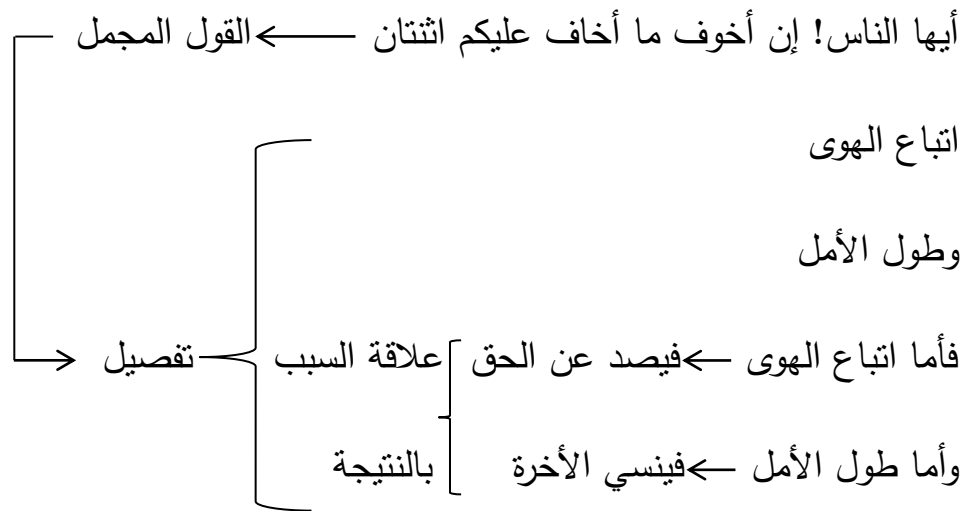
(١) وسائل الشيعة: ٢٨٠ / ١٥.

(٢) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٤٣، ولسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني انموذجاً: ١٤٨.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

وبين السبب (طول الأمل) والنتيجة (نسيان الآخرة)، وهو ما استدعى استعمال (الفاء). وهذا يستوجب الحذر على الذات المخاطبة، ولذلك نجد في بداية الحديث أنّ الإمام قد قال: (أخوف ما أخاف عليكم).

وقد ارتبطت هذه العلاقة مع علاقة أخرى، هي علاقة الإجمال والتفصيل، مما يضيف على النص تماسكاً في أجزائه وترابطاً في أفكاره، إذ يبدأ النص بالإجمال ثم يفصل ويوضح، فتتداخل المعاني وتتربط لإنتاج نصّ متسق ومنسجم دلالياً، فترتبت هذه العلاقة على النحو الآتي:



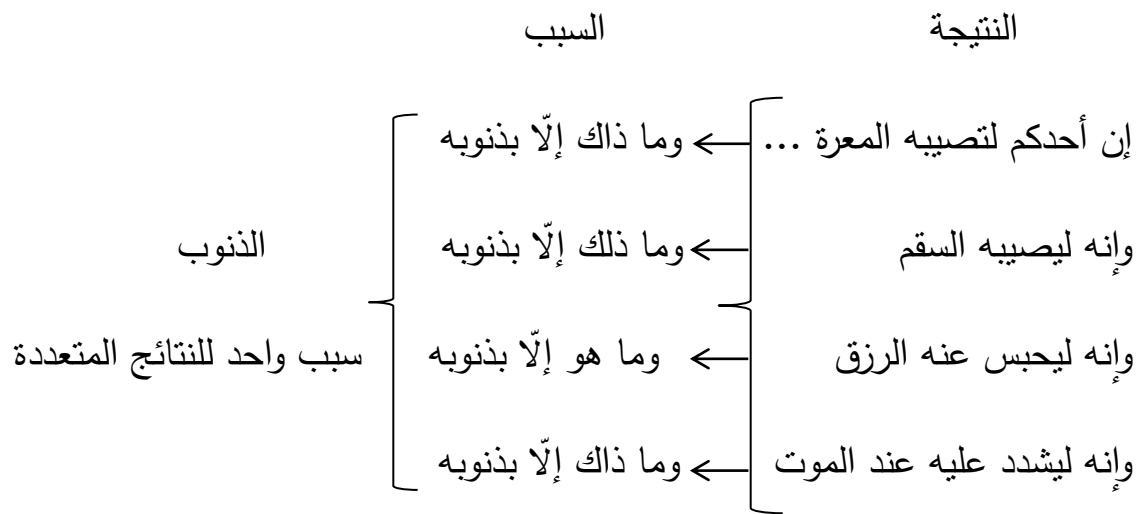
فتحليل هذا المثال كان من قبيل تقديم السبب على النتيجة.

والآن نورد مثلاً آخر لهذه العلاقة السببية ولكن بشكل معكوس، أي تقديم النتيجة على السبب مما ورد عن مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: (يَا مُفَضَّلُ إِيَّاكَ وَالذُّنُوبَ وَحَذَرَهَا شِيعَتُنَا، فَوَ اللَّهُ مَا هِيَ إِلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهَا إِلَيْكُمْ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَتُصِيبُهُ الْمَعْرَةُ مِنَ السُّلْطَانِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِذُنُوبِهِ، وَإِنَّهُ لَيُصِيبُهُ السُّقْمُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا بِذُنُوبِهِ وَإِنَّهُ

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

لِيُحْبَسَ عَنْهُ الرِّزْقُ وَمَا هُوَ إِلَّا بِذُنُوبِهِ، وَإِنَّهُ لَيَشْدَدُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِذُنُوبِهِ ... (١).

في هذا النصّ، نلاحظ أن العلاقة الدلالية السببية تتجلى بتقديم النتيجة على السبب، فالإمام (عليه السلام) المتكلم، يورد النتيجة أولاً ثم يتجه لبيان سببها، وهذا التقديم يهدف إلى استمالة المتلقي وإبقائه مشدوداً إلى تفاصيل النص، حتى يكشف عن الأسباب التي دعت به إلى تقديم النتائج (٢)، ولتوضيح ذلك، يمكننا التمثيل بالمخطط الآتي:



إنّ علاقة النتيجة بالسبب قد أدت إلى الترابط المفهومي بين البنيات النصية، فالإمام (عليه السلام) يفتح خطابه بندااء المخاطب (يا مفضل) ليحذره من اجتناب الذنوب؛ لأنها من عواقب الأمور التي تؤدي بالإنسان إلى التهلكة، ثم يورد المتكلم أربعة من الأمور التي تحدث بسبب الذنوب، فنتيجة كل أمر يعقبها المتكلم بالسبب وهو (الذنوب)، فالذنوب سبب لعاقبة كل نتيجة، وفضلاً عن ذلك، نلاحظ أن المتكلم الإمام (عليه السلام) يكرر السبب نفسه مع كل نتيجة، مؤكداً على أهميته في ذهن المتلقي بتكرار عبارة (ما ذاك إلا بذنوبه)، وكل ذلك

(١) وسائل الشيعة: ٣٠٥/١٥.

(٢) ينظر: لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني انموذجاً: ١٤٩.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

يشير إلى أن (الذنوب) هي بؤرة الخطاب والموضوع الأساسي له، بينما تمثل البنية النصية الصغرى مضمون النص.

ومن هنا يتحدّد دور العلاقة المنطقية السببية بوصفها للقضايا المفردة أو المركبات القضية في النص اللغوي، فهي تمثل نواة المضمون، وبعدها تحدد بنية النص الأساسية وموضوعه الرئيسي^(١)، الذي يدور حول اجتناب المعاصي والذنوب، فخلقت هذه العلاقة المنطقية السببية في النص نوعاً من الاتساق الدلالي بين وحداته وتلاحماً بين أجزائه.

ولهذا النوع من علاقة السبب والنتيجة في أحاديث جهاد النفس محل الدراسة أمثلة أخرى^(٢).

رابعاً: علاقة السؤال والجواب

تُعَدّ علاقة السؤال والجواب من العلاقات الدلالية التي تسهم بشكل فعّال في تشكيل نسيج الحوار وبناء موضوعه داخل النص، وذلك من خلال استعمال أدوات الاستفهام (هل_ الهمزة_ ما_ أين ...)^(٣).

لذا، نجد أن أكثر الأسئلة الواردة في أحاديث جهاد النفس هي باستعمال أداة الاستفهام (ما)؛ لأن الاستفهام واقع عن معانٍ لا ذوات عاقلة، أي أن السائل لا يستفهم عن ذوات عاقلة، أو لأن مدار الحديث ليس عن ذات عاقلة وإنما عن معانٍ، والمعاني يُستعمل لها

(١) ينظر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة سعيد حسن بحيري: ٣٢.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج ١٥ / ١٨٦ - ٢٠٧ - ٢٨٢ - ٢٩٩ - ٣٠١، وج ١٦ / ٢٠ - ٤٦ - ٨٥.

(٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢٠٧، ولسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني انموذجاً: ١٥٠.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

(ما) هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنَّ الأسئلة الواقعة في أحاديث جهاد النفس تبحث عن تعريفات أو حدود.

ومن أمثلة علاقة السؤال والجواب في أحاديث جهاد النفس ما ورد عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (عليه السلام) قَالَ: (قُلْتُ لَهُ: مَا الْكِبَرُ؟ قَالَ: أَعْظَمُ الْكِبَرِ أَنْ تَسْفَهَ الْحَقَّ وَتَغْمِصَ النَّاسَ، قُلْتُ: وَمَا سَفَهُ الْحَقِّ؟ قَالَ: يَجْهَلُ الْحَقَّ وَيَطْعُنُ عَلَى أَهْلِهِ)^(١).

يتضح أنَّ النص السابق يعتمد على علاقة السؤال والجواب، فضلاً عن الحوار الذي يظهر باستعمال الألفاظ القولية (قال_ قلت) بين طرفين: سائل ومجيب.

السائل يطرح اسئلة، والمجيب يقدم الإجابات، ويمكن توضيح كيفية تنظيم هذه العلاقة بالمخطط الآتي:

السؤال	الجواب
--------	--------

ما الكبر؟ ←	أعظم الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس
-------------	-------------------------------------

وما سفه الحق؟ ←	يجهل الحق ويطعن على أهله
-----------------	--------------------------

نلاحظ أنَّ أحد السائلين يطرح سؤالين على الإمام (عليه السلام) يستفهم فيهما عن معنى الكبر أو التكبر وسفه الحق، باستعمال أداة الاستفهام (ما) التي يستفهم بها عن الأشياء غير العاقلة والتي تتطلب إيضاح حقيقة المسمى^(٢)، وتجدر الإشارة إلى أنَّ السؤالين مرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً ويكمل أحدهما الآخر، ونجد أيضاً أنَّ الذات المخاطبة عندما سُئِلت عن الكبر فقد جاء جواب الإمام (عليه السلام) متضمناً أداة التفضيل (أعظم)، وكان بإمكان الإمام أن يقول: الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس، ولكن لعظمة أمر التكبر من جميع أنواع

(١) وسائل الشيعة: ١٦ / ٦.

(٢) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني: ٢٦٣-٢٦٤.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

الكبائر، أورد اسم التفضيل (أعظم)، ليعضفه إلى المسؤول عنه (الكبر)، مبيناً أهمية ما يتبعه (تسفه الحق وتغمص الناس). ويتضح من ذلك أن علاقة السؤال والجواب قد أسهمت في بناء موضوع النص الذي أنشأه المتكلم من أجله وهو موضوع (الحد من التكبر)، وكذلك أسهمت تلك العلاقة في ربط القضايا داخل النص، مما أدت إلى الاتساق الدلالي^(١).

ومن أمثلة تلك العلاقة أيضاً ما ورد عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: (سَأَلْتُ الرَّضَا (عليه السلام) فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا حَدُّ التَّوَكُّلِ؟ فَقَالَ لِي: أَنْ لَا تَخَافَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا حَدُّ التَّوَّاضُعِ؟ فَقَالَ: أَنْ تُعْطِيَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ مَا تُحِبُّ أَنْ يُعْطُوكَ مِثْلَهُ، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَشْتَهِي أَنْ أَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: انْظُرْ كَيْفَ أَنَا عِنْدَكَ)^(٢).

نلاحظ في هذا النص ورود ثلاثة أسئلة استفهامية متتالية أسهمت في تماسك النص وربط قضاياها الداخلية من أوله إلى آخره، وجعلته منسجماً من خلال استعمال أدوات الاستفهام (ما، وكيف)، وتعدّ الأدوات الاستفهامية بشكل عام من الآليات اللغوية التوجيهية التي تقوم على توجيه المرسل إليه إلى سؤال معين، وإلزامه بضرورة الإجابة عليه، ويستعملها المرسل من أجل التحكم في مسار النص والسيطرة على ذهن المرسل إليه، فهي تسير الخطاب حسب رغبة المرسل لا غيره^(٣). فعلاقة السؤال والجواب تمت بين طرفين: طرف يستفهم عن حقيقة ما، وآخر يُجيب عما سئل عنه، ولتوضيح ذلك نورد المخطط الآتي:

السؤال الجواب

ما حد التوكل ← أن لا تخاف مع الله أحداً

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٧٤/١٥.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٣٥٢.

ما حد التواضع — أن تعطي الناس من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله

كيف أنا عندك — انظر كيف أنا عندك

نرى أن علاقة السؤال والجواب قد تداخلت معها علاقة الحوار، وقد أدت كل واحدة من هاتين العلاقتين وظيفتها الدلالية داخل النص، ومن ثم أعطت علاقة السؤال والجواب النص قوة في الترابط وفهماً في مضمون فحوى الخطاب، وهو (معرفة حقيقة التوكل والتواضع مع ضرورة استحباب العمل بهما)، مما انسجمت معانيه واتسقت لتحقيق نصاً متلاحم الأجزاء ومستمرّاً في الدلالة.

ولعلاقة السؤال والجواب في أحاديث جهاد النفس أمثلة أخرى^(١).

خامساً: علاقة المقابلة

من العلاقات النصية التي تقوم بالربط بين طرفين أو قضيتين متقابلتين داخل النص^(٢)، أي ((أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب))^(٣)، فيكون مضمون الوحدة النصية الثانية مقابلاً أو مبايناً لمضمون الوحدة النصية الأولى^(٤).

ومن أمثلة هذه العلاقة ما جاء من أحاديث جهاد النفس عن الإمام الصادق (عليه السلام) قَالَ فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ (عليه السلام) (يَا دَاوُدُ - كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْمُتَوَاضِعُونَ كَذَلِكَ أَبْعَدُ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْمُتَكَبِّرُونَ)^(٥).

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ج ١٥ / ١٦١ - ١٩٤ - ١٩٨ - ٢٠٢ - ٢٠٥، وج ١٦ / ٢٥.

(٢) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٥.

(٣) دراسات منهجية في علم البديع، الشحات محمد أبو ستيت: ٥٣.

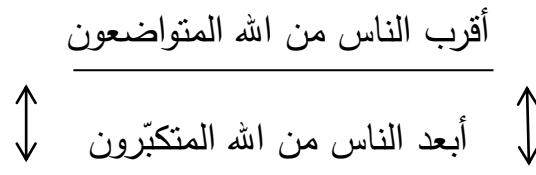
(٤) ينظر: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم: ٢٥٥.

(٥) وسائل الشيعة: ١٥ / ٢٧٢ - ٢٧٣.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

في النص السابق، نجد تقابلاً بين قضيتي (التكبر والتواضع) ممثلتين في فئتين من الناس. الفئة الأولى من الناس وصفها الله عز وجل بالمتواضعين، بينما وصف الأخرى بالمتكبرين، وقد قرب الله سبحانه وتعالى الفئة الأولى إليه، وأبعد الأخرى عنه.

هذا التقابل بين حالي الناس تجسد في قوله: (أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون).



نلاحظ أنّ القضية الأولى تثير في ذهن سؤالاً عن من هم أبعد الناس عن الله؟. فهذا التماسك هو من قبيل التماسك الذهني الذي يثير في ذهن المتلقي توقعاً قبل ورود اللفظة المتضادة، بمعنى أنّ حضور الشيء يستدعي حضور ضده، وهذا ما يحقق الانسجام النصي من خلال توقع المتلقي للألفاظ المتضادة، فالمقابلة بين القرب والبعد تمثل من الناحية الدلالية علاقة مسافية، فالقرب يستدعي البعد^(١)، لذلك جعل الله سبحانه وتعالى الفئة المتواضعة قريبة منه والفئة المتكبرة بعيدة عنه.

وأيضاً ما ورد عَنْ يُؤُسَ بْنِ ظَبْيَانَ قَالَ: قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي حَدِيثٍ (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ مَا لِلَّهِ عِنْدَهُ، وَمَنْ خَلَا بِعَمَلٍ فَلْيَنْظُرْ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ حَسَنًا جَمِيلًا فَلْيَمِضْ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ سَيِّئًا قَبِيحًا فَلْيَجْتَنِبْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْوَفَاءِ وَالزِّيَادَةِ، وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فِي السِّرِّ فَلْيَعْمَلْ حَسَنَةً فِي السِّرِّ، وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فِي الْعَلَانِيَةِ فَلْيَعْمَلْ حَسَنَةً فِي الْعَلَانِيَةِ)^(٢).

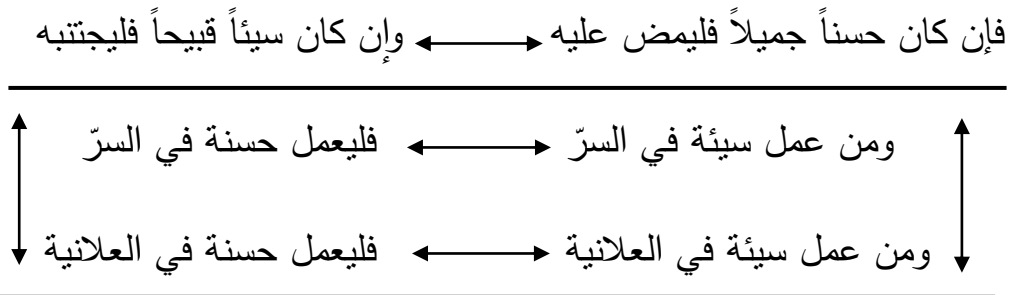
(١) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة (بحث)، د. أحمد نصيف الجنابي: ٢١.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠٢ / ١٦ - ١٠٣.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

نرى أنّ العلاقة الدلالية التقابلية ذات البنى المتوازية قد بانت واضحة في النص السابق، إذ يظهر التقابل الذي عرضه الإمام (عليه السلام) بين عمليين: (العمل الحسن والعمل السيئ)، أراد الإمام (عليه السلام) من خلال ذلك أن يدعو الناس إلى التأمل في الحياة الدنيا والتميز بينها، سواء كانت سرّاً أو علانية، كما أوضح الأعمال التي يرتضيها وتلك التي يجتنبها، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بهذه الأعمال المتقابلة، ولبيان العلاقة التقابلية في النص السابق نورد المخطط الآتي:

من خلا بعمل فليُنظر فيه



نرى أن العلاقة الدلالية التقابلية قد تشكّلت بين عدّة معاني وجمل، إذ ربطت بين أجزاء الجمل الطويلة، مما وسّع نطاق هذه العلاقة ليشمل النص بأكمله، فكل جمل النص المتقابلة تتمحور حول قضيتين أساسيتين، وهما: (العمل الحسن والعمل السيئ)، وتُعدّ هذه العلاقة التقابلية من العلاقات الدلالية التي تمكّن المتكلم من تقديم صور عدة للتقابلات بين المعاني لبناء حديثه، الذي يقوم على المقابلة بين العمل الصالح والعمل السيئ^(١)، ونرى أيضاً أن هذه العلاقة قد تضافرت معها علاقة دلالية أخرى متمثلة بعلاقة الشرط والجزاء، فأن كل الجمل المتقابلة قد ارتبطت مع علاقة الشرط والجزاء مما عملت على تنويع النص وتجديده بالعلاقات الدلالية، إذ يكاد كل نص يبتكر وسائله التي تعينه على ((ربط الإشارات في

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢١٣.

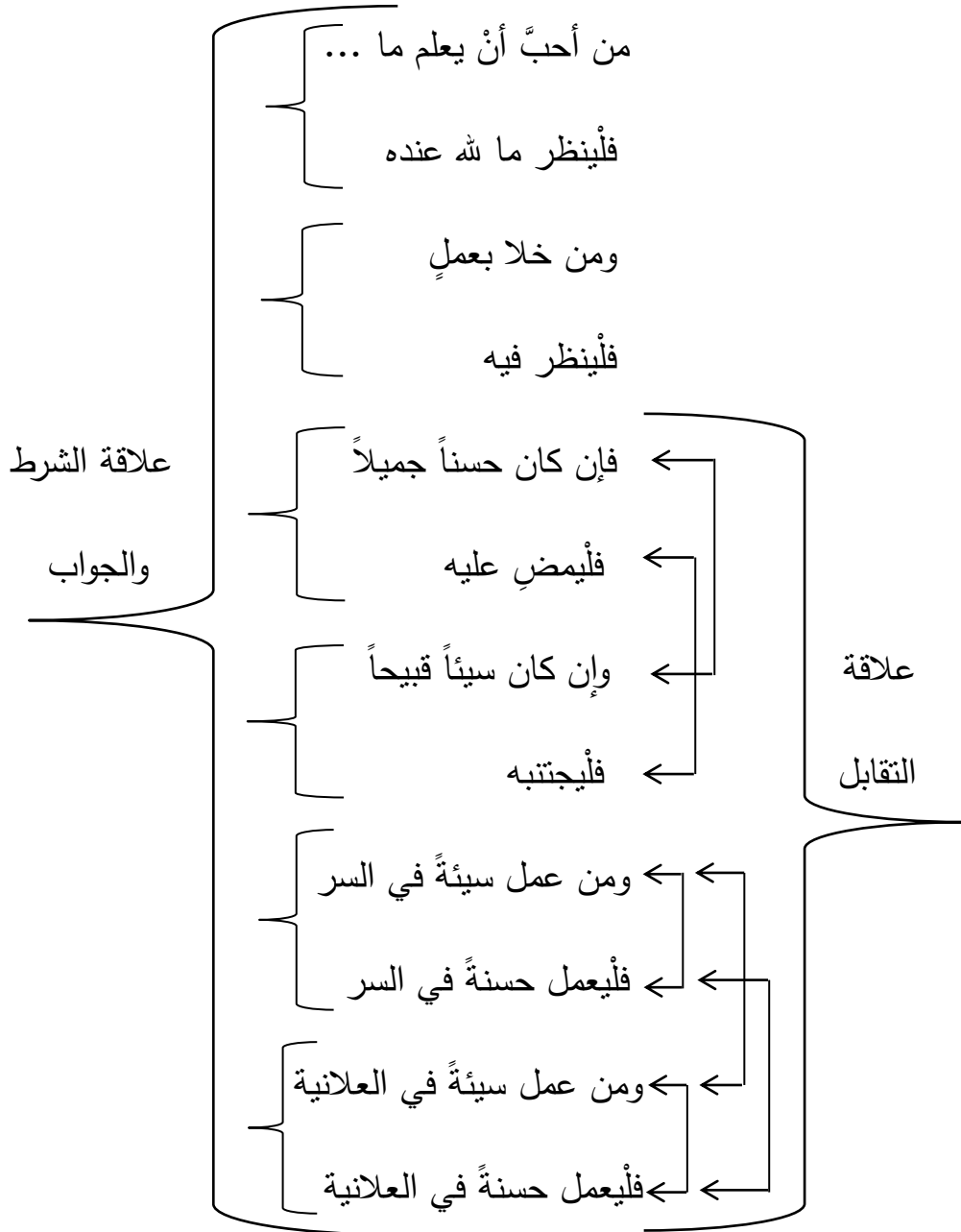
الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

النص ببعضها، وتعين على تطورها وأسلوب تحولها حتى تكون في النهاية خيطاً قوياً يربط النص رباطاً خفياً يحتاج إلى تلمظ لكشفه))^(١).

فنرى أنّ حديث الإمام (عليه السلام) يحمل في طياته مجموعة من التوجيهات الأخلاقية والتربوية العميقة التي تهدف إلى تهذيب النفس والارتقاء بها إلى مراتب الكمال، إذ يستهل الإمام (عليه السلام) حديثه بأسلوبٍ شرطي (من أحب ... فليُنظر ...)، وهذا الأسلوب يخلق ترابطاً قوياً بين الشرط (الرغبة في معرفة منزلة العبد عند الله) والجزاء (التوجيهات العملية). هذا الأسلوب يجذب الانتباه ويدفع القارئ إلى التفكير والتدبر.

وبذلك، انتظمت العلاقات الدلالية في النص وتوزعت على النحو الذي يوضحه المخطط الآتي:

(١) الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، محمد حماسة عبد اللطيف: ٣٦.



فنرى أنّ النص عبارة عن سلسلة من جمل شرطية وجوابها، إذ يبدأ بتركيب شرطي لتمهيد المقارنة بين (العمل الحسن والعمل السيئ)، فيبدأ بـ (من) التي تفيد العموم، أي عموم الأشخاص كأداة شرط، ونلاحظ أيضاً أن جواب الشرط في جميع جمل النص، تضمن أفعالاً أمرية مقترنة بـ (لام الأمر)، وذلك للتأكيد على الأمر.

وعليه فقد عملت كل من علاقتي (الشرط والجواب) و(التقابل)، في ترابط أجزاء النص معنوياً وانسجامه دلالياً، وجعل منه وحدة متكاملة، فالنص يقدم إطاراً شاملاً لكيفية التعامل مع النفس وتقييم الأعمال.

ولعلاقة التقابل أو التضاد في أحاديث جهاد النفس أمثلة أخرى^(١).

سادساً: علاقة الحوار

تُعدّ علاقة الحوار من العلاقات المتعلقة بالحديث أو المحادثة، وعلاقة تفاعلية داخل النص اللغوي^(٢)، فهي علاقة متبادلة بين طرفين أو عدّة أطراف، فنجد أن أحد الأطراف يصدر كلاماً والطرف الآخر يرد عليه، وهذا الرد بلا شك مرتبط بالكلام الأول؛ لأنه ردّ عليه^(٣)، والعلاقة الحوارية تقوم على أساليب القول من قال وقلت ومشتقاتها، وسأل وأجبت^(٤).

ومن أمثلة هذه العلاقة ما جاء من أحاديث جهاد النفس عن الإمام الصادق (عليه السلام) قَالَ: (إِنَّ آخِرَ عَبْدٍ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ فَيَلْتَفِتُ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: أَعْجَلُوهُ، فَإِذَا أَتَى بِهِ قَالَ لَهُ: عَبْدِي لِمَ التَّفَتَّ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا كَانَ ظَنِّي بِكَ هَذَا فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: عَبْدِي مَا كَانَ ظَنُّكَ بِي؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَانَ ظَنِّي بِكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي وَتُدْخِلَنِي جَنَّتَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: مَلَائِكَتِي وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَآلَائِي وَارْتِفَاعِ مَكَانِي مَا ظَنَّ

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر وسائل الشيعة: ١٥ / ١٩٠ - ٢٠١ - ٢٥٧ - ٢٧٢ - ٢٨٧ - ٢٩٢ - ٣١٢.

(٢) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٣٧٥، والنحو وبناء الشعر في ضوء معايير النصية شعر الجوهري نموذجاً، صالح عبد العظيم الشاعر: ١٧٥.

(٣) ينظر: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم: ٢٤٩.

(٤) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ٢ / ٦٣٢، والنحو وبناء الشعر في ضوء معايير النصية شعر الجوهري نموذجاً: ١٧٥.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

بِي هَذَا سَاعَةً مِنْ حَيَاتِهِ خَيْرًا قَطُّ، وَلَوْ ظَنَّ بِي سَاعَةً مِنْ حَيَاتِهِ خَيْرًا مَا رَوَّعْتُهُ بِالنَّارِ، أَجِيزُوا لَهُ كَذِبَهُ وَأَدْخِلُوهُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): مَا ظَنَّ عَبْدٌ بِاللَّهِ خَيْرًا إِلَّا كَانَ لَهُ عِنْدَ ظَنِّهِ، وَمَا ظَنَّ بِهِ سُوءًا إِلَّا كَانَ اللَّهُ عِنْدَ ظَنِّهِ بِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١) (٢).

يعرض النص السابق علاقة دلالية قائمة على مبدأ الحوار بين طرفين، أحدهما يسأل والآخر يجيب.

فالحوار، كما نرى دار بين الله عز وجل والعبد المأمور به إلى النار، فعندما يؤمر بعبدٍ ما إلى النار يلتفت، فيأمر الله عز وجل الموكلين به أن يعجلوا به فيقول الله عز وجل: (أعجلوه)، وعندما يمثل العبد بين يديه، يبدأ المشهد الحوارى القائم على العملية الاستفهامية بين الله عز وجل، وهو السائل، والعبد الملتفت المأمور به إلى النار، وهو المجيب.

فيقول الله عز وجل له: (عبدى لِمَ التفت؟)، فيرد العبد: (يا ربّ، ما كان ظني بك هذا)، فيسأله الله عز وجل (عبدى ما كان ظنك بي؟)، فيجيب العبد (يا ربّ، كان ظني بك أن تغفر ...)، فيقول الله عز وجل: (ملائكتي، وعزتي، ... أجزوا له كذبه وأدخلوه الجنة). نرى أن الحوار قد تم بين الطرفين، وعمل على بيان المعاني الأساسية، فطرف يبين، والطرف الآخر يكمل ويبني عليه باستعمال أسلوب القول (قال، ويقول) (٣)، وقد ركز هذا الحوار على القضية الرئيسة للنص، وهي قضية (حسن الظن بالله)، وكشف عن أبعادها من خلال المتحاورين.

(١) فصلت: ٢٣.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٣١/١٥.

(٣) ينظر: النحو وبناء الشعر في ضوء معايير النصية شعر الجوهري نموذجاً: ١٧٥.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

وبالعودة إلى سياق النص السابق، نجد أن العلاقة الحوارية تتسم بتعاقب الأحداث وترابط القضايا، وذلك من خلال أداة الربط (الفاء) التي أفادت التعقيب والسرعة في مجريات الأحداث^(١)، لذلك ارتبط مجيئها بألفاظ القول، مما يدل على أن الحوار متعاقب في مدته الزمنية الحالية، فكل قول يعقبه قول آخر يرد عليه في الحال، إضافة إلى ذلك، نلاحظ أن العلاقة الحوارية قد تعاضدت معها علاقة السؤال والجواب، إذ أدت دوراً فاعلاً في جعل النص مرتبطاً مع بعضه ارتباطاً وثيقاً، ومحققاً الاستمرارية الدلالية بين قضاياها، وذات أثر مهم في العملية التواصلية الخطابية بين طرفي المرسل والمستقبل^(٢).

ومنه ما جاء عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ قَالَ: (يَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، ذُنُوبُ الْمُؤْمِنِ إِذَا تَابَ مِنْهَا مَغْفُورَةٌ لَهُ فَلْيَعْمَلِ الْمُؤْمِنُ لِمَا يَسْتَأْنِفُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، قُلْتُ: فَإِنْ عَادَ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ وَعَادَ فِي التَّوْبَةِ؟! قَالَ: يَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَرَى الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَنْدَمُ عَلَى ذَنْبِهِ وَيَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وَيَتُوبُ ثُمَّ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَتَهُ؟! قُلْتُ: فَإِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا يُذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ وَيَسْتَغْفِرُ، فَقَالَ: كُلَّمَا عَادَ الْمُؤْمِنُ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ عَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُقْنَطَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)^(٣).

نلاحظ قيام النص على علاقة الحوار بين طرفين، أحدهما يتكلم شيئاً، والآخر يأخذ من كلامه ويبني عليه، فالانسجام الحواريّ المتمثّل في النصّ يتمثّل في أن تكون كلُّ جملةٍ فيه،

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ١٨٤.

(٢) ينظر: آليات التحليل النصي والتأويل في تفسير معارج التفكير ودقائق التدبر لعبد الرحمن الميداني

(١٤٢٥هـ) (اطروحة دكتوراه)، مصطفى صباح مهودر: ١٤٢.

(٣) وسائل الشيعة: ١٦ / ٧٩ - ٨٠.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

ردّاً على جملةٍ أخرى سابقة عليه، وتكون مثيرة ومشوقة لجملةٍ أخرى أو عدّة جمل لاحقة به؛ ليحقق بذلك انسجام أجزاء النصّ وتماسكها^(١).

ففي هذا النص نلاحظ أنّ علاقة الحوار قد تجلت فيه بوضوح بالاستناد إلى الاستفهام التعجبي والانكاري بين طرفين أساسيين، فكان الحوار بين محمد بن مسلم تعجباً من مناداة الإمام له وأخباره إياه بأنّ المؤمن إذا تاب من ذنبه واستغفر ربّه فإنّ الله يغفر ذنوبه، فيقول: (فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة؟!)، لمن عاد بعد التوبة والاستغفار يتعجب من عودته، فالجملة قد أتت بصورة الاستفهام والمعنى الوارد فيها قد دلّ على التعجب، فيجيبه الإمام (عليه السلام) (قال: يا محمد بن مسلم، أ ترى العبد المؤمن ...)، استفهام بصيغة الانكار والتعجب، فكيف تعجب من مؤمن قد ندم على ذنبه واستغفر ربّه وتاب منه، ثمّ لا يقبل الله توبته؟!، فإنّ باب التوبة مفتوح للجميع؛ ولأنّ الله عز وجل توابٌ رحيم.

فالحوار المتجلي في النص والمنطلق من قضيةٍ أساسية تدور (حول التوبة من الذنب مع الإتيان بشرائطها) قد عمل على بناء النص وانسجامه وتحقيق التماسك الداخلي فيه، فضلاً عن ألفاظ القول المبنوثة بين أجزاء النص الحديثي والمتمثلة بين عنصر المتكلم والمخاطب فهي الأخرى تعدّ عنصراً أساسياً عملت على تحقيق الترابط النصي؛ لأنّ غالباً ما يأتي بعد فعل القول مجموعة من المتتاليات الجمالية المتعلقة به، ومردّها جميعاً إليه^(٢).

(١) ينظر: لسانيات النص وتحليل الخطاب، د. محمد جواد النوري: ٥٨٥.

(٢) ينظر: علم لغة النص مدخل نظري، د. إسماعيل محمد العقباوي: ٩٩.

سابعاً: علاقة التمثيل أو التشبيه

هذه العلاقة من العلاقات البلاغية وفن من فنونها وهي عبارة عن ((ربط شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر))^(١)، فعلاقة التمثيل أو التشبيه تسهم في بناء وحدة النص وربط القضايا دلاليًا وتعبر عنها الأدوات الآتية: (الكاف، كما، كأن، مثل، ...)^(٢).

ويمكن التمثيل لهذه العلاقة مما ورد في أحاديث جهاد النفس عَنِ الرَّضَا عَنْ آبَائِهِ (عليهم السلام) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَثَلِ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مُؤْمِنٍ تَائِبٍ وَمُؤْمِنَةٍ تَائِبَةٍ)^(٣).

فالرسول (ﷺ) يقوم بإجراء مماثلة أو تشبيه بين المؤمن والملك المقرب من الله عز وجل، فقد عبّر عن علاقة التمثيل هنا من خلال الأداة (الكاف) المتصلة بأداة أخرى لتؤكد التمثيل وهي (مثل)، إذ ربطت الأداة (الكاف ومثل) في (كمثل) الكلام اللاحق بالسابق، وجاء توظيفهما في النص للدلالة على إيصال المراد من النص من قبل المتكلم، فالحديث يُبين لطف الله تعالى وفضله على العباد المؤمنين المخلصين، إذ مثّل حالتهم وقربهم عند الله تعالى بالملك المقرب منه، وهذا القرب يكون في حالة التوبة.

وبذلك نرى أنّ هذا التمثيل عظيم الأثر في نفس المتلقي، إذ يرسم صورة محسوسة تهدف إلى التأثير فيه وجعله متواصلاً مع النص، كما أنه يقرب إلى ذهنه صورة واضحة المعنى، تجسد تجليات الكرامة والفضل الرباني على العباد، وبذلك يتحقق الانسجام من

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب: ١٧٠.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢١٤.

(٣) وسائل الشيعة: ٧٥/١٦.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

خلال الدلالة المشتركة بين الكلام اللاحق والسابق، التي تربط بينهما دلاليًا عن طرق التشبيه^(١).

ومن أمثلة هذه العلاقة مما ورد عَنْ سِنَانِ بْنِ طَرِيفٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ: (يُنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَخَافَ اللَّهَ خَوْفًا كَأَنَّهُ مُشْرِفٌ عَلَى النَّارِ، وَيَرْجُوهُ رَجَاءً كَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا)^(٢).

فالمتكلم في هذا النص قد عبّر عن تشبيهاته بصورةٍ بليغة ومؤثرة في نفس المتلقي، جاعلاً من حالة التشبيه هذه أن يُقرب إلى ذهن المتلقي صورةً معينة ورسمها في ذهنه لفهم مقصد معين أراد المتكلم إيصاله له.

وبذلك فقد ورد التشبيه في هذا النص (مرتين) عبر أداة التشبيه (كأن)، التي أضافت إلى النص بعداً دلاليًا، فالإمام قد وظفها في النص من أجل تقريب صورة الجنة والنار وتحقيقهما في حالة الخوف والرجاء من الله عز وجل، وهما مطلوبان من الإنسان المؤمن بأن يجعل النار نصبَ عينه ويرجو رجاءه بطلب العفو والمغفرة.

فعلاقة التشبيه هذه قد أسهمت في بناء النص وربط قضاياه، فالربط بأداة التشبيه (كأن) ودلالة التشبيه قد أسهما في انسجام النص والوصول به إلى مقصده وغايته.

(١) ينظر: السبك والحبك في جزء المجادلة (رسالة ماجستير)، باقر محيسن فرج: ١٦٨.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٣٠/١٥.

المبحث الثاني

البنى النصية الكبرى

تعرف البنية الكلية الكبرى بأنها (("ثيمة النص وفكرته"، وهي تشكّل المفتاح الرئيس في فهم النص وتأويله والإمساك بمقتضاه، بل إعادة بنائه وإدراك تماسكه))^(١)، وهي عند (فان دايك) عبارة عن قضية معقدة ناجمة عن مجموعة من القضايا المجتمعة عن طريق سلسلة من المتتابعات الجمالية داخل النص^(٢)، إذ يتم تحديد موضوع البنية الكبرى من خلال تلك القضايا المتتابعة والمتكاملة الموجودة في أبنية الجمل أو الأبنية الصغرى داخل نص الخطاب^(٣). ويرتبط موضوع البنية الكبرى مع مفهوم النص أشد ارتباطاً، إذ يقع التعامل معه والتركيز عليه بوصفه كلاً موحداً^(٤)، والنص عند (فان دايك) بأنه ((بنية سطحية توجهها وتحفرها بنية عميقة دلالية))^(٥).

لذا ينظر إلى البنية السطحية على إنها تلك الأبنية الصغرى التي تتكون من قضايا متتابعة يحدد من خلالها موضوع البنية الكبرى^(٦)، ومعنى ذلك أنّ ((متتاليات الجمل التي تمتلك أبنية كبرى هي وحدها التي تسمى من الوجهة النظرية نصوصاً))^(٧)، كما تتميز البنيات الكبرى بأنها ذات طبيعة شمولية ودلالية؛ لذلك فهي ((تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة

(١) نحو النص ذي الجملة الواحدة دراسة تطبيقية في مجمع الأمثال للميداني، د. محمود قدوم: ٢٢٧.

(٢) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٥٤.

(٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٩٥.

(٤) ينظر: سيميائية النص الأدبي: ٩١، وعلم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٧٤، والعلاماتية وعلم النص، منذر عيّاشي: ١٥٨.

(٥) مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص: ٥٦.

(٦) ينظر: سيميائية النص الأدبي: ٨٦، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٩٥.

(٧) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٧.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

للنص^(١)، ويشكّل الحدس المعيار الحقيقي لعملية الكشف عن هذه البنية الكبرى الدلالية المجردة لكي نتمكن من اختزال عدد غير محدود من المعلومات التي تقدمها البنيات الصغرى المتتالية^(٢)، وتفسيراً لذلك أنّ البنية الكبرى ((ليست شيئاً معطى، حتى وإن كانت بنيات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحده^(٣)))، إذ تبرز كفاءة المتلقي في تحديد موضوع البنية الكبرى من خلال خلال فهم النص وانتقاء أكثر العناصر أهمية وبروزاً من غيرها، وهذا بما يلائم ثقافة المتلقي ومعرفته الشخصية، وبما يمتلكه من رؤيا وأحكام تمكّنه من اكتشاف البنية الكبرى، لذلك أنّ معرفة البنية الكبرى تختلف من شخص إلى آخر^(٤).

وتجدر الإشارة إلى أنّ موضوعات البنية الكبرى لأحاديث جهاد النفس كانت معلومة لدى الشيخ الحرّ العاملي، فالمؤلف قد رتّب كتابه بحسب الأبواب، فبلغ عدد أبواب أحاديث جهاد النفس (مئة وواحد) باباً، ووصل عدد الأحاديث الواردة فيه عن النبي وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) إلى ما يُقارب الألف حديث، وقد احتوى كلّ باب من أبواب أحاديث جهاد النفس على مجموعة من الأحاديث التي ترتبط موضوعاتها بعنوان الباب، أي أنّ الأحاديث في كلّ باب ذات صلة وارتباط بموضوعه أو عنوانه وأنّ جميع الأبنية الدلالية الكبرى للأحاديث، والمرتبطة موضوعياً بعنوان الباب، تصب في القضية الكبرى وهي قضية جهاد النفس.

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٧.

(٢) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ٢٤٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤٩.

(٤) ينظر: سيميائية النص الأدبي: ٩٢، وبلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٧، والعلاماتية وعلم النص:

فالبنية الكلية للنص تفهم على إنها قضية كبرى من خلال ((تتابع منتظم من قضايا ترتبط بعضها ببعض عن طريق تداخلها))^(١) داخل النص، بمعنى أنّ الكشف عن البنية الكبرى وتحديد موضوعها ناتج عن دمج وترابط البنيات الصغرى، فضلاً عن أنّ تلك القضايا المترابطة في بنية النص الحديثي تثير في نفس المتلقي مجموعة من الأسئلة توصل به في نهاية المطاف نحو بنية كليّة كبرى، مثلاً: ما الموضوع الأساسي الذي أثاره هذا الحديث، أو ما هي قضيته المحورية؟، وما الغرض أو القصد الذي يسعى إليه؟ وهل يُمثّل هذا الحديث قاعدة أساسية يحتاجها المتلقي في حياته الدنيوية؟.

ولكي يتم الكشف عن البنية الدلالية الكبرى للنص وضع فان دايك مجموعة من القواعد تُطبّق على الأبنية الصغرى، أطلق عليها (القواعد الكبرى)، وهي^(٢): (الحذف، الاختيار، التعميم، التركيب أو الإدماج)، وهذه القواعد يجب أن تخضع لمبدأ (الاستلزام التضمن الدلالي) بمعنى أنّ كل بنية دلالية كبرى يتم الوصول إليها من مجموع سلسلة القضايا الصغرى يجب أن تتضمن دلاليّاً داخل سلسلة القضايا الصغرى التي تُطبق عليها القواعد^(٣).

وفيما يلي عرض لتلك القواعد الكبرى التي وضعها (فان دايك)، ثم تطبيقها على بعض أحاديث جهاد النفس في كتاب تفصيل وسائل الشيعة.

(١) مدخل إلى علم اللغة النصي: ٤٨.

(٢) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٠-٨١، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٩٦-١٩٧.

(٣) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨١.

١- قاعدة الحذف:

ويقصد بها أن كل معلومة غير جوهرية وغير مهمة يمكن أن تُحذف؛ لأنها تُعد معلومات ثانوية فيما يخص المعنى أو التفسير المستوى الأعلى^(١).

٢- قاعدة الاختيار:

وتتعلق هذه القاعدة باختيار القضايا المهمة والأساسية لتفسير قضايا أخرى، إذ يُحذف من النص المعلومات التي تُعد توابع أو فرضيات مسبقة أو شروحات تفصيلية لقضايا أخرى، وهذه القاعدة تختلف عن قاعدة الحذف بأن المعلومات المحذوفة فيها قابلة للاسترجاع ثانية وبشكل مُحدّد بناءً على معرفتنا بالمواقف أو الأحداث وما يتعلق بها^(٢).

٣- قاعدة التعميم:

وتقتضي هذه القاعدة أيضاً حذف المعلومات الأساسية لتصوير ما، لتحل محلها قضية شاملة تتضمن مفهوماً القضايا المحذوفة^(٣).

٤- قاعدة التركيب أو البناء:

وتعمل هذه القاعدة على دمج مجموعة من القضايا لبناء تصورات أعم وأشمل للقضية الكبرى، لذلك هي من القواعد المهمة كما يرى (فان دايك) من القواعد الأخرى، وتشبه إلى حدٍ ما القاعدة الثانية الاختيار في الوظيفة^(٤).

(١) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨١ _ ٨٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٨٣ _ ٨٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٨٤ _ ٨٥.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

ولتبين قواعد (فان دايك) في أحاديث جهاد النفس نورد ما جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِهِ: (وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أُعْطِيَ مُؤْمِنٌ قَطُّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِحُسْنِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ، وَرَجَائِهِ لَهُ، وَحُسْنِ خُلُقِهِ، وَالْكَفِّ عَنْ اغْتِيَابِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ مُؤْمِنًا بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ إِلَّا بِسُوءِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ، وَتَقْصِيرِ مَنْ رَجَائِهِ لَهُ، وَسُوءِ خُلُقِهِ، وَاغْتِيَابِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يَحْسُنُ ظَنُّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ إِلَّا كَانَ اللَّهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ بِيَدِهِ الْخَيْرُ يَسْتَحْيِي أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ قَدْ أَحْسَنَ بِهِ الظَّنَّ ثُمَّ يُخْلِفَ ظَنَّهُ وَرَجَاءَهُ، فَأَحْسَنُوا بِاللَّهِ الظَّنَّ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ)^(١).

وللوصول إلى البنية الدلالية الكبرى لهذا النص نحاول أن ننطلق من البنيات الدلالية المفردة المشكلة في النص الوارد، لنصل في نهاية المطاف إلى دلالة النص ومعناه الذي يكون في مستوى أعلى من البنيات الصغرى وهو ما نطلق عليه بنية النص الكبرى.

فهذا الحديث يمكن تقسيمه إلى تتابع من القضايا المتسلسلة التالية:

(والذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ق ١، ورجائه له ق ٢، وحسن خلقه ق ٣، والكف عن اغتيال المؤمنين ق ٤، والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله ق ٥، وتقصير من رجائه له ق ٦، وسوء خلقه ق ٧، واغتيال المؤمنين ق ٨، والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظنَّ عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظنَّ عبده المؤمن ق ٩، لأن الله كريم بيده الخير يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنَّ ثم يخلف ظنه ورجاءه ق ١٠، فأحسنوا بالله الظنَّ وارغبوا إليه ق ١١).

(١) وسائل الشيعة: ٢٣٠ / ١٥.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

فبعد تقسيم النص إلى سلسلة من القضايا يتبين أنه يتكون من إحدى عشرة قضية أساسية وفرعية، ولكن أن نظرنا إلى القضايا الأساسية الواردة في نص الحديث نجده يتكون من أربع قضايا صغرى؛ لأن القضية الصغرى (ق ١) تحتوي على ثلاث قضايا فرعية، والقضية (ق ٥) أيضاً تحتوي على ثلاث قضايا، بينما القضية (ق ٩، ق ١٠، ق ١١) فإنَّ كُلَّ واحدة منهما تُمثِّل نفسها.

ولا شكَّ أنَّ تقسيم هذا النصِّ وتفكيكه إلى سلسلةٍ من الجمل أو القضايا على مستوى البنيات الصُّغرى، ثمَّ محاولة تقسيمها مرَّةً أخرى أن لزم الأمر إلى قضايا فرعية دلالية، فإنه يؤسّس داخل النص الحديثي نفسه وحدة دلالية كبرى؛ لأن القضية ليست قضية كبيرة بحد نفسها وإنما تكون بنية دلالية كبرى عندما تشتق من القضايا الصغرى البنية الكبرى^(١). وبعد تقسيم النص إلى سلسلة من الجمل أو القضايا، يمكن أن نبين البنية الهرمية له، إذ يتكون هذا النص من ثلاثة مستويات هرمية، وهي:

المستوى الأدنى: القضايا الفرعية (الخُلق ، الاغتياب).

المستوى الأوسط: القضايا الأساسية (الثواب بحسن الظن ، العقاب بسوئه).

المستوى الأعلى: البنية الكبرى (الارتباط الجوهري بين الظن بالله والمصير).

وبتطبيق القواعد الكبرى التي نصَّ عليها فان دايلك على هذا النص نجد:

١- قاعدة الاختيار: هذه القاعدة تعمل في القضايا: (١، ٥، ٩، ١٠، ١١)، وهي أيضاً اختزالية إلا أنَّ العملَ بها يختلف، فالمعلومات المختزلة في هذه القاعدة ليست عرضية كما في قاعدة الحذف بل تكون معلومات جوهرية ومقومة لمفهوم أو إطار لقضية عامّة^(٢).

(١) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢٣١، وتفسير من وحي القرآن دراسة في ضوء علم اللغة النصي (رسالة ماجستير)، مؤيد عبيد صوينت: ١٠٣.

(٢) ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٠١.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

فالقضية (١) تُحدد الجانب الإيجابي للعلاقة بين الإيمان وحسن الظن والثواب، والقضية (٥) تُحدد الجانب السلبي للعلاقة بين الإيمان وسوء الظن والعقاب، وإِما القضية (٩، ١٠) تعدُّ الخلاصة والتأكيد، أي التأكيد على أهمية حسن الظن بالله وعلاقته بكرم الله عز وجل ورحمته وعدم إخلافه لظن العبد المؤمن به، بينما القضية الأخيرة (١١) فهي دعوة مباشرة لتبني السلوك الموصوف.

٢- قاعدة التعميم: هذه القاعدة تعمل في القضايا: (١، ٥، ٩، ١٠)، يمكن أن تحل محل هذه القضايا قضية واحدة تعدُّ مفهوماً مشتركاً لكل القضايا، أي استخلاص الفكرة العامة من الأمثلة الجزئية، وهي (كلما أحسن العبد الظن بالله، كافأه الله، وكلما أساء الظن، عُوقب).

٣- قاعدة الإدماج: هذه القاعدة تعمل في القضايا التي اختيرت أساساً للبنية الدلالية الكلية للنص، وعليه فقاعدة الإدماج تعمل في القضايا: (١، ٥، ٩، ١٠، ١١)، لتنتج لنا القضية الآتية: (وجوب حسن الظن بالله، وتحريم سوء الظن به).

وهذه البنية الكبرى التي تمَّ استنباطها من مجموع تلك القضايا فهي في رأي فان دايك تُمثل المعنى الدلالي الشامل للنص^(١).

وأيضاً ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام)، إذ قَالَ: (اصْبِرُوا عَلَى الدُّنْيَا فَإِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ، فَمَا مَضَى مِنْهُ لَا تَجِدُ لَهُ أَلَمًا وَلَا سُرُورًا، وَمَا لَمْ يَجِئْ فَلَا تَدْرِي مَا هُوَ؟، وَإِنَّمَا هِيَ سَاعَتُكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، فَاصْبِرْ فِيهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَاصْبِرْ فِيهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ)^(٢).

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي: ٤٨، والتحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج: ٦٨.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٣٧/١٥.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

يتكون هذا النص من مجموعة من القضايا الصغرى والجزئية المتفرعة منها، وللوقوف على البنية الدلالية الكبرى لهذا النص يستلزم أن نُقسم النص الحديثي إلى مجموعة من القضايا الصغرى كما يأتي:

(اصبروا على الدنيا فإنما هي ساعة ق ١، فما مضى منه لا تجد له ألماً ولا سروراً ق ٢، وما لم يجئ فلا تدري ما هو؟ ق ٣، وإنما هي ساعتك التي أنت فيها ق ٤، فاصبر فيها على طاعة الله ق ٥، واصبر فيها عن معصية الله ق ٦).

وبتطبيق قواعد البناء الكبرى لاستخراج البنية الكلية الكبرى فنجد أن القضايا الصغرى لهذا النص تعمل في القواعد الآتية:

١- قاعدة الاختيار: تعمل في القضيتين: (١ - ٤)، فهي من القضايا المهمة والأساسية لتفسير القضايا التابعة لها في استنباط البنية الكبرى، فالقضية (١) جاءت في الأمر بالصبر على الدنيا والنظر إليها على إنها ساعة فما مضى من المصائب والأفراح كأنها لم تكن، وأما ما سيأتي فلا نعلم ما هو، وبينما القضية (٤) تُبين أن الدنيا ما هي إلا ساعتك التي أنت فيها فأهتم بها الآن وأترك الماضي لتضمن المستقبل، فوجب الصبر فيها على طاعة الله وعلى معصيته.

٢- قاعدة التعميم: تعمل هذه القاعدة في القضيتين: (٥ - ٦)، فهذه القاعدة تتعلق ((بالإحلال والاستبدال؛ حيث تحذف معلومات أساسية لتصوّر ما وتحل محلها قضية جديدة تتضمن مفهوماً للقضايا القديمة))^(١)، ومع قاعدة التعميم نجد أن القضيتين (٥ - ٦) تحل محلها قضية جديدة أكثر شمولية وعمومية، وهي: (الالتزام بطاعة الله والابتعاد عن معصيته).

(١) علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٩٧.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

٣- قاعدة الإدماج: تعمل هذه القاعدة أساساً في إدماج سلسلة القضايا الصغرى لبناء تصور أعم، فينشأ من إدماج قضايا النص بنية دلالية كبرى تمثل موضوع النص وقضيته الأساسية، وهي: (وجوب الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته).

وأيضاً ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) يَقُولُ: (اطْلُبُوا الْعِلْمَ، وَتَزَيَّنُوا مَعَهُ بِالْحِلْمِ وَالْوَقَارِ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَهُ الْعِلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ طَلَبْتُمْ مِنْهُ الْعِلْمَ، وَلَا تَكُونُوا عُلَمَاءَ جَبَّارِينَ فَيَذْهَبَ بِاطْلَاكُمْ بِحَقِّكُمْ)^(١).

في النص نجد أنَّ البنية النصية الكبرى فيه تتمحور في أربع أبنية صغرى، جاءت بغرض النصح والإرشاد.

فالبنية الصغرى الأولى: في الأمر بـ(الحث والسعي في تحصيل العلم)، في قوله (عليه السلام): (اطلبوا العلم).

والبنية الثانية: في الأمر بـ(التحلي بالأخلاق الحميدة)، في قوله (عليه السلام): (وتزينوا معه بالحلم والوقار).

وجاءت البنية الثالثة: في الأمر بـ(التواضع للمعلم والمتعلم)، في قوله (عليه السلام): (وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم).

أما البنية الرابعة: في التحذير من (التكبر والتعالي بالعلم)، في قوله (عليه السلام): (ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلاكم بحقكم).

وبإعمال قواعد فان داك نطبق على هذا النص قاعدة التعميم التي تعمل على تعويض سلسلة متتالية من القضايا بقضية واحدة شمولية تعبر مفهوماً عن تلك القضايا المحذوفة^(٢)، وهي: (تأكد استحباب التواضع للعالم والمتعلم).

(١) وسائل الشيعة: ٢٧٦/١٥.

(٢) ينظر: العلاماتية وعلم النص: ١٦٠ - ١٦١.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

ومنه ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في وصيته لأصحابه قال: (وَأَيَّاكُمْ أَنْ تُعِينُوا عَلَى مُسْلِمٍ مَظْلُومٍ فَيَدْعُو عَلَيْكُمْ فَيُسْتَجَابَ لَهُ فِيكُمْ، فَإِنَّ أَبَانَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ يَقُولُ: إِنَّ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَلَيُعِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَإِنَّ أَبَانَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ يَقُولُ: إِنَّ مَعُونََةَ الْمُسْلِمِ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَاعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)^(١).

وللوصول إلى البنية الكبرى لهذا النص الحديثي، لابد من تقسيمه إلى قضايا نصية صغرى، ثم تطبيق القواعد الكبرى عليه.

وبذلك يتكون هذا النص من تتابع القضايا التالية:

(وَأَيَّاكُمْ أَنْ تُعِينُوا عَلَى مُسْلِمٍ مَظْلُومٍ فَيَدْعُو عَلَيْكُمْ فَيُسْتَجَابَ لَهُ فِيكُمْ ق ١، فَإِنَّ أَبَانَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ يَقُولُ: إِنَّ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ق ٢، وَلَيُعِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ق ٣، فَإِنَّ أَبَانَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ يَقُولُ: إِنَّ مَعُونََةَ الْمُسْلِمِ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ... ق ٤).

ومن خلال تقسيم النص إلى قضايا صغرى يتضح أنه يتكون من أربع قضايا، والقضية الصغرى (ق ٢) قد ضمت إليها قضية جزئية تابعة لها، وهي (ق ٣)، وإما باقي القضايا فقد جاءت مستقلة بنفسها. وبالاستناد على القواعد الكبرى لفان دايك لاستخراج البنية النصية الكبرى نلاحظ أن هذا النص يتبع ثلاث قواعد، وهي:

١- قاعدة الاختيار: وتتمثل هذه القاعدة باختيار (١ - ٢ - ٤)، وقد اختيرت هذه القضايا؛ لأنها مهمة وأساسية ولارتباطها الوثيق بالقضية الجوهرية لهذا النص، فيتحدد موضوع القضية (١): التحذير من مساعدة الظالم وذكر عواقب ذلك، وإما القضية (٢): جاءت للتأكيد على استجابة دعوة المظلوم، أي أن دعاء المظلوم على الظالم والمعاون على الظلم مستجاب، بينما القضية (٤): في الحث على مساعدة المسلم وبيان فضلها.

(١) وسائل الشيعة: ١٦ / ٥٦.

الفصل الثالث.....الانسجام الدلالي في أحاديث جهاد النفس

٢- قاعدة التعميم: هذه القاعدة تعمل في جميع قضايا النص السابق، فعند تطبيقها على قضية (١- ٢- ٣- ٤) سنحصل على قضية جديدة وشاملة، أي "تحذف معلومات أساسية لتصوير ما وتحل محلها قضية جديدة تتضمن مفهوماً القضايا القديمة"^(١)، وبذلك تكون قضية النص العامة، هي: (الحث على العدل والنهي عن الظلم، وبيان أهمية معونة المسلم).

٣- قاعدة الإدماج: فهذه القاعدة تعمل في قضية (١- ٢- ٤)، فعند دمج هذه القضايا فيما بينها ستتولد قضية دلالية كبرى، وهي: (تحريم الرضا بالظلم والمعونة للظالم وإقامة عذره).

(١) علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٩٧.

الخلاصة والنتائج

الخاتمة والنتائج

بعد تطبيق معياري الاتساق والانسجام النصيين على أحاديث جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة، تمخّض البحث عن نتائج، هي:

١- لقد بدت معالم معياري (الاتساق والانسجام) واضحة في الدراسة، ومن أهم أسباب ذلك هو إنّ مدونة الدراسة (الأحاديث) تمتاز بقصرها وتماسكها، فتظهر أدوات التماسك جلية فيها، فضلاً عن طبيعة تقسيم مادة الكتاب القائمة على التقسيم الموضوعي الذي يبرز البنيات الدلالية (الكبرى والصغرى) بصورة واضحة جداً.

٢- كان للتكرار المعجمي (الكلي والجزئي) أثرٌ واضح في نسبة الحضور، وإن توظيف الإمام المعصوم له في نصوص الأحاديث يؤكد أهمية هذا العنصر المكرر، وإبراز قضية النصّ الأساسية. وهو بوصفه وسيلة من وسائل الاتساق النصي يعمل على جذب انتباه المتلقي إلى ألفاظ بعينها دون غيرها، مما يسهم في تكوين الدلالة النصية للأحاديث من خلال تتبع الكلمات والعبارات المتكررة، وبيان كيفية إسهامها في توضيح الفكرة الرئيسة للحديث.

٣- يتحقق الاستبدال المعجمي بوجود علاقة بين طرفين: المستبدل والمستبدل. ومن هنا يمكن ملاحظة وجود العنصر المستبدل واستمراره في العنصر المستبدل، كما تنشأ بينهما علاقة تقابل، إذ يعتمد تأويل أحدهما وفهمه يعتمد على الرجوع إلى العنصر الآخر، مما يجعل الاستبدال عنصراً مهماً في اتساق نصوص الأحاديث.

٤- لم يظهر الترادف بمعنى التكامل التام في المعنى بين كلمتين في مدونة الكتابة، بل كانت هناك حدود دلالية فاصلة بين الكلمات التي تبدو مترادفة للوهلة الأولى، وهذا عائد إلى قصدية الاستعمال في هذه النصوص.

٥- للمصاحبات المعجمية بأنواعها المختلفة أثر كبير في اتساق النص واستمرار معناه، إذ أسهمت هذه المصاحبات في تماسك نصوص الأحاديث وتكوين الدلالة النصية لها، فضلاً عن ترابط الأفكار وتوضيح المعاني وتعزيز وحدة الموضوع.

٦- شكلت الإحالة ملمحاً بارزاً في أحاديث جهاد النفس في كتاب وسائل الشيعة، فهي من أكثر الوسائل حضوراً وفاعلية مقارنة بتلك الوسائل الأخرى، إذ جاءت أداة نصية فاعلة بتحديد هوية المشاركين في الحدث أو الأشياء التي يتحدث عنها النص وتجنب التكرار المباشر، فعملت على ربط نصوص الأحاديث بجعلها بنية نصية واحدة متلاحمة ومتراصة جملاً وتراكيب.

٧- كان للضمائر في أحاديث جهاد النفس الأثر الأهم في اتساق النص، وذلك عن طريق إحالاتها المتنوعة، سواء أكانت قبلية أو بعدية داخل النص أو خارجية مقامية. وقد تم توظيف نوع الضمير بما يناسب سياق الحديث وموضوعه، ليدل على الحضور أو الغيبة. لذا برزت الإحالة الضميرية بشكل لافت في أحاديث جهاد النفس، إذ وردت بنسبة أكبر من أدوات الإحالة الأخرى، مثل: (أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأدوات المقارنة).

٨- لقد تنوعت صور الربط في أحاديث جهاد النفس بين ربط إضافي واستدراكي وزماني وسببي، وقد أسهمت هذه الأدوات في ترابط عناصر النص على المستوى الخطي المباشر، وأدت دوراً كبيراً وفاعلاً في تحقيق التلاحم والاتساق النصي في أحاديث جهاد النفس، إذ تساعد على تنظيم الأفكار وربطها ببعضها البعض وتوضيح المعاني، مما يسهل على القارئ فهم الموضوع واستيعابه بشكل أفضل. وكان للربط الإضافي حضور مكثف في نص الأحاديث مقارنة بأنواع الربط الأخرى، ولا سيما الربط الإضافي بالأداة (الواو)، فشكلت هذه الأداة نسبة كبيرة في نصوص الأحاديث.

٩- أسهم الحذف بأنواعه الثلاث، الإسمي، والفعلية والجملي بتحقيق الاتساق النصي وربط أجزائه مع بعضها البعض، وذلك لوجود دليل مقالي يُدلّ على اللفظ المحذوف، مما يدفع المتلقي بالبحث عنه لسد الفراغ الذي تركه العنصر المحذوف.

١٠- أسهمت علاقات الانسجام النصي في أحاديث جهاد النفس في تنظيم فقرات النص وترابط قضاياها منطقياً مما حققت الاستمرارية الدلالية فيه، وقد تجلّى هذا من خلال العلاقات الواردة في الأحاديث، كعلاقة الإجمال والتفصيل، السبب والنتيجة، والشرط والجزاء، والسؤال والجواب، والحوار، والمقابلة، والتمثيل.

١١- تتميز مدونة الدراسة (الأحاديث) للشيخ الحر العاملي (رحمه الله)، ببنية نصية كبرى متماسكة وقاعدة بناء واضحة، إذ تعكس منهجية المؤلف في عرض مسائل الفقه والأخلاق، وكلها تصب في قضية (جهاد النفس)، فكان للتقسيم الموضوعي الذي أبدع فيه المؤلف بتقسيم موضوع جهاد النفس إلى أبواب فرعية متعددة، وكل باب يركز على جانب محدد من جوانب جهاد النفس، قد ساعد على استنتاج البنية النصية الكبرى لنصوص الأحاديث.

ثَبِتْ

المصَادِرِ والمراجِعِ

أولاً- الكتب:

❖ القرآن الكريم

١. الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠١م.
٢. الاتجاهات الحديثة في علم الاساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت، شركة أبو الهول للنشر، طبع في دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦م.
٣. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، تأليف: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تخريج: علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
٤. اجتهادات لغوية، د. تمام حسّان، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨ - ٢٠٠٧م.
٥. الإحالة في نحو النصّ، د. أحمد عفيفي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
٦. الإحالة وأثرها في تماسك النصّ في القصص القرآني، د. أنس بن حمود فجّال، نادي الإحساء الأدبي، ط ١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
٧. استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت _ لبنان، ط ١، ٢٠٠٤ م.
٨. الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط ٣، (د. ت).

٩. إشكالات النصّ المداخلَة أنموذجا دراسة لسانية نصيّة، جمعان بن عبد الكريم، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩ م.
١٠. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية تأسيس نحو النصّ، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١١. الأصول في النحو، أبوبكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت ٣١٦ هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط ٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
١٢. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د. ط)، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١٣. أمل الآمل، تأليف: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس شارع المتنبى بغداد، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، (د. ط)، (د. ت).
١٤. أنظمة الربط في العربية دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، د. حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة - مصر، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٥. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩ هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م.

١٧. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، ١٩٩٨م.
١٨. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، (د. ط)، ١٩٩٠م.
١٩. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٠. بلاغة النص مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د. جميل عبد المجيد، دار عريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، ١٩٩٩م.
٢١. بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٨٦م.
٢٢. تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ)، تحقيق: محمد محمد تامر، مطبعة دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٣. تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات، د. محمد محمد يونس علي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
٢٤. تحليل الخطاب، ج. ب. براون، و ج. يول، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطي، ود. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، (د. ط)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٥. التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٢٦. تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، د. محمود عكاشة، مكتبة الرشد ناشرون، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
٢٧. الترابط النصي بين الشعر والنثر، زاهر مرهون الداودي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
٢٨. الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوية، سالم بن محمد المنظري، بيت الغشام للنشر والترجمة، عمان، ط١، ٢٠١٥م.
٢٩. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٣٠. الترادف في اللغة، د. حاكم مالك الزيايدي، (د. ط)، (د. ت).
٣١. التعريفات، السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٢. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تأليف: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٤، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ.
٣٣. جامع الدروس العربية مزيلاً ببحثي البلاغة والعروض، مصطفى الغلاييني، تحقيق: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٣٤. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٥. الحذف والتقدير في النحو العربي، د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧ م.
٣٦. الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د. خلود العموش، جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، عمان - الأردن، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٣٧. دراسات في النص والتناصية، د. محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٨ م.
٣٨. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٣٩. دراسات منهجية في علم البديع، الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت، كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٤٠. دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٢ م.
٤١. الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، مكتبة الآداب، ط١، (ب. ت).
٤٢. دينامية النص تنظير وإنجاز، محمد مفتاح، الناشر المركز الثقافي العربي، (د. ط)، (د. ت).
٤٣. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آغا بزرك الطهراني. دار الأضواء، بيروت، (د. ت).
٤٤. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا محمد باقر الخوانساري، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٤٥. سيميائية النص الأدبي، أنور المرتجي، أفريقيا الشرق (الدار البيضاء)، (د. ط)، ١٩٨٧م.
٤٦. شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ)، تحقيق: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤٧. شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٤٨. شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط ٢، ١٩٩٦م.
٤٩. شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، قدّم له ووضع هوامش فهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٥٠. شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٥١. شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت ٩٧٢هـ)، تحقيق : د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٥٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ)، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف، مصر، (ب. ط)، (د. ت).
٥٣. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ط)، ١٩٩٨م.

٥٤. العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، د. أحمد عزت يونس، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
٥٥. العلاماتية وعلم النص، د. منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
٥٦. علم الدلالة بين النظر والتطبيق، د. أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٥٧. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م.
٥٨. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٥٩. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ. فان دايك، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٦٠. علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٩١، ط٢، ١٩٩٧.
٦١. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية للنشر - لونجان، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
٦٢. علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، تقديم: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٦٣. علم لغة النص مدخل نظري، د. إسماعيل محمد العقباوي، دار الحرم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م.

٦٤. علم لغة النص، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
٦٥. فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٦، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٦٦. في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح، لجنة التأليف والتعريب والنشر جامعة الكويت، الكويت، (د. ط)، ٢٠٠٣م.
٦٧. في اللسانيات ونحو النص، د. ابراهيم محمود خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م ، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٦٨. في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩٢م.
٦٩. في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، د. مهدي المخزومي، ط٣، ١٩٨٥.
٧٠. في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، د. نور الدين عتر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٧١. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، مكتبة النهضة، ط١، ١٩٦٣م، ط٢، ١٩٦٥م، ط٣، ١٩٦٧م.
٧٢. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، د. أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع - الرباط، مطبعة الكرامة، (د. ط)، (د. ت).

٧٣. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
٧٤. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، (د. ت).
٧٥. الكلمة دراسة لغوية معجمية، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د. ط)، ١٩٩٨م.
٧٦. الكلمة في اللسانيات الحديثة، د. عبد الحميد عبد الواحد، مطبعة التفسير الفني، صفاقس، تونس، ط ١، ٢٠٠٧م.
٧٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٧٨. اللسانيات العربية والإضمار دراسة تركيبية دلالية، د. محمد الغريسي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد - الأردن، ط ١، ٢٠١٤م.
٧٩. لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجاً، ليندة قنّاس، تقديم: أ. د. عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٨٠. لسانيات النص مداخل نظرية مع دراسة إجرائية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الاندلسي، د. سعد سرحت، سلسلة منشورات نون، ط ١، ٢٠١٦م.
٨١. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

٨٢. لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، د. أحمد مداس، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٨٣. لسانيات النص وتحليل الخطاب، د. محمد جواد النوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م.
٨٤. اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٨٥. لغة القانون في ضوء علم لغة النص دراسة في التماسك النصي، د. سعيد أحمد بيومي، دار الكتب القانونية، مصر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٨٦. اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة بحث في النظرية، د. محمد العبد، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
٨٧. لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، الشيخ يوسف بن أحمد البحراني (ت١١٨٦هـ)، حققه وعلق عليه العلامة الكبير السيد محمد صادق بحر العلوم، مكتبة فخرأوي، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٨٨. مدارج السالكين في منازل السائرين، أبو عبد الله محمد ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: نبيل بن نصار السندي، دار عطاءات العلم، الرياض، ط٢، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.
٨٩. مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، د. نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
٩٠. مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من، وديتر فيهفيجر، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩هـ.

٩١. مدخل إلى علم اللغة، د. محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، (د. ط)، ٢٠٠٠م.
٩٢. مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، زتسيسلاف وأورزنيك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٩٣. مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون - منشورات الاختلاف، الجزائر، (د. ط)، (د. ت).
٩٤. مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند و لوفجانج درسler، د. ألهم أبو غزالة وعلي خليل حمد، مطبعة دار الكاتب، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
٩٥. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، د. نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، عمان - الاردن، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م .
٩٦. معاني النّحو، د. فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٩٧. المعايير النصّية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة، د. يسري نوفل، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م.
٩٨. المعايير النصية في القرآن الكريم، د. أحمد محمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٩٩. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، (د. ط)، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٠٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د. ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٠١. المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بنغازي - ليبيا، ط٢، ٢٠٠٧م.
١٠٢. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٠٣. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
١٠٤. مقالات في اللغة والأدب، تَمَّام حَسَّان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٠٥. مقدمة في اللغويات المعاصرة، ماهر محمود آغا، التربية الخاصة - تقويم النطق واللغة، (د. ط)، (د. ت).
١٠٦. النحو العربي أحكام ومعانٍ، د. محمد فاضل السامرائي، دار ابن كثير، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
١٠٧. النحو القرآني قواعد وشواهد، د. جميل أحمد ظفر، مكة المكرمة، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٠٨. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
١٠٩. نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنيد، عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١١٠. نحو النص بين الأصالة والحدثة، د. أحمد محمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.
١١١. نحو النص ذي الجملة الواحدة دراسة تطبيقية في مجمع الأمثال للميداني، د. محمود قدوم، دار وجوه للنشر والتوزيع، السعودية - الرياض، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م.
١١٢. نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، د. عمر محمد أبو خرمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أريد - الأردن، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.
١١٣. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط ٣، (د. ت).
١١٤. النحو وبناء الشعر في ضوء معايير النصية شعر الجواهري نموذجاً، د. صالح عبد العظيم الشاعر، الحكمة طباعة - نشر - توزيع، مكتبة لسان العرب، مصر، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م.
١١٥. نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.
١١٦. النص من القراءة إلى التنظير، د. محمد مفتاح، شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٩ م.
١١٧. النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، د. محمد عبد الباسط عيد، تقديم: د. صلاح رزق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
١١٨. النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، (د. ط)، ٢٠١٤ م.
١١٩. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.

١٢٠. النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، ٢٠٠٠م.
١٢١. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة - مصر، ط١، ١٩٩٧م.
١٢٢. نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٢٣. نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، تقديم: أ. د. سليمان العطار، ود. محمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

١. الاتساق في الصحيفة السجادية دراسة في ضوء لسانيات النص، حيدر فاضل عباس العزاوي، رسالة ماجستير، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
٢. الاتساق في العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، جبار سويس حنيحن الذهبي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣. الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب " Cohesion in English" لـ (م. أ. ك. هاليداي ورقية حسن)، شريفة بلحوت، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م.

٤. آليات التحليل النصي والتأويل في تفسير معارج التفكير ودقائق التدبر لعبد الرحمن الميداني (١٤٢٥هـ)، مصطفى صباح مهودر، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م.
٥. آليات التماسك النصي في قصة حي بن يقظان (ت ٥٨١ هـ) دراسة لسانية نصية، سجي قاسم عبد الحسين، رسالة ماجستير، جامعة واسط، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م.
٦. آيات السلم والحرب في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النص، حسين نعيم حريجة التميمي، رسالة ماجستير، جامعة واسط، كلية الآداب، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م.
٧. تفسير من وحي القرآن دراسة في ضوء علم اللغة النصي، مؤيد عبيد صوينت، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٨. التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، عيسى جواد فضل محمد الوداعي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٥م.
٩. التماسك النصي في السور السبع الطوال، خليل عبد المعطي عثمان، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية التربية، ٢٠١٦م.
١٠. التماسك النصي في المثل القرآني، شهلة عبد الرزاق نادر، رسالة ماجستير، جامعة صلاح الدين - أربيل، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
١١. الرسائل والوصايا في نهج البلاغة دراسة في ضوء علم لغة النصي، ورود سعدون عبد، (أطروحة دكتوراه)، جامعة القادسية، كلية الآداب، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م.
١٢. السبك والحبك في جزء المجادلة، باقر محيسن فرج، رسالة ماجستير، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م.

ثالثاً - البحوث المنشورة:

١. اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، د. سعيد حسن بحيري، بحث منشور في مجلة (علامات)، ج ٣٨، رمضان ١٤٢١ هـ - ديسمبر ٢٠٠٠ م.
٢. أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف، د. نوال بنت إبراهيم الحلوة، أستاذة اللغويات المشارك لقسم اللغة العربية، جامعة الأميرة نوال بنت عبد الرحمن - الرياض، كلية الآداب، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد ٨، رجب، ١٤٣٣ هـ - مايو ٢٠١٢ م.
٣. التضام والتعاقب في الفكر النحوي، د. نادية رمضان النجار، علوم اللغة دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات في السنة كتاب دوري، المجلد ٣، العدد ٤، ٢٠٠٠ م.
٤. التماسك النصي في لامية العرب، د. مطلق محمد مبارك المرشاد، عالم الفكر مجلة دورية محكمة تصدر أربع مرات في السنة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، العدد ١٧٨، أبريل - يونيو ٢٠١٩.
٥. الرصف وعلم لغة النص، زينب عادل كعيد العاني، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، العدد ٧، ٢٠١٢ م.
٦. ظاهرة التقابل في علم الدلالة، د. أحمد نصيف الجناحي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، (بحث منشور).
٧. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجاً، د. نادية رمضان النجار، علوم اللغة، المجلد ٩، العدد ٢، ٢٠٠٦ م.
٨. الفصل والوصل في خطب نهج البلاغة، حسن هادي نور، جامعة المثني، كلية التربية، مجلة كلية الآداب، المجلد ٢٠١٢، العدد ١٠١، ٢٠١٢ م.

٩. مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب (الخطاب النبوي في رقائق صحيح البخاري نموذجاً)، عاصم شحادة علي، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٦، العدد ٢، ٢٠٠٩م.
١٠. نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، مصر، مجلد ١٠ - ٢٤، يوليو - أغسطس ١٩٩١م.
١١. نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي، عبد المهدي هاشم الجراح، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٣، العدد ١، ٢٠٠٦م.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education for Science
University of Misan / College of Education
Department of Arabic Language



**Consistency and Harmony in the Hadiths on The Jihad Al Nafs in The
book" Wasa'il al-Shi'a" by Al-Hurr al-'Amili (d. 1104 AH)**

Thesis Submitted By The student

Huda Chasib Younis

To the Council of the College of Education –University of
Misan as a Fulfillment of Requirements for Master's Degree in
Arabic Language and its Arts

Supervised By

Prof. Dr. Mohammed Mahdi Hussein

AD 2025

AH 1446

Abstract

After the evolutions in textual linguistics in the study of linguistic phenomena in the 1980s by the American linguist (Robert de Bogrand), After the previous linguistic research focused on the limits of the single sentence as the highest unit of linguistic analysis, contemporary linguistic studies began to look at the whole text as the total comprehensive structure for linguistic description and analysis, and relied on the text because a sentence cannot be understood in the text without the other contributing to its understanding, as sentences work together and interrelate to produce content that is understood by what the speaker intends?.

during this perspective this study persue to apply the two most important criteria of textualism, namely (coherence and harmony), which were employed by de Bogrand and Dessler among the seven textual criteria, adopted by many textual linguists because they are among the basic criteria in the study of text and its composition. The researcher chose the hadiths of Jihad Al-Nafs in the book Waseel Al-Shia as the subject of research because the hadiths of Ahl al-Bayt (peace be upon them) have been distinguished by cognitive values and eloquent and deep meanings first, and second, their textually coherent and semantically harmonious characteristics.

The importance of this study is evident in uncovering the criteria of coherence and harmony and proving their existence in the texts of the Jihad al-Nafs hadiths by following the linguistic-textual approach and exploring the relationships and devises by which textual coherence and harmony are achieved in the speech of the infallible (peace be upon him).

As for the method used in this study, it was a textual-analytical method based on the descriptive-analytical method, which first describes the topic by drawing its features and indicating its dimensions, then analyses the texts of the hadiths by textual analysis.

because of the large number of hadiths contained in the chapters of Jihad Al-Nafs in the book Wasa'il al-Shi'a". I relied on the selective approach, selecting samples of hadith texts for textual analysis. The research plan was divided into three chapters, preceded by an introduction and a preface,

followed by a conclusion that summarizes the most important research findings, and a list of research sources and references.

The preface was titled "Introduction to the Author of the Shiite Methods and Explanation of the Concept of the Title." The first chapter was titled "Lexical Consistenc " and was divided into two sections: "Lexical Repetition and Lexical Accompaniment." The second chapter was titled "Grammatical Consistency" and was divided into three sections: "Reference, Connection, and Deletion." The third chapter was titled "Semantic Coherence" and consisted of two sections: "Semantic Relations" and "Major Textual Structures."

The conclusion included the most important results of the research